

# عون البديع

في شرح منظومة

مائة المعاني والبيان والبديع

نظمها:

أبو الوليد محب الدين

محمد بن محمد بن الخثول الحلبي الحنفي

(٧٤٩-٨١٥هـ)

شرحها:

د. عبد الله بن عبده العواضي



عون البديع

في شرح منظومة

مائة المعاني والبيان والبديع

شرحها: د. عبد الله بن عبده العواضي



# عَوْنُ الْبَدِيعِ

فِي شَرْحِ مَنْظُومَةٍ

مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ



العنوان: عَوْنُ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْطُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ  
وَالْبَدِيعِ.

تأليف: د. عبد الله بن عبده العواضي.

الصفحات: (464).

القياس: (24×17).

الطبعة: الأولى، 1446 هـ - 2025 م.

النَّاشِر: غافق للدراسات والنشر.

إخراج فني وإلكتروني: هشام بن حسين الأهدل.

النَّاشِر



غافق للدراسات والنشر  
GAFEQ for studies and publishing

اليمن - صنعاء

gafeq.s.p@gmail.com

+967 71 71 72 770

GAFEQ.S.P



782 16 12 14



# عَوْنُ الْبَيْتِ

فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ

## مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَيْتِ

نَظَمَهَا:

أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْخُتْلُو الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيِّ

(٧٤٩-٨١٥هـ)

شَرَّحَهَا:

د. عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَوَاضِي



غَفَقَةُ لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ وَالنَّفْسِ  
GAFEQ for studies and publishing



## المقدمة

**الحمد لله** البديع الرحمن، أنشأ الإنسان، وعلمه البيان، وجعل من نعمه عليه فصاحة اللسان، التي يكشف بها عن مستكنات جنانه، ويتفاضل بالبراعة فيها بين أقرانه.

**أحمد**ه على نعمه التي لا يكدرها قصر، ولا يفجؤها طي بعد نشر، وأسأله أن يجعلنا ممن رُزق مقابلة آلائه بشكره، وعمل بتشريعه في كل أمره، ومُنح جمع همه على رضاه، وأسند كل فضل ناله إلى مولاه، ولم يلتفت في طلبه إلى سواه، وأستعذ به من تنافر القول والعمل، والفصل عن دوام طاعته بعد الوصل، والتبديل بعد الاستخدام، والاكتفاء بالدون بين الأنام، وقلة الاستعداد لحسن الختام.

**والصلاة والسلام** على أس البلاغة العربية وعمادها، وأفصح من نطق بين البرية بضادها، نبينا محمد الذي جمع الله به الأمة بعد تفريقها، وردّها إلى صدر الأمم بعد أن كانت في أعجازها، آتاه الله جوامع الكلم فما كان أحسن إيجازه، واكتنز كلمه درر المعاني فما أعظم اكتنازه! صلى الله عليه وعلى آله الصالحين، وصحابته الأكرمين، الذين كانوا منار هدى لاقتباس الخيرات، وروضة تأنقت بأجمل أزاهير الطيب العطرات، فمن أُعطي التوفيق سار على هداهم، وشاكلهم في علمهم وتقواهم.

**أما بعد:**

**فإن علم البلاغة حُسْنُ العربية وجمالها،** وشمس علومها وهلالها، إذا طلعت لم يبق من نجوم فنونها كوكب، وإن كمل بدرها محى نوره كل غيب، فهي كاشفة أسرار البيان، ومفتحة أكمام اللسان، ومفتاح العلوم لما انغلق من مخدّرات المعاني في طوايا الألفاظ، وطرّاز فنون العربية الذي هو " أمير جنودها، وواسطة عقودها، وفلكها المحيط الدائر، وقمرها السامر الزاهر، وهو أبو عذرتها، وإنسان مقلتها، وشعلة مصباحها، وياقوتة وشاحها، ولولاه لم تر لساناً يحوك الوشي من حلل الكلام، وينفث السحر مفتر الأكمام، وكيف لا وهو المطّلع على أسرار الإعجاز، والمستولى على حقائق علم المجاز، فهو من العلوم بمنزلة الإنسان من السواد، والمهيمن عليها عند السبر والحك والانتقاد" (1).

**لذلك كان لهذا العلم** "فضائل مشهورة، ومناقب معروفة؛ منها: أن صاحب العربية إذا أخلّ بطلبه، وفرّط في التماسه، ففاته فضيلته، وعلقت به رذيلة فوّته؛ عفى على جميع محاسنه، وعمى سائر فضائله؛ لأنه إذا لم يفرق بين كلام جيّد، وآخر رديء، ولفظ حسن، وآخر قبيح، وشعر نادر، وآخر بارد؛ بان جهله، وظهر نقصه. وهو أيضاً إذا أراد أن يصنع قصيدة، أو ينشئ رسالة وقد فاته هذا العلم؛ مزج الصّفو بالكدر، وخلط الغرر بالغرر (2)، واستعمل الوحشي العكر، فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرة للعاقل... وإذا أراد أيضاً تصنيف كلام منشور، أو

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 5).

(2) الغرر: أول الكلام وأحسنه. والعُرر: سقط الكلام ورديته.



تأليف شعر منظوم، وتخطى هذا العلم ساء اختياره له، وقبحت آثاره فيه، فأخذ الرديء المرذول، وترك الجيد المقبول، فدل على قصور فهمه، وتأخرت معرفته وعلمه" (1).

**ولو لم يكن من فضله** إلا كونه طريقاً لفهم القرآن الكريم، ومعرفة علو شأنه على سائر الكلام، وتفتق وجوه إعجازه عند النظر إليه بهذا المنظار؛ لكفى بها فضيلة؛ "لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكمال مع الكلام فيما يختص بالألفاظ في انتفائها وجودة رصفها وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه. وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه؛ فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك؛ لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه" (2).

**لهذا كان** "أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جل ثناؤه -: علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها.

(1) كتاب الصناعتين (ص: 1).

(2) تاريخ ابن خلدون (1/ 762).

**وقد علمنا** أنّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف؛ وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطّلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعضوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيّرت عقولهم فيها<sup>(1)</sup>.

**وحين كان هذا العلم الشريف** في هذا الأفق السامي المنيف، وكان من جناه هذه الثمرات اليانعة؛ كان حريّاً بالمسلم -ولاسيما طلاب الشريعة والعربية- أن يعنوا به، وأن يعتكفوا في محرابه، ويلازموا البقاء على أبوابه، حتى يلجوا إلى رياض جماله، وهناك سينشقون أريج عطره الفواح، ويرون في وجوه الكلم مباحج الأفراح، وتلتذ أذانهم، وتنفس صدورهم عندما يسمعون أغاريد روعة الأسلوب، ورونق الكلمة، وبهاء التركيب، ودقة التصوير، وتدفق المعاني الغزار في بعض أساليب الاختصار.

**ولأجل ذلك** كان من المقررات في مركز الإمام الشوكاني **رَحْمَةُ اللَّهِ** هذه المادة، فوقع الاختيار على تدريس منظومة "مائة البيان والمعاني والبديع"، لابن الشحنة **رَحْمَةُ اللَّهِ**؛ لتكون اللبنة الأولى في بناء علم البلاغة لأولئك الطلاب، فاستعنت بالله على شرحها، وبحمد الله وفق الله تعالى على إتمام ذلك الشرح.

**ولم يكن عندي رغبة في إخراجه مطبوعاً**، لولا إلحاح بعض الطلبة الفضلاء،

(1) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 1).



فبقيت مدة مراجعته: فأضفت وحذفت، وقدمت وأخرت، وأعدت بالصياغة جملاً، واستدركت ما فات، وصححت ما فيه أخطاء، ونسبت الفضل لأهله بما وثقت، فكان هذا الشرح الذي بين يديك أيها القارئ الكريم.

**وأحب هنا أن أنبه على أمور عدة:**

**1- المقدمة** - عند أهل العلم - مقدمتان: مقدمة علم، ومقدمة كتاب؛ فمقدمة هذا الكتاب هذه، وأما مقدمة علم البلاغة فقد أفردتها بالحديث ضمن كتاب: "تنوير الفهوم بمقدمات عشرة علوم"، والكتاب مطبوع منشور.

**وقد جعلتها فيه:** المقدمة الثالثة، وتحدثت فيها عن خمسة أمور:

**أولاً:** المبادئ العشرة لهذا العلم.

**ثانياً:** نشأة البلاغة وتطورها.

**ثالثاً:** علوم البلاغة: تقسيمها وأغراضها.

**رابعاً:** الفرق بين البلاغة والفصاحة.

**خامساً:** بعض المتون في البلاغة وشروحها وحواشيها.

**2- قدمت بين يدي الشرح أمرين:**

**أ- أولهما:** ترجمة للناظم، والكلام عن المنظومة.

**ب- ثانيهما:** ذكرت المنظومة كاملة مرقمة مضبوطة بالشكل؛ ليسهل الرجوع

إليها في موضع واحد، ويتيسر حفظها لمن يريد ذلك.

3- **قدمت للعلوم الثلاثة بفصول تمهيدية ثلاثة**؛ تحدثت فيها عن تعريفها، والتعريف بها، وعن مباحثها، وأمور تتعلق بها، ولما وصلت إلى خاتمة المنظومة بالسراقات الشعرية قدمت لها أيضاً بفصل تمهيدي تحدثت فيها عن عدد من الأمور التي تتعلق بهذه القضية؛ حتى يدخل القارئ المبتدئ وقد حاز مفاتيح الفهم لما هو مقبل عليه من أبواب هذا الفن الشريف.

4- **عُنيت** بتحرير بعض المسائل، وتفصيل أخرى مما سِرى في صفحات هذا الكتاب.

5- **مشيت في شرح المنظومة كلمة كلمة** وجملة جملة، وجعلت ما أفسره من عبارات المنظومة بين (..).

6- **جعلت للمسائل والمباحث** والتفريعات عناوين مكبرة، تلفت انتباه القارئ، وتيسر استيعابه مضامينها والرجوع إليها.

7- **هناك أشياء** رأيت الحاجة إلى إضافتها في الشرح لما قصرت عبارة الناظم عنها؛ من الأغراض والصور والتقسيمات، وغير ذلك.

8- **أعربت بعض الكلمات** والجمل التي احتاج البيان إلى إعرابها؛ ليتضح المعنى، أو يتم.

9- **سقت الأبيات في الشرح مرقمة ومقسمة** على حسب موضوعها؛ حتى يكون ذلك أدعى إلى الإلمام بمحتواها، ولم أسق الأبيات قطعة قطعة، غالباً؛ لاتصال أعجاز بعض أبيات هذه المنظومة بصدور تواليها.



10- **شكلت** في الشرح وضبطت ما افتقر إلى تشكيل وضبط.

11- **ذكرت** في الشرح فوائد منتقاة مما كان يملئها علينا شيخنا: إبراهيم

الشنقيطي في شرحه لنا: "تلخيص المفتاح للخطيب" قبل سبع عشرة سنة، مما ظهر له أو ما نقله عن شيخه: محمد فال.

**وهذا ما تيسر لي**، فإن أصبت فذاك فضل من الله وحده، وإن أخطأت فمن

نفسي، وقلة علمي، وكثرة وهلي، وأنا مستغفر من وروده، ومعتذر من حصوله. والله أسأل أن يسدد هذا العمل، ويتقبله بقبول حسن، متوسلاً بفقرتي إليه، وتضرعي بهذا الدعاء بين يديه، وهو حسبي، وعليه توكلي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الله بن عبده بن نعمان العواضي.

17 / 10 / 1446 هـ، 15 / 4 / 2025 م.





## ترجمة الناظم (1)

### اسمه ونسبه ولقبه :

**هو:** محبّ الدين أبو الوليد: مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن غَازِي بن أَيُّوب بن مُحَمَّد بن الختلو الحليّ الحنفيّ.

**يلقب بابن الشحنة:** والشحنة والشحنكية: كلمة تركية تعني: قائد الحامية أو الحاكم الإداري للمدينة، المسؤول عن الأمن والنظام فيها؛ يعين من قبل السلطان، ويعمل بإمرته رجال الشرطة أو الحامية، ويقوم بملاحقة اللصوص والخارجين عن القانون. وآل الشحنة نسبتهم إلى جد لهم اسمه محمود، كان شحنة حلب، وهو ما نسميه اليوم رئيس الشرطة أو مدير البوليس (2).

### ولادته ونشأته وتعلمه :

**ولد سنة تسع وأربعين وسبعمائة (749هـ)** بحلب ونشأ بها، وأخذ عن شيوخ بلدته والقادمين إليها، وحفظ القرآن العظيم وعدة متون، وتفقه، وبرع في الفقه،

(1) تنظر ترجمته في: إنباء الغمر بأبناء العمر (2/534)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (3/10)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (14/114)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (9/169)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (2/264)، هدية العارفين (2/180)، الأعلام للزركلي (7/44)، معجم المؤلفين (11/295).

(2) الأعلام للزركلي (7/51)، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره (ص:



والأصول، والنحو، والأدب، وارتحل إلى دمشق والقاهرة، فأخذ عن أعيانها، وأذن له شيخاه: ابن منصور والأنفي في الإفتاء والتدريس قبل أن يلتحق.

### وظائفه ومحنته :

ولى القضاء بحلب، ثم بدمشق، ثم قضاء الديار المصرية، وامتنح في بعض مدد قضائه بالعزل، والسجن، قال الشوكاني: "ولما فتح تيمورلنك حلب - وكان صاحب الترجمة بها - فاستحضره هو وطائفة من العلماء، وسألهم عن القتلى من الطائفتين - من أصحابه، ومن أهل حلب - : من في الجنة منهم ومن في النار؟ فقال صاحب الترجمة: هذا سؤال قد سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستنكر تيمور ذلك، فقال له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الرجل يُقاتل شجاعة، والرجل يُقاتل حمية.. كما في الحديث، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. فاستحسن تيمور كلامه.

ولله دره فلقد لقن الصواب، وجاء بما لم يكن في حساب، ولم يكن لتيمور مقصد بالسؤال المذكور إلا التوصل إلى سفك دمه ودم من معه من العلماء، كما جرت بذلك عاداته؛ فإنهم إن قالوا: إن المحقين أصحابهم لم يأمنوا شره، وإن قالوا: إن المحقين أصحابه أقرؤا على أنفسهم بالغي، ويجد بذلك السبيل إلى سفك دمائهم".

### مصنفاته :

له مصنفات عديدة، منها:

- 1- روض المناظر في علم الأوائل والأواخر . اختصر به تاريخ ابن كثير وذيل عليه إلى سنة 806 هـ.
- 2- المبتغى في اختصار روض المناظر.
- 3- الرحلة القسرية بالديار المصرية.
- 4- كتاب في السيرة النبوية.
- 5- الموافقات العمرية للقرآن الشريف.
- 6- الأمالي في الحديث . سبعون مجلساً.
- 7- نهاية النهاية في شرح الهداية.
- 8- أوضح الدليل والأبحاث فيما بحل به المطلقة بالثلاث.
- 9- شرح الكشاف للزمخشري في التفسير . لم يكمله.
- 10- اختصر منظومة النَّسْفِيِّ فِي أَلْفِ بَيْتٍ مَعَ زِيَادَةِ مَدَّهَبِ أَحْمَدَ.
- 11- نظم ألف بيت في عشرة علوم . ومنها منظومتنا هذه في البلاغة.

من نظمه :

قوله :

أسماء عشر رسول الله بشرهم      بجنة الخلد عمّن زانها وعمر  
سعيد سعد علي عثمان طلحة أبو      بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر<sup>(1)</sup>

(1) وأعذب منهما: قول ابن الوزير:



وَقَوْلُهُ:

كُنْتُ بِخَفْضِ الْعَيْشِ فِي رَفْعَةٍ      مَتَّصِبَ الْقَامَةِ ظَلِي ظَلِيلِ  
فاحدودب الظَّهْرَ وَهَذَا أَضْلَعِي      تعد والأعين مني تسيل

وَقَوْلُهُ:

سَاقِي الْمَدَامِ دَعِ الْمَدَامَ فَكُلْ مَا      فِي النَّاسِ مِنْ وَصْفِ الْمَدَامَةِ فِيكَ  
فَعَلِ الْمَدَامَ وَلَوْنَهَا وَمَذَاقَهَا      فِي مَقْلَتِيكَ وَوَجْتِيكَ وَفِيكَ

وَقَوْلُهُ:

أَسِيرُ بِالْجَرْعَى أَسِيرًا وَمِنْ      هَمِّي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ الطَّرِيقِ  
فِي مَنْحَى الْأَضْلَعِ وَادِي الْغُضَا      وَفَوْقَ سَفْحِ الْخَدِّ وَادِي الْعَقِيقِ

**وفاته:**

مَاتَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ثَانِي عَشَرَ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنْهَا سَنَةَ: (815هـ)، وَصَلِيَ عَلَيْهِ  
بَعْدَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ حَافِلَةً، وَمِمَّنْ حَمَلَتْ نَعْشَهُ: مَلِكُ الْأُمَرَاءِ نُوْرُوْز.

**ومدحه الجهمال عبد الله بن مُحَمَّد بن زُرَيْق المعري بقصيدة بائنة أولها:**

لَمْ أَدْرُ أَنْ ظُبَا الْأَلْحَاطِ وَالْهَدَبِ      أَمْضَى مِنَ الْهِنْدُويَاتِ وَالْقَضِبِ

للمصطفى خير صحب نصّ أنّهم      في جنّة الخلد نصّاً زادهم شرفا

هم طلحة وابن عوف والزبير كذا      أبو عبيدة والسعدان والخلفا

الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم (1/133).

**ثناء العلماء عليه :**

**قال ابن حجر فيه:** "اشتغل قديماً ونبغ وتميز في الفقه والأدب والفنون، وأنه لما رجع من القاهرة إلى حلب أقام ملازماً للاشتغال والتدريس ونشر العلم، وله نظم فائق وخط رائق".

**وذكره ابن خطيب الناصرية فقال:** "شيخنا وشيخ الإسلام، كان إنساناً حسناً عاقلاً، دمث الأخلاق، حلو النادرة، عالي الهمة، إماماً عالمًا فاضلاً ذكياً، له الأدب الجيد، والنظم والنثر الفائقان، واليد الطولى في جميع العلوم، قرأت عليه طرفاً من المعاني والبيان، وحضرت عنده كثيراً، وكانت بيننا صُحبة أكيدة، وصنف في الفقه والتفسير وعلوم شتى".

**وقال المقرئ في عقوده:** "إنه أفتى ودرس بحلب ودمشق والقاهرة، وكان يحب الحديث وأهله، ولقد قام مقاماً عجز أقرانه عنه، وتعجب أهل زمانه منه".

**المنظومة :**

هذه المنظومة منظومة مختصرة في علوم البلاغة، أراد المؤلف بها تقريب هذه العلوم الثلاثة للمبتدئين، وقد بذل جهداً كبيراً في الاختصار لتكون في مائة بيت لا تزيد ولا تنقص.

ولعل هذا النظم هو أحد الأنظمة الميئية العشرة التي جعلها الناظم لعشرة علوم، كما أشرنا سلفاً.



ولهذا لم نجد لها اسمًا خاصًا بها؛ لأجل هذا أطلق عليها العلماء: "مائة المعاني والبيان"؛ لقول الناظم في أولها:

وَبَعْدُ، قَدْ أَحْبَبْتُ أَنِّي أَنْظِمَا .....  
فِي عِلْمِي الْبَيَانَ وَالْمَعَانِي أُرْجُوزَةً لَطِيفَةَ الْمَعَانِي

ويمكن أن نقسم أبيات هذه المنظومة إلى الأقسام الآتية:

- 1- المقدمة "مقدمة كتاب"، وقد احتوت على أربعة أبيات.
- 2- الكلام عن الفصاحة والبلاغة "مقدمة علم"، وقد احتوى على ستة أبيات.
- 3- علم المعاني - وهو أوسع ما تضمن من أبيات المنظومة-، فقد اشتمل على أربعة وستين بيتًا.
- 4- علم البيان، وقد احتوى على خمسة عشر بيتًا.
- 5- علم البديع، وقد احتوى على سبعة أبيات: ستة متصلة وآخر بيت في المنظومة.
- 6- الخاتمة في السرقات الشعرية، وقد احتوت على أربعة أبيات.

والسرقات الشعرية ملحقة بعلم البديع، من عهد القزويني ومن بعده.

وللدكتور محمد نصيف بحث بعنوان "علاقة مائة المعاني لابن الشحنة بتلخيص المفتاح للقزويني"، عقد فيه مقارنة متبعة لوجوه الاتفاق والافتراق بين المنظومة الشحنية والتمن القزويني؛ خلص فيه إلى نتيجة مفادها: "أن مائة المعاني

تلخيص لكتاب القزويني، حذفت فيه الأمثلة والنقاشات والاعتراضات ونحوها، مع حذف بعض الأغراض والتقسيمات؛ حرصاً على الاختصار المناسب للمبتدئ في دراسة هذا العلم"، وقد دلل ببعض الأدلة الزمانية والمكانية والعلمية التي أوصلتها إلى هذه النتيجة.

### من شروح المنظومة<sup>(1)</sup>:

وقد شرحت هذه المنظومة بشروح عدة، منها:

- 1- مواهب الرحمن على مائة المعاني والبيان، لمحمد بن محمد الغزي الحنفي (ت 1126هـ).
- 2- دُرر الفرائد المتحسنة في شرح منظومة ابن الشحنة، لمحمد بن محمود عبد الحق العُمري الطرابلسي الشافعي، فرغ منها سنة 1109هـ.
- 3- دفع المحنة عن قارئ منظومة ابن الشحنة، لمحمد بن المساوي بن عبد القادر الأهدل، تاريخ الوفاة: بعد 1245هـ.
- 4- الدرر المدروزة في شرح الأرجوزة، لمنصور بن علي السطوحي (1066هـ).
- 5- رياض الربيع في المعاني والبيان والبديع، لعبد الله بن محمد بن إسماعيل

(1) ينظر في ذلك: هدية العارفين (2/ 476)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (4/ 495)، طبقات المفسرين للداودي (2/ 283)، خزانة التراث - فهرس مخطوطات (107/ 825، بترقيم الشاملة آليا)، إيضاح المكنون (4/ 601).



ابن صلاح الأمير، الحسن بن الصنعاني (1242هـ).

### وممن شرحها :

6- أبو بكر بن داود بن عبد الرحمن الحموي الدمشقي (المتوفى سنة

1016هـ).

7- يوسف بن أبي الفتح بن منصور السُّقَيْفِي الحنفي الدمشقي (1056هـ).

8- سراج الدين أبو علي بن أبي كامل ابن العلامة جمال الدين العفيفي -

نسبة إلى عفيف الدين أحد أجداده - القبائلي اللخمي السكندري المعروف

بالسلقوني المالكي.

ولها شروح غير هذه.





# المنظومة







## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اضْطَفَأَهُ
2. مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
3. فِي عِلْمِي الْبَيِّنَاتِ وَالْمَعَانِي
4. أَبْيَأْتُهُا عَنْ مَائَةٍ لَمْ تَزِدْ
5. فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ
6. وَكَوْنِهِ مُخَالَفَ الْقِيَّاسِ
7. مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ سَلِيمَا
8. وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيدِ أَيْضًا خَالٍ
9. فَهُوَ الْبَلِيغُ وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ
10. وَالصِّدْقُ أَنْ يَطَابِقَ الْوَاقِعَ مَا
- عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اضْطَفَأَهُ
- وَبَعْدُ، قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْيَ أَنْظِمَا
- أَرْجُو زَةَ لَطِيفَةِ الْمَعَانِي
- فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مَنْ حَسَدِ
- مِنْ نَفْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابِتِهِ
- ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
- وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيفُهُ سَقِيمَا
- وَإِنْ يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ
- وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعْبَرُ نَصْفُهُ
- يَقُولُهُ وَالْكَذِبُ أَنْ ذَا يُعَدَّمَا

## علم المعاني

11. وَعَرَبِيُّ الْلَفْظِ ذُو أَحْوَالِ
12. عِرْفَانُهَا عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِي
- يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ
- مُنْحَصِرُ الْأَبْوَابِ فِي ثَمَانِ

### الباب الأول: أحوال الإسناد الخبري

13. إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ فَسَمَّ ذَا فائِدَةً، وَسَمَّ لَازِمَهَا، وَلِلْمَقَامِ أَنْتَبِهَ أَوْ طَلَبِيًّا فَهُوَ فِيهِ يُحْمَدُ
14. إِنْ قَصَدَ الْإِعْلَامَ بِالْعِلْمِ بِهِ
15. إِنْ ابْتَدَأَ تَبْدِئًا فَلَا يُؤَكَّدُ
16. وَوَجِبَ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ وَيَحْسُنُ التَّبْدِيلُ بِالْأَغْيَارِ
17. وَالْفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ إِنْ أَسْنَدَهُ لِمَالَهُ فِي ظَاهِرٍ ذَا عِنْدَهُ
18. حَقِيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ وَإِنْ إِلَى غَيْرِ مُلَابِسٍ مَجَازٌ أَوْ لَا

### الباب الثاني: أحوال المسند إليه

19. الْحَذْفُ لِلصَّوْنِ وَاللِإِنْكَارِ وَالِاحْتِرَازِ أَوْ لِلِاخْتِيَارِ
20. وَالذِّكْرُ لِلتَّعْظِيمِ وَالِإِهَانَةِ وَالْبَسْطِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْقَرِينَةِ
21. وَإِنْ بِيَاضٍ مَارٍ يَكُنْ مُعَرَّفًا فَلِلْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ فَاعْرِفَا
22. وَالْأَصْلُ فِي الْخِطَابِ لِلْمَعْيَنِ وَإِنْ بِيَاضٍ مَارٍ يَكُنْ مُعَرَّفًا
23. وَعَلَمِيَّةٌ فَلِلْإِحْضَارِ وَالْأَصْلُ فِي الْخِطَابِ لِلْمَعْيَنِ
24. وَصِلَةٌ لِلجَهْلِ وَالتَّعْظِيمِ وَعَلَمِيَّةٌ فَلِلْإِحْضَارِ
25. وَبِإِشَارَةٍ لِذِي فَهْمٍ بَطِينٍ وَصِلَةٌ لِلجَهْلِ وَالتَّعْظِيمِ
26. وَ"أَل" لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ فِي الْقُرْبِ وَالبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ
- تُفِيدُ الْاسْتِغْرَاقَ أَوْ لِمَا أَنْفَرَدَ



27. وِبِاضَافَةٍ فَلَاخْتِصَارِ  
 28. وَإِنْ مُنْكَرًا فَلِلتَّحْقِيرِ  
 29. وَضِدِّهِ، وَالْوَصْفُ لِلتَّبْيِينِ  
 30. وَكَوْنُهُ مُوَكَّدًا فَيَحْصُلُ  
 31. وَالسَّهْوِ وَالتَّجَوُّزِ الْمُبَاحِ  
 32. بِاسْمٍ بِهِ يَخْتَصُّ وَالْإِبْدَالُ  
 33. وَالْعُطْفُ تَفْصِيلٌ مَعَ اقْتِرَابِ  
 34. وَالْفَصْلُ لِلتَّخْصِيصِ، وَالتَّقْدِيمُ  
 35. كَالْأَصْلِ وَالتَّمَكِينِ وَالتَّعَجُّلِ  
 36. نَفِيًّا وَقَدْ عَلِيَ خِلَافِ الظَّاهِرِ
- نَعَمٌ، وَلِلذَّمِّ أَوْ أَحْتِقَارِ  
 وَالضُّدَّ وَالْإِفْرَادِ وَالتَّكْثِيرِ  
 وَالْمَدْحِ وَالتَّخْصِيصِ وَالتَّعْيِينِ  
 لِدَفْعِ وَهُمْ كَوْنُهُ لَا يَشْمَلُ  
 ثُمَّ بَيَانُهُ فَلَا يَبْضَاحِ  
 يَزِيدُ تَقْرِيرًا لِمَا يُقَالُ  
 أَوْ رَدُّ سَامِعٍ إِلَى الصَّوَابِ  
 فَلَا هَتْمَامٌ يَحْصُلُ التَّقْسِيمُ  
 وَقَدْ يُفِيدُ الْاِخْتِصَاصَ إِنْ وَلِيَ  
 يَأْتِي كَأَوَّلَى وَالتَّفَاتِ دَائِرِ

### الباب الثالث: أحوالُ المسندِ

37. لِمَا مَضَى التَّرْكَ مَعَ الْقَرِينَةِ  
 38. وَكَوْنُهُ فِعْلًا فَالتَّقْيِيدِ  
 39. وَاسْمًا فَلِانْعِدَامِ ذَا وَمَفْرَدًا  
 40. وَالفِعْلُ بِالمَفْعُولِ إِنْ تَقَيَّدَا  
 41. وَتَرَكُّهُ لِمَنَاعِ مِنْهُ وَإِنْ
- وَالذِّكْرُ أَوْ يُفِيدُنَا تَعْيِينَهُ  
 بِالْوَقْتِ مَعَ إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ  
 لِأَنَّ نَفْسَ الْحُكْمِ فِيهِ قُصِدَا  
 وَنَحْوَهُ فَيُفِيدُ أَرْبَعًا  
 بِالشَّرْطِ بِاعتِبَارِ مَا يَجِيءُ مِنْ

42. أَدَاتِهِ، وَالْجَزْمُ أَصْلٌ فِي إِذَا  
لَا إِنْ وَلَوْ وَلَا كَذَاكَ مَنْعٌ ذَا
43. وَالْوَصْفُ وَالتَّعْرِيفُ وَالتَّأخِيرُ  
وَعَكْسُهُ يُعْرَفُ وَالتَّنْكِيرُ

### الباب الرابع: أحوال متعلقات الفعل

44. ثُمَّ مَعَ الْمَفْعُولِ حَالِ الْفِعْلِ  
كَحَالِهِ مَعَ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ
45. تَلَبُّسٍ لَا كَوْنَ ذَاكَ قَدْ جَرَى  
وَإِنْ يُرَدُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذُكِرَ أ
46. النَّفْيِ مُطْلَقًا أَوْ الْإِثْبَاتِ لَهُ  
فَذَاكَ مِثْلُ لَازِمٍ فِي الْمَنْزِلَةِ
47. مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ وَإِلْزَمًا  
وَالْحَذْفُ لِلْبَيَانِ فِيمَا أُبْهِمًا
48. أَوْ لِمَجِيءِ الذِّكْرِ أَوْ لِرَدِّ  
تَوْهَمِ السَّمْعِ غَيْرِ الْقَصْدِ
49. أَوْ هُوَ لِلتَّعْمِيمِ أَوْ لِلفَاصِلَةِ  
أَوْ هُوَ لِاسْتِهْجَانِكَ الْمُقَابَلَةِ
50. وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ أَوْ شَبَّهَهُ  
رَدًّا عَلَى مَنْ لَمْ يُصَبَّ تَعْيِينَهُ
51. وَبَعْضَ مَعْمُولٍ عَلَى بَعْضٍ كَمَا  
إِذَا اهْتِمَامٌ أَوْ لِأَصْلِ عِلْمًا

### الباب الخامس: القصر

52. الْقَصْرُ نَوْعَانِ حَقِيقِيٌّ وَذَا  
نَوْعَانِ وَالثَّانِي الْإِضَافِيُّ كَذَا
53. فَقَصْرُ صِفَةٍ عَلَى الْمَوْصُوفِ  
وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ الْمَعْرُوفِ
54. طُرُقُهُ النَّفْيِيُّ وَالْإِسْتِثْنَاءِيُّ هُمَا  
وَالْعَطْفُ وَالتَّقْدِيمُ ثُمَّ إِنَّمَا
55. دَلَالَةُ التَّقْدِيمِ بِالْفَحْوَى وَمَا  
عَدَاهُ بِالْوَضْعِ وَأَيْضًا مِثْلَ مَا



56. الْقَصْرُ بَيْنَ خَبَرٍ وَمُبْتَدَأٍ  
يَكُونُ بَيْنَ فَاعِلٍ وَمَا بَدَأَ
57. مِنْهُ فَمَعْلُومٌ وَقَدْ يُنْزَلُ  
مَنْزِلَةَ الْمَجْهُولِ أَوْ ذَا يُبَدَلُ

### الباب السادس: الإنشاء

58. يَسْتَدْعِي الْإِنشَاءُ إِذَا كَانَ طَلَبُ  
مَا هُوَ غَيْرُ حَاصِلٍ وَالْمُتَّخَبُ
59. فِيهِ التَّمَنِّيُّ وَلَهُ الْمَوْضُوعُ  
لَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْوَقُوعُ
60. وَلَوْ هَلْ مِثْلُ لَعَلَّ الدَّاخِلَةُ  
فِيهِ وَالِاسْتِفْهَامُ وَالْمَوْضُوعُ لَهُ
61. هَلْ هَمْزَةٌ مَنْ مَأْ وَأَيُّ أَيُّنَا  
كَمْ كَيْفَ أَيُّنَا مَتَى أَمْ أَنَّى
62. فَهَلْ بِهَا يُطَلَبُ تَصَدِيقٌ وَمَأْ  
لَا هَمْزَةٌ تَصَوُّورٌ وَهِيَ هَمَأْ
63. وَقَدْ لِلِاسْتِبْطَاءِ وَالتَّقْرِيرِ  
وغيرِ ذَا تَكُونُ وَالتَّحْقِيرِ
64. وَالْأَمْرُ وَهُوَ طَلَبُ اسْتِعْلَاءِ  
وَقَدْ لِأَنْوَاعٍ يَكُونُ جَائِي
65. وَالتَّهْيِئَةُ وَهُوَ مِثْلُهُ بِالْأَبْدَاءِ  
وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ وَالتَّنَادُ
66. وَقَدْ لِلِاخْتِصَاصِ وَالِإِغْرَاءِ  
يَجِيءُ ثُمَّ مَوْقِعَ الْإِنشَاءِ
67. قَدْ يَتَعَنَّعُ الْخَبَرُ لِلتَّنَادِ  
وَالْحَرَصِ أَوْ بِعَكْسِ ذَا تَأْمَلِ

### الباب السابع: الفصل والوصل

68. إِنْ نُزِّلَتْ تَالِيَةٌ مِنْ مَاضِيَةٍ  
كَنَفْسِيهَا أَوْ نُزِّلَتْ كَالْعَارِيَةِ
69. أَفْصَلُ وَإِنْ تَوَسَّطَتْ فَالْوَضَلُ  
بِجَمَاعٍ أَرَجَحُ ثُمَّ الْفَصَلُ

70. لِلْحَالِ أَصْلُهَا قَدْ سَلِمًا أَصْلٌ وَإِنْ مَرَجَّحَ تَحْتَمًا

### الباب الثامن: الإيجاز والإطناب

71. تَوْفِيَةُ الْمَقْصُودِ بِالنَّقْصِ مِنْ لَفْظٍ لَهُ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ إِنْ  
 72. بَزَائِدٍ عَنْهُ وَضَرْبًا الْأَوَّلِ قَصْرٌ وَحَذْفُ جُمْلَةٍ أَوْ جَمَلٍ  
 73. أَوْ جُزْءٍ جُمْلَةٍ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنْوَاعٌ وَمِنْهَا الْعَقْلُ  
 74. وَجَاءَ لِلتَّوْشِيْعِ بِالتَّقْصِيْلِ ثَانٍ وَالْإِعْتِرَاضِ وَالتَّنْذِيْلِ

### علم البيان

75. عِلْمُ الْبَيَانِ مَا بِهِ يُعْرَفُ إِيْرَادُ مَا طُرُقُهُ تَخْتَلِفُ  
 76. فِي كَوْنِهَا وَاضِحَةً الدَّلَالَةُ فَمَا بِهِ لَازِمٌ مَا وُضِعَ لَهُ  
 77. إِمَّا مَجَازٌ مِنْهُ إِسْتِعَارَةٌ تُنْبِي عَنِ التَّشْبِيهِ أَوْ كِنَايَةٌ  
 78. وَطَرَفًا التَّشْبِيهِ حَسِّيَّانِ وَلَوْ خَيَالِيًّا وَعَقْلِيَّانِ  
 79. وَمِنْهُ بِالْوَهْمِ أَوْ الْوَجْدَانِ أَوْ فِيهِمَا يَخْتَلِفُ الْجُزْآنِ  
 80. وَوَجْهُهُ مَا اشْتَرَكَ فِيهِ وَجَا ذَا فِي حَقِيقَتَيْهِمَا وَخَارِجًا  
 81. وَضَفَا فَحَسِّيٌّ وَعَقْلِيٌّ وَذَا وَاحِدٌ أَوْ فِي حُكْمِهِ أَوْ لَا كَذَا  
 82. وَالْكَأَفُ أَوْ كَأَنَّ أَوْ كَمِثْلِ أَدَاتُهُ وَقَدْ بَدِذَ فِعْلٍ  
 83. وَعَرَضٌ مِنْهُ عَلَى الْمَشَبِّهِ يُعْوَدُ أَوْ عَلَى مُشَبِّهِ بِهِ



84. فَبَاغِتَبَارِ كُلِّ رُكْنٍ اِقْسِمِ  
 85. مُفْرَدٌ أَوْ مُرَكَّبٌ وَتَارَهُ  
 86. بِجَعْلِ ذَا ذَاكَ ادَّعَاءٌ أَوْ لَهْ  
 87. أَصْلِيَّةٌ أَوْ لَا فَتَابِعِيَّةٌ  
 88. وَمَأْبِهِ لِأَزْمٍ مَعْنَى وَهُوَ لَا  
 89. إِزَادَةِ النَّسْبَةِ أَوْ نَفْسِ الصِّفَةِ  
 أَنْوَاعُهُ ثُمَّ الْمَجَازُ فَافْهَمِ  
 يَكُونُ مُرْسَلًا أَوْ اسْتِعَارَهُ  
 وَهِيَ إِنْ اسْمٌ جِنْسٍ اسْتُعِيرَ لَهُ  
 وَإِنْ تَكُنْ ضِدًّا تَهَكُّمِيَّةً  
 مُمْتَنِعًا كِنَايَةً فَاقْسِمِ إِلَى  
 أَوْ غَيْرِ هَذَيْنِ اجْتَهِدْ أَنْ تَعْرِفَهُ

### علم البديع

90. عِلْمُ الْبَدِيعِ وَهُوَ تَحْسِينُ الْكَلَامِ  
 91. ضَرْبَانِ: لَفْظِيٌّ كِتَابِيٌّ وَرَدٌ  
 92. وَالْمَعْنَوِيٌّ وَهُوَ كَالْتَسْهِيمِ  
 93. وَالْقَوْلِ بِالْمَوْجِبِ وَالتَّجْرِيدِ  
 94. وَالْعَكْسِ وَالرُّجُوعِ وَالْإِبْهَامِ  
 95. وَالسَّوْقِ وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّوْفِيقِ  
 بَعْدَ رِعَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْمَقَامِ  
 وَسَجْعِ أَوْ قَلْبِ وَتَشْرِيحِ وَرَدِ  
 وَالْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ  
 وَالْجَدِّ وَالطَّبَاقِ وَالتَّأَكِيدِ  
 وَاللَّفِّ وَالنَّشْرِ وَالِاسْتِخْدَامِ  
 وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّعْلِيْقِ

### خاتمة في: السرقات الشعرية

96. السَّرِقَاتُ ظَاهِرٌ فَالنَّسْخُ  
 97. وَالسَّلْخُ مِثْلُهُ وَغَيْرُ ظَاهِرِ  
 يُدْمُ لَا إِنْ اسْتُطِيبَ الْمَسْخُ  
 كَوَضْعِ مَعْنَى فِي مَحَلِّ آخِرِ

98. أَوْ يَشَّاهِبَانِ أَوْ ذَا أَشْمَلُ وَمِنْهُ قَلْبٌ وَاقْتِبَاسٌ يُنْقَلُ
99. وَمِنْهُ تَضْمِينٌ وَتَلْمِيحٌ وَحَلٌ وَمِنْهُ عَقْدٌ وَالتَّائِقُ إِنْ تَسَلُ
100. بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ انْتِقَالُ حُسْنُ الْخِتَامِ وَأَنْتَهَى الْمَقَالُ



# شرح المنظومة





## قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:

1. الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي إِضْطَفَّاهُ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ): (ال) في الحمد للاستغراق، وقيل: للجنس<sup>(1)</sup>، واللام في لفظ الجلالة للاختصاص أو الاستحقاق<sup>(2)</sup>.

(1) لام الاستغراق هي: الداخلة على واحد من الجنس لإفادة الاستغراق والشمول. وعلامتها صحة وقوع (كل) موقعها. وهي إما لاستغراق الأفراد كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ أي: كل فرد من أفراد الإنسان ضعيف.

أو لاستغراق صفات الأفراد، نحو: خالد الرجل. أي: الجامع لصفات الرجال المحمودة؛ إذ لو قيل: خالد كل رجل، على وجه المبالغة والمجاز لصحَّ، بمعنى أنه اجتمع فيه ما افرق في غيره من الرجال. ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: الكتاب الكامل في الهداية الجامع لصفات جميع الكتب المنزلة وخصائصها.

ولام الجنس هي: التي تدخل على لفظ الجنس لبيان حقيقته الذاتية القائمة في الذهن دون التعرض لأفراده. نحو: أهلك الناس الدينار والدرهم أي: جنسهما، وليس المراد كل فرد؛ فإن من الدينير والدرهم ما يكون زادًا لصاحبه إلى الجنة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي: من هذه الحقيقة لا من كل شيء اسمه ماء. ينظر: تعجيل الندى بشرح قطر الندى (ص: 91).

(2) قال ابن هشام: "ولام الجارة اثنتان وعشرون معنى:

أحدها: الاستحقاق، وهي: الواقعة بين معنى وذات نحو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿الْعِزَّةُ لِلَّهِ﴾ وَالْمَلِكُ لِلَّهِ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ، وَنَحْوُ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ و﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وَمِنْهُ: لِلْكَافِرِينَ النَّارُ أَي: عَذَابُهَا.

وَالثَّانِي: الْإِخْتِصَاصُ، نَحْوُ: الْجَنَّةُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا الْحَصِيرُ لِلْمَسْجِدِ، وَالْمَنْبِرُ لِلْخَطِيبِ، وَالسَّرْجُ لِلدَّابَّةِ، وَالْقَمِيصُ لِلْعَبْدِ وَنَحْوُ: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا﴾ ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ وَقَوْلِكَ: هَذَا الشَّعْرُ لِحَبِيبٍ، وَقَوْلِكَ: أَدُومٌ لَكَ مَا تَدُومُ لِي...". مغني اللبيب عن كتب الأعراب (ص: 275).

**والمعنى:** أنني أحمد الله تعالى في أول نظمي بجميع أنواع المحامد: ما حمد الله به نفسه، وما حمده به خلقه. وكل أنواع الحمد ثابتة لله تعالى مختصة به.

**وقد افتتح الناظم منظومته** بـ(الحمد لله)؛ اقتداء بكتاب الله الذي افتتح بسورة الحمد، وبه أيضاً افتتحت سور عدة في القرآن، واقتداء برسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الذي كان يفتتح خطبه المتنوعة بالحمد.

والله تعالى قد حمد نفسه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، وأمر عباده أن يحمده فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:111]، وقد حمده رسوله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فقال: (الحمد لله الذي أنقذه من النار<sup>(1)</sup>)، وأخبر أن الحمد (أحق ما قال العبد)<sup>(2)</sup> "أي: الحمد أحق ما قال العبد. أو هذا - وهو الحمد - أحق ما قال العبد. ففيه بيان: أن الحمد لله أحق ما قاله العباد؛ ولهذا أوجب قوله في كل صلاة، وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة، وفي كل أمر ذي بال. والحمد: ضد الذم. والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساويه مع البغض له"<sup>(3)</sup>.

وذكر الحمد بقالب الجملة الاسمية لإفادة الثبوت والدوام.

**(وصلى الله):** جاء ذكر الصلاة على النبي **صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** بلفظ الفعل الماضي لإفادة

(1) رواه البخاري (1356).

(2) رواه مسلم (477).

(3) مجموع الفتاوى (312/14).



تحقق ذلك، أو أنها جملة خبرية غرضها الدعاء، ومجيء الجملة الإنشائية في قالب الجملة الخبرية كثير وارد **(عَلَى رَسُولِهِ):** رسول: فَعُوْلٌ بِمَعْنَى مُفْعَلٍ، أَي: مُرْسَلٍ من قبل الله تعالى، قال الله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: 119] **(الَّذِي إِصْطَفَاهُ):** من الاصطفاء ومعناه: الاختيار، قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ [البقرة: 132]، **قال الراغب:** "الاصْطِفَاءُ: تَنَاوُلُ صَفْوِ الشَّيْءِ، كَمَا أَنَّ الْإِخْتِيَارَ: تَنَاوُلَ خَيْرِهِ، وَالْإِجْتِبَاءَ: تَنَاوُلَ جَبَابِيَّتِهِ، وَاصْطِفَاءُ اللَّهِ بَعْضَ عِبَادِهِ قَدْ يَكُونُ بِإِجْبَادِهِ تَعَالَى إِيَّاهُ صَافِيًّا عَنِ الشُّبُوبِ الْمَوْجُودِ فِي غَيْرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ بِإِخْتِيَارِهِ وَبِحُكْمِهِ، وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّ ذَلِكَ مِنَ الْأَوَّلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 75]، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾ (1).

**وفي اصطفاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** جاء عن وائلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى هَاشِمًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) (2).

**وأصل الاصطفاء:** الاصتفاء، ووزن "اصْطَفَى" افْتَعَلَ، لا افْطَعَلَ؛ لِأَنَّ أَصْلَ "اصْطَفَى" "اصْتَفَى" وأبدلت التا طاءً؛ لِمُنَاسَبَةِ الصَّادِ.

**وقد ثنى الناظم بالصلاة على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** بعد الحمد لله؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ كَانَ يَقْرُنُهَا بِالْحَمْدِ فِي افْتِتَاحِ خُطْبِهِ، وَبِذَلِكَ عَمَلُ خَلْفَاؤِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

(1) المفردات في غريب القرآن (ص: 488).

(2) رواه مسلم (2276).

**وصلاة الله على رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** ثناؤه عليه في الملائكة الأعلى، " قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللَّهِ: ثناؤه عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ: الدُّعَاءُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يُرْكُونَ<sup>(1)</sup>، ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]. **قال ابن حجر:** "قوله: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قَالَ: يُرْكُونَ عَلَى النَّبِيِّ أَي: يَدْعُونَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ. فَيُؤَافِقُ قَوْلَ أَبِي الْعَالِيَةِ، لَكِنَّهُ أَحْصَى مِنْهُ"<sup>(2)</sup>.

**وفضل الصلاة على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كبير؛ فقد قال في ذلك: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)<sup>(3)</sup>.

2. **مَحْمَدٌ وَإِلَيْهِ وَسَلَّمَ** وَبَعْدُ، قَدْ أَحْبَبْتُ أَنِّي أَنْظِمًا

**(محمَّد):** بدل من رسوله، و"محمد": علم منقول من اسم مفعول من حمَّد بالتشديد، سُمِّيَ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> بذلك؛ لكثرة خصاله المحمودة، **قال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجَلِّهُ فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ<sup>(4)</sup>

**قال ابن القيم:** "هَذَا الْإِسْمُ هُوَ أَشْهَرُ أَسْمَائِهِ <sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، وَهُوَ اسْمٌ مَنْقُولٌ مِنَ الْحَمْدِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنَ الْحَمْدِ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَى الْمَحْمُودِ وَمَحَبَّتَهُ وَإِجْلَالَهُ وَتَعْظِيمَهُ، هَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْحَمْدِ، وَبَنِي عَلَى زِنَةِ مَفْعَلٍ مِثْلَ مُعْظَمِ

(1) . صحيح البخاري (6 / 120).

(2) فتح الباري لابن حجر (8 / 533).

(3) رواه مسلم (384).

(4) شرح التصريح على التوضيح (8 / 1).



ومحَبَّبٌ ومَسُودٌ ومبجل ونظائرهما؛ لِأَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ مَوْضُوعٌ لِلتَّكْثِيرِ، فَإِنَّ اشْتِقَاقَ مِنْهُ اسْمَ فَاعِلٍ فَمَعْنَاهُ: مَنْ كَثُرَ صُدُورُ الْفِعْلِ مِنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؛ كَمَعْلَمٌ وَمفْهَمٌ وَمبِينٌ وَمخْلَصٌ ومفْرَجٌ ونَحْوَهَا، وَإِنْ اشْتَقَاقُ اسْمِ مَفْعُولٍ فَمَعْنَاهُ: مَنْ كَثُرَ تَكَرُّرُ وَقُوعِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِمَّا اسْتِحْقَاقًا أَوْ وَقُوعًا، فَمُحَمَّدٌ هُوَ: كَثُرَ حَمْدُ الْحَامِدِينَ لَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، أَوِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحْمَدَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى<sup>(1)</sup>.

**(وَالِه):** آل: أصلها: أهل، فأبدلت الهاء همزة فقيلاً: آل، ثم أبدلت الهمزة ألفاً فقيلاً: آل، ولم يجعل الألف بدلاً من الهاء ابتداءً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَثْبِتْ إِبْدَالَ الْأَلْفِ مِنَ الْهَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، فَيَحْمَلُ هَذَا عَلَيْهِ، وَيَثْبِتُ إِبْدَالَ الْهَمْزَةِ مِنَ الْهَاءِ فِي مَاءٍ، وَلَيْسَ أَصْلُ: آلٍ أَوَّلٌ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا فِي تَصْغِيرِهِ: أَهَيْلٌ لَا أَوَيْلٌ<sup>(2)</sup>.

وقد اختلف أهل العلم في تحديد من هم أهل بيت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ فِيهِمْ أَرْبَعَةَ أَقْوَالٍ:

1- هم الَّذِينَ حَرَمَتْ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ.

وَفِيهِمْ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ:

**أَحَدُهَا:** أَنَّهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَلَبِ. وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ.

**وَالثَّانِي:** أَنَّهُمْ بَنُو هَاشِمٍ خَاصَّةً. وَهَذَا مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالرَّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ عَنْ

(1) جلاء الأفهام (ص: 171).

(2) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (5033/10).

أحمد واختيار ابن القاسم صاحب مالك.

**وَالثَّالِثُ:** أَنَّهُمْ بَنُو هَاشِمٍ وَمَنْ فَوْقَهُمْ إِلَى غَالِبٍ، فَيَدْخُلُ فِيهِمْ: بَنُو الْمَطْلَبِ، وَبَنُو أُمِّيَّةَ، وَبَنُو نَوْفَلٍ وَمَنْ فَوْقَهُمْ إِلَى بَنِي غَالِبٍ. وَهَذَا اخْتِيَارُ أَشْهَبَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، حَكَاهُ صَاحِبُ "الْجَوَاهِرِ" عَنْهُ، وَحَكَاهُ اللَّخْمِيُّ فِي التَّبَصُّرَةِ عَنْ أَصْبَغٍ، وَلَمْ يَحْكِهِ عَنْ أَشْهَبٍ.

وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْآلِ -أَعْنِي: أَنَّهُمُ الَّذِينَ تَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الصَّدَقَةُ- هُوَ مَنْصُوصٌ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَالْأَكْثَرِينَ، وَهُوَ اخْتِيَارُ جُمْهُورِ أَصْحَابِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ.

2- هُمُ ذُرِّيَّتُهُ وَأَزْوَاجُهُ خَاصَّةً، حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي التَّمْهِيدِ.

3- هُمُ أَتْبَاعُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَقْدَمُ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ، وَرَوَاهُ عَنْهُ: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَاخْتَارَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، حَكَاهُ عَنْهُ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ فِي تَعْلِيْقِهِ، وَرَجَحَهُ الشَّيْخُ مَحْيِي الدِّينِ النُّوَاوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ، وَاخْتَارَهُ الْأَزْهَرِيُّ.

4- هُمُ الْأَنْقِيَاءُ مِنْ أُمَّتِهِ، حَكَاهُ الْقَاضِي حُسَيْنُ الرَّاعِبُ وَجَمَاعَةٌ (1).

وقد ذكر ابن القيم أدلة كل قول.

**ثم قال:** "وَالصَّحِيحُ: هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، وَيَلِيهِ الْقَوْلُ الثَّانِي، وَأَمَّا الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ فَضَعِيفَانِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَفَعَ الشُّبُهَةَ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحُلُّ لَالَ مُحَمَّدٍ)،

(1) جلاء الأفهام (ص: 210).

وَقَوْلُهُ: (إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ)، وَقَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْتًا)، وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عُمُومُ الْأُمَّةِ قِطْعًا، فَأُولَى مَا حَمَلَ عَلَيْهِ الْأَلُّ فِي الصَّلَاةِ: الْأَلُّ الْمَذْكُورُونَ فِي سَائِرِ أَلْفَاظِهِ، وَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْ ذَلِكَ<sup>(1)</sup>.

**(وَسَلَّمَ):** معطوف على "صلى" وسلم: فعل ماضٍ، وفاعلُه مستترٌ جوازاً يعود على "الله" جل وعلا، والألف فيه للإطلاق، أي: إطلاق الروي؛ وذلك بإشباع حركة الفتحة حتى يتولد منها حرف مجانس لها وهو الألف، والقافية التي آخرها حرف علة تسمى مطلقة.

وهذا الفعل (سَلَّمَ) مأخوذ من التسليم، ومعناه: دعاؤنا لرسولنا أن يسلمه الله من كل آفة، وهذا شامل له في حياته وبعد مماته.

**وقد جمع الناظم** في ذكر رسول الله بين الصلاة والسلام؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]. وقد كره بعض أهل العلم أفراد أحدهما دون الآخر؛ **قال النووي**: "وقد نص العلماء رضى الله عنهم على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه من غير تسليم، والله اعلم"<sup>(2)</sup>.

**(وَبَعْدُ):** كلمة: "بعد" هنا يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر، **وكان** صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأتون بأصلها وهو: "أما بعد" في خطبهم لذلك، ولكون أصلها ذلك لزم الفاء في حيزها، والأصل: مهما يكن من شيء بعد الحمدلة والصلاة على النبي

(1) جلاء الأفهام (ص: 223).

(2) شرح النووي على مسلم (1/44).

صلى الله  
عليه وسلم  
الهدية

"فهذا" (1).

والكثير أن تسبق هذه الكلمة بـ "أما" لا الواو؛ لأن من يحتاج بهم في اللغة نطقوا بها كذلك، فقد نطق بها كذلك النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** - كما سيأتي -، وكذلك جاءت في شعر العرب، فقد قال خطيب العرب سحبان:

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنِّي إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيْبُهَا

وقد تستعمل الواو بدل "أما" في النثر، وفي الشعر أيضاً كما في بيت الناظم؛ ليستقيم الوزن بدونها.

**(أَنِّي أَنْظِمًا):** جملة في محل نصب مفعول به للفعل المتعدي: أحبيت. والنظم: كلام مقفى موزون و**(أَنْظِمًا)**: نصب الفعل المضارع مع أنه لم يسبق بناصب؛ فإما أن يكون أصل الفعل بنون التوكيد الخفيفة "أَنْظِمَنَّ" ولما وقف عليه عامله معاملة التنوين الواقع بعد فتحة "فكما أنهم يدلونه في الوقف، إذا تبع المفتوح، ألفاً فتقول: رأيت زيدا، وأكرمت عمرا، فكذاك هنا، فهما متساويان في الوقف هنا، يحذفان مع المضموم والمكسور، ويبدلان ألفاً مع المفتوح" (2).

### قال ابن مالك:

وَأَبْدَلْنَهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلْفَا وَقَفَّا كَمَا تَقُولُ فِي قِفْنِ قَفَّا (3)

(1) المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية (ص: 10).

(2) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي = المقاصد الشافية (5/ 573).

(3) ألفية ابن مالك (ص: 55).



ومنه قول الأعشى:

فإيّاكِ والميِّتاتِ لا تَقْرَبَنَّها      ولا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللّهَ فَاعْبُدَا (1)

3. فِي عِلْمِي الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي      أَرْجُوزَةً لَطِيفَةً الْمَعَانِي

(فِي عِلْمِي): تشية علم، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (أَنْظِمًا)، (الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي) سيأتي تعريفهما في محليهما.

وتقديم الناظم هنا ذكر علم البيان على علم المعاني من أجل استقامة الوزن وخفته، وإلا فالأصل تقدم علم المعاني؛ لأنه كالبوابة لعلم البيان.

ولم يذكر الناظم في هذا البيت علم البديع مع أنه ذكره في آخر المنظومة ثالثاً؛ لضيق الوزن، أو لكونه داخلياً في علم البيان، أو لأن علمي المعاني والبيان هما الأصل؛ ولذلك استحوذا على أكثر أبيات المنظومة، لاسيما المعاني منهما، كما سيأتي.

ولعل هذا الصدر مع صدر البيت التالي مما دعا من سمي هذه المنظومة بمائة المعاني والبيان.

(أَرْجُوزَةً) أي: قصيدة من بحر الرجز، وجمعها: أراجيز (لَطِيفَةً الْمَعَانِي): اللطيفة: الدقيقة، فالمنظومة لوجازة ألفاظها تحتوي على معان دقيقة.

وفي هذا البيت المعاني في ضربه غير المعاني في عروضه؛ فمعاني الضرب:

(1) الكتاب لسيبويه (3/ 510).

جمع معنى وهو ضد اللفظ، وأما معاني العروض فالمراد بها علم المعاني المعروف؛ قسيم علمي البيان والبديع في علوم البلاغة، فبينهما جناس تام.

4. **أَبْيَاتُهَا عَن مَائَةٍ لَمْ تَزِدْ فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِّنْ حَسَدٍ**

**(أَبْيَاتُهَا):** أي: هذه الإرجوزة **(عَنْ مَائَةٍ لَمْ تَزِدْ)** الجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما. يعني: أن أبيات المنظومة في علوم البلاغة الثلاثة مع أبيات المقدمة والخاتمة؛ هي مائة بيت لا تزيد على ذلك ولا تنقص.

وقد أراد الناظم بالوقوف عند هذا العدد السير على المنهج الذي رسمه لنفسه في ألفيته التي تتضمن نظم عشرة فنون في كل فن مائة بيت؛ ولم يرد بذلك استقصاء كل ما في هذه العلوم؛ لأن هذا يصعب جعله في مائة بيت عن كل علم، ولكنه رام أن ينظم أهم ما فيها وماناسب إقامة الوزن بذكره في كل فن.

**(لَمْ تَزِدْ):** أصلها: لم تزيد، فالتقى ساكنان، فحذف الأول منهما؛ لكونه حرف علة، وحذفه ليس فيه إجحاف، وبقي الحرف الصحيح: الدال؛ لأن حذفه مؤثر، وغدا وزن تزد: تفل، وهو هنا فعل مضارع مجزوم بـ لم وعلامة جزمه السكون المقدر، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الروي بالكسرة.

**(فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِّنْ حَسَدٍ):** مقول هذا القول في جملة البيت التالي، وأما

**قوله: (غَيْرَ آمِنٍ مِّنْ حَسَدٍ):** فهو جملة اعتراضية بين القول والمقول؛ ف غير: حال من القائل منصوبة وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخره، ويجوز جعل " غير " صفة لمصدر محذوف وهو: قولاً، والتقدير: فقلت قولاً غير آمن؛ ولهذا إذا جعلنا



"غير" حالاً من الناظم، ف"آمن" اسم فاعل وفاعله مستتر تقديره "أنا" يعود على الناظم، وإذا قلنا: إنه وصف للمصدر المحذوف، فالفاعل في آمن يعود على القول، تقديره: هو.

**والمعنى:** أن هذا النظم الذي سأنظمه لا آمن بسبب حسنه من حسد حاسد، أو هذا النظم لا يأمن من حاسد يحسدني عليه.

وقد سمى الناظم ما سيأتي ذكره من أبيات -وهي مقول قوله- قولاً؛ لأن القول يشمل كل ملفوظ به.

### قال ابن مالك:

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَأَسْتَقِمُّ      وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفُ الْكَلِمِ  
وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ عَمٌّ      وَكَلِمَةٌ بِهَا كَلَامٌ قَدِيوْمٌ<sup>(1)</sup>

**قال الشاطبي:** "أي: عم جميع ما تقدم، يعني: أن يطلق القول على الكلام، ويطلق على الكلم وعلى الكلمة، فقولك: قام زيد كلام وقول، وقولك: زيد وعمرو كلم وقول، وقولك: زيد كلمة وقول أيضاً، فالقول أعم من كل واحد منها. وبالجملة: فالقول ينطلق على كل ملفوظ به؛ سواء كان مفرداً أم مركباً، مفيداً أم غير مفيد"<sup>(2)</sup>.

**وشكوى الناظم** من خوف الحسد إشارة منه أنه قد لقي من حسد الأقران ما

(1) ألفية ابن مالك (ص: 9).

(2) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي = المقاصد الشافية (1/ 42).

لقي. والتحاسد خلق رديء يصيب من حملة العلم من قصدهم الدنيا وحب الرئاسة فيها، وكراهة المنافس لهم عليها.

**وكم قد شكا بعض العلماء والأدباء من الحساد؛ يقول ابن هشام في نهاية كتابه " شرح قطر الندى ":** " وَهَذَا آخِرُ مَا أُرَدْنَا إِمْلَاءَهُ عَلَى هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ، وَقَدْ جَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَهْذَبُ الْمَبَانِي، مَشِيدُ الْمَعَانِي، مُحْكَمُ الْأَحْكَامِ، مُسْتَوْفِي الْأَنْوَاعِ وَالْأَقْسَامِ، تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنُ الْوُدُودِ، وَتَكَمَدَ بِهِ نَفْسُ الْجَاهِلِ الْحَسُودِ.

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرٌ لِأَيِّهِمْ      قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا  
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ      وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَجِدُ  
أَنَا الَّذِي وَجَدُونِي فِي صُدُورِهِمْ      لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُ"<sup>(1)</sup>

### وقال أبو الأسود:

وَتَرَى اللَّيِّبَ مُحْسَدًا لَمْ يَجْتَرِمِ      شَتَمَ الرَّجَالَ وَعَرَضَهُ مَشْتَوْمِ  
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيهِ      فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومِ  
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لِيُوجِّهَهَا      حَسَدًا وَظُلْمًا: إِنَّهُ لَدَمِيمٌ"<sup>(2)</sup>

**قال الجاحظ - مبيِّنًا خطر الحسد وسببه -:** " ويروى عن الحسن أنه قال: الحسد أسرع في الدِّين من النار في الحطب اليابس. وما أتى المحسود من حاسده إلا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ

(1) شرح قطر الندى وبل الصدى (ص: 333). والأبيات لبشار بن برد في ديوانه (628).

(2) شرح شواهد المغني (2/ 570).



عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿النساء: 54﴾. والحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضدّ الحق، وحرب البيان؛ فقد ذمّ الله أهل الكتاب به فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: 109]. منه تتولد العداوة، وهو سبب كلّ قطيعة، ومنتج كلّ وحشة، ومفرّق كلّ جماعة، وقاطع كلّ رحم بين الأقرباء، ومحدث التفرّق بين القرناء، وملقح الشرّ بين الخلطاء، يكمن في الصدر كمنون النار في الحجر" (1).

### شروط فصاحة اللفظ المفرد

5. فَصَاحَةُ الْمُفْرَدِ فِي سَلَامَتِهِ مِنْ نُقْرَةٍ فِيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهِ  
6. وَكَوْنِهِ مُخَالَفَ الْقِيَاسِ .....

(فَصَاحَةُ): الْفَصَاحَةُ: الْبَيَانُ، وَمَدَارُ تَرْكِيْبِ الْفَصَاحَةِ عَلَى الظُّهُورِ، وَلَقَدْ فَصَّحَ فَصَاحَةً فَهُوَ فَصِيحٌ، وَهُوَ الْبَيِّنُ فِي اللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ (2).

(وَكُوْنِهِ مُخَالَفَ): أَي: وَكَوْنِ الْمَفْرَدِ، وَمُخَالَفَ: اسْمُ فَاعِلٍ، وَهُوَ خَبْرٌ كَوْنِ. (الْقِيَاسُ): الْقِيَاسُ: رَدُّ الشَّيْءِ إِلَى نَظِيرِهِ (3). والمراد هنا: القاعدة المطردة التي سار عليها أهل اللغة. وسيأتي بيانه أكثر.

(1) الرسائل الأدبية (ص: 116).

(2) تاج العروس (7/ 18).

(3) المعجم الوسيط (2/ 770).

وقد اختلف البلاغيون في الفرق بين البلاغة والفصاحة إلى قولين:

**القول الأول:** ليس هناك فرق بين البلاغة والفصاحة، بل هما مترادفان.

**قال أبو هلال-** بعد أن عرف البلاغة والفصاحة لغة-: "وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له"<sup>(1)</sup>.

**وقال فخر الدين الرازي:** "وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة، بل يستعملونهما استعمال الشئيين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما"<sup>(2)</sup>.

**وهذا صنيع عبد القاهر** من عدم التفريق بينهما حيث قال: "فصل: في تحقيق القول على البلاغة" والفصاحة، والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك، مما يُعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض، من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، وراموا أن يُعلّموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم"<sup>(3)</sup>.

**ويشهد للترادف قول الجوهري في الصحاح:** "والبلاغة: الفصاحة"<sup>(4)</sup>.

وعلى هذا الرأي فمرجعهما وما شاكلهما النظم والكلام دون الألفاظ

(1) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 7).

(2) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 50).

(3) دلائل الإعجاز (1/ 43).

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (4/ 1316).



المجردة والكلمات المفردة<sup>(1)</sup>.

**القول الثاني:** بين البلاغة والفصاحة فرق؛ فالفصاحة: يوصف بها المفرد والكلام والتمكلم، والبلاغة: يوصف بها الأخيران فقط. وهذا ما ذكره القزويني<sup>(2)</sup>.

**ثم قال بعضهم:** البلاغة لا توجد في الكلمة، فكانت أخص من الفصاحة فبذا قدمت الفصاحة عليها؛ لتقدم العام على الخاص؛ لأن الخاص عام مع شيء آخر.

**وقيل:** وليست الفصاحة أعم من البلاغة، ولا العكس، بل الفصاحة جزء البلاغة<sup>(3)</sup>.

**وقال أبو هلال:** "وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان؛ فلهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى فصيحاً؛ إذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة؛ ويوصف كلامه بالفصاحة؛ لما يتضمن من تمام البيان. والدليل على ذلك: أن الأثغ والتمتام لا يسميان فصيحين؛ لنقصان آلتهما عن إقامة الحروف. وقيل: زياد الأعجم؛ لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف، وكان يعبر عن الحمار بالهمار، فهو أعجم، وشعره فصيح؛ لتمام بيانه.

**فعلى هذا** تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين؛ وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى؛ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب، فكأنها مقصورة على المعنى. ومن الدليل على أن

(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للهاشمي (ص: 14).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 55).

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 55).

الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى: أن البَّغَاءَ يسمى فصيحاً، ولا يسمى بليغاً؛ إذ هو مقيم الحروف، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤدِّيه.

وقد يجوز مع هذا أن يسمَّى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السبك، غير مستكره فجّ، ولا متكلّف وخم، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء؛ لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف<sup>(1)</sup>.

**وقال الأبشيهي** -عقب قول الرازي السابق-: "وقد اختلف الناس في الفصاحة؛ فمنهم من قال: إنها راجعة إلى الألفاظ دون المعاني، ومنهم من قال: إنها لا تخص الألفاظ وحدها. واحتج من خص الفصاحة بالألفاظ بأن قال: نرى الناس يقولون: هذا لفظ فصيح، وهذه الألفاظ فصيحة، ولا نرى قائلاً يقول: هذا معنى فصيح، فدل على أن الفصاحة من صفات الألفاظ دون المعاني.

**وإن قلنا:** إنها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح، وذلك غير مألوف في كلام الناس. والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحاً حسناً<sup>(2)</sup>.

### انقسام الكلام إلى لفظ مفرد ومركب:

لجعل اللفظ المفرد فصيحاً فيقال: كلمة فصيحة أو مفردة فصيحة؛ لا بد من توفر ثلاثة شروط عدمية فيه، وهذا ما ذكره الناظم؛ فقد ذكر أن فصاحة المفرد تكون بسلامته من التنافر، والغرابة، ومخالفة القياس.

(1) الصناعتين (ص: 7).

(2) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: 51).



**الشرط الأول: السلامة من التنافر:**

**والتنافر هو:** وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان، وعسر النطق بها؛ كاجتماع الهاء والعين من غير فصل؛ مثل كلمة: **الهعجع** (1).

وقد ورد عن بعض الأئمة إنكار هذه الكلمة، وصبوا كلمة مقاربة لها؛ قال ابن دريد: "وَقَالَ الْخَلِيلُ: سَمِعْنَا كَلِمَةَ شَنْعَاءَ: الْهَعَجَعُ، فَأَنْكَرْنَا تَأْلِيفَهَا. وَسُئِلَ أَعْرَابِيٌّ عَنْ نَاقَتِهِ فَقَالَ: تَرَكْتَهَا تَرعى الْهَعَجَعُ، فَسَأَلْنَا الثَّقَاتَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَعْرِفُ الْخَعَجَعُ، فَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى التَّأْلِيفِ" (2).

و"لقد جمعت لفظة "الهعجع" القبح من أطرافه؛ لأن جميع حروفها حلقيّة، وحرف حلقي واحد يبعث على الثقل، فكيف إذا اجتمع الهاء والعين والخاء في كلمة واحدة" (3).

**قال ابن سنان:** "ولحروف الحلق مزية في القبح إذا كان التأليف منها فقط، وأنت تدرك هذا وتستقبحه كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان، وبعض النغم من الأصوات" (4).

**ومن الأمثلة على التنافر: قول امرئ القيس:**

(1) التعريفات (ص: 68).

(2) جمهرة اللغة (1/ 47).

(3) أساليب بلاغية (ص: 45).

(4) سر الفصاحة (ص: 64).

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْمَدَارَى فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ (1)

"لفظ "مستشزرات" من المتنافر الذي يثقل على اللسان، ويعسر النطق به" (2).

وهذه الكلمة "ثقيلة؛ لتوسط الشين التي هي من الحروف المهموسة الرخوة بين التاء التي هي من المهموسة الشديدة، والزاي التي هي من المجهورة الرخوة" (3).

**قال ابن الأثير:** "مما يدخل في هذا الباب: أن تجتنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها، سواء كانت طويلة أو قصيرة، ومثال ذلك قول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي هي من جملة القصائد السبع الطوال:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْمَدَارَى فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ

فلفظة "مستشزرات" مما يقبح استعمالها؛ لأنها تثقل على اللسان، ويشق النطق بها، وإن لم تكن طويلة؛ لأننا لو قلنا: "مستنكرات" أو "مستنقرات" على وزن "مستشزرات" لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة.

ولربما اعترض بعض الجهال في هذا الموضوع، وقال: إن كراهة هذه اللفظة إنما هو لطولها.

(1) ديوان امرئ القيس (ص: 4). الغدائر: الذوائب، واحدها: غديرة، ومستشزرات: مرفوعات،

وأصل الشزر: الفتل على غير جهة لكثرتها. شرح القصائد العشر (ص: 31).

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 275).

(3) أساليب بلاغية (ص: 45).



وليس الأمر كذلك؛ فإنَّ لو حذفنا منها الألف والتاء قلنا: "مستشزر" لكان ذلك ثقيلاً أيضاً، وسببه: أن الشين قبلها تاء، وبعدها زاي، فثقل النطق بها، وإلا فلو جعلنا عوضاً من الزاي راء ومن الراء فاء، فقلنا: "مستشرف" لزال ذلك الثقل.

ولقد رأني بعض الناس وأنا أعيب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار إليها، فأكبر ذلك؛ لوقوفه مع شهرة التقليد في أن امرئ القيس أشعر الشعراء، فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة، وقلت له: لا يمنع إحسان امرئ القيس من استقباح ما له من القبح، ومثال هذا كمثال غزال المسك؛ فإنه يخرج منه المسك والبر، ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره، ولا تكون لذذة الطيب حامياً للخبث من الاستكراه، فأسكت الرجل عند ذلك<sup>(1)</sup>.

### الشرط الثاني: السلامة من الغرابة .:

"والغرابة: أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقر عنها في كتب اللغة المبسوطة.

كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمارة، فاجتمع عليه الناس، فقال: ما لكم تكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنّة، افرنقوا عني، أي: اجتمعتم، تنحوا.

أو يخرج لها وجه بعيد كما في قول العجاج:

وَمُقْلَةٌ وَحَاجِبٌ مُزَجَّجًا      وَفَاحِمٌ وَمَرَسِنٌ مُسْرَجًا

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (1/205).

فإنه لم يعرف ما أراد بقوله "مسرجاً"، حتى اختلف في تخريجه: فقيل: هو من قولهم للسيوف: سريجية، أي: منسوبة إلى قين يقال له: "سريج"، يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السرجي، وقيل: من السراج، يريد أنه في البريق كالسراج. وهذا يقرب من قولهم: سرج وجهه أي: حسن، وسرج الله وجهه أي: بهجه وحسنه" (1).

**ومن هذا يتبين أن الغرابة نوعان:** نوع يحتاج المرء في معرفة معناه رجوعاً إلى معاجم اللغة، ونوع يخرج معناه على وجه بعيد؛ لوجود الاشتراك في اللفظ بلا قرينة تعين أحد المعاني.

**وقال ابن خفاجة:** "فإن المرسن: الأنف، والمسرج لا يعرف، حتى خرج له أنه أراد بالمسرج: المحدد، من قولهم: للسيوف: السريجيات؛ منسوبة إلى قين يعرف بسريج. وهذا القصد على ما تراه وحشى غريب" (2).

**غير أن ابن الأثير يرى** رأياً مفصلاً في الغريب اللفظي؛ حيث يقول: "وقد خفي الوحشي على جماعة من المتممين إلى صناعة النظم والنثر، وظنوه المستقبح من الألفاظ وليس كذلك، بل الوحشي ينقسم قسمين: غريب حسن. والآخر: غريب قبيح.

وذلك أنه منسوب إلى اسم الوحش الذي يسكن القفار، وليس بأنيس،

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 23).

(2) سر الفصاحة (ص: 70).



وكذلك الألفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال، وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبلاً، بل أن يكون نافرًا لا يألف الإنسان، فتارة يكون حسنًا، وتارة يكون قبيحًا.

**وعلى هذا** فإن أحد قسمي الوحشيّ - وهو الغريب الحسن - يختلف باختلاف النسب والإضافات.

**وأما القسم الآخر من الوحشيّ** - الذي هو قبيح - فإن الناس في استقباحه سواء، ولا يختلف فيه عربي بادٍ، ولا قروي متحضر.

وأحسن الألفاظ ما كان مألوفًا متداولًا؛ لأنه لم يكن مألوفًا متداولًا إلا لمكان حسنه، وقد تقدّم الكلام على ذلك في باب الفصاحة؛ فإن أرباب الخطابة والشعر نظروا إلى الألفاظ ونقّبوا عنها، ثم عدّلوا إلى الأحسن منها فاستعملوه، وتركوا ما سواه، وهو أيضًا يتفاوت في درجات حسنه" (1).

### **الشرط الثالث: السلامة من مخالفة القياس:**

مخالفة القياس هي: كون الكلمة شاذة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح مثل الأجلل في قول أبي النجم:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ أَنْتَ مَلِيكُ النَّاسِ رَبًّا فَاقْبَلِ (2)

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (1/ 175).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 23).

"لأن قياس التصريف: الأجل؛ لاجتماع المثليين، وتحرك الثاني، وذلك يوجب الإدغام" (1).

**قال القلقشندي:** "الصفة الرابعة من صفات اللفظ المفرد الفصيح: ألا يكون على خلاف القانون المستنبط من تتبع مفردات ألفاظ اللغة العربية وما هو في حكمها؛ كوجوب الإعلال في نحو: قام، والإدغام في نحو: مدّ، وغير ذلك مما يشتمل عليه علم التصريف، فإنه لو فكّ الإدغام في مدّ فقال: مدد لم يكن فصيحًا، وعلى حدّ ذلك جاء قول بعض العرب: (الحمد لله العليّ الأجلل)؛ فإنّ قياس بابه الإدغام فيقال: الأجلّ.

**قال الشيخ سعد الدين التفتازاني** في شرح التلخيص: وأما نحو: أباي، وعور، واستحوذ، وقطط شعره، وما أشبه ذلك من الشواذ الثابتة؛ فليست من المخالفة في شيء؛ لأنها كذلك ثبتت عن الواضع، فهي في حكم المستثناة" (2).

هذا عند أهل البلاغة، أما أهل النحو فلهم رأي آخر؛ فهم يرون أن ذلك من باب الضرورة التي تجوز للشاعر؛ قال المبرد: "وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا اضْطَرَّ رَدَّ هَذَا الْبَابَ إِلَى أَصْلِهِ، وَإِنْ كَانَ يَرَى الْقَوْلَ الْأَوَّلَ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ لِلضَّرُورَةِ أَنْ يَقُولَ: رَدَدَ فِي مَوْضِعِ رَدٍّ؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ كَمَا قَالَ: (الحمد لله العليّ الأجلل ...)" (3).

**وقال العكبري** عن الشاعر: "ويجوز له إظهار المدغم؛ لأنه الأصل كما أنّ

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/63).

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/278).

(3) المقتضب (1/141).



الأصل التصحيح، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: ( ... الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجْلَلِ )<sup>(1)</sup>.

**ويقول ابن السراج**- مبيناً صوراً من الضرورة المشروعة وضابطها-: "ضرورة الشاعر أن يُضطرَّ الوزنُ إلى حذفٍ أو زيادةٍ أو تقديمٍ أو تأخيرٍ في غير موضعه وأبدالٍ حرفٍ أو تغييرٍ إعرابٍ عَنْ وجهه على التأويل، أو تأنيثٍ مُذكرٍ على التأويل. وليس للشاعر أن يحذف ما اتفق له، ولا أن يزيد ما شاء، بل لذلك أصولٌ يعمل عليها؛ فمنها ما يحسنُ أن يستعمل ويُقاس عليه، ومنها ما جاء كالشاذِّ، ولكنَّ الشاعرَ إذا فَعَلَ ذلكَ فلا بُدَّ مِنْ أن يكونَ قَدْ ضارَعَ شيئاً بشيءٍ، ولكنَّ التشبيهَ يختلفُ؛ فمنه قَرِيبٌ، ومنه بَعِيدٌ"<sup>(2)</sup>.

**قال القلشقندي**- معقِّباً على هذه الشروط، وقد ذكرها بنعت الصفات التي لا يحسن اللفظ المفرد إلا بها-: "فهذه الصفات الأربع هي عمود الفصاحة في اللفظ المفرد، وقطب دائرة حسنه، فمتى اتصف بها وسلم من أضدادها كان بالفصاحة متَّسماً، وبالحسن والرونق مشتملاً، وللطبع ملائماً، وللسمع موافقاً؛ ومتى عري عن ذلك خرج عن طرائق الفصاحة، وحاد عن سبيل الحسن، ومال إلى الهجنة، فمَجَّه السمع، وقلاه الطبع، ورفضته النفوس، ونفرت منه القلوب، فلزم العيب قائله، وتوجه العتب على مستعمله"<sup>(3)</sup>.

(1) اللباب في علل البناء والإعراب (2/ 99).

(2) الأصول في النحو (3/ 435).

(3) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 278). والرابعة عنده: قوله: "الصفة الثانية: اللفظ الفصيح: ألا يكون مبتدلاً عامياً، ولا ساقطاً سوقياً. واللفظ المبتذل على قسمين.."، وأطال الكلام عن هذا وأكثر التمثيل عليه. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 267).

## شروط فصاحة الكلام

- ..... ثُمَّ الْفَصِيحُ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
7. مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ سَلِيمًا وَلَمْ يَكُنْ تَأْلِيفُهُ سَقِيمًا
8. وَهُوَ مِنَ التَّعْقِيدِ أَيْضًا خَالٍ .....

**(تَنَافُرٍ):** تباعد (سَلِيمًا) متعلقه: ما تقدمه من الجار والمجرور **(تَأْلِيفُهُ):** ضم بعضه إلى بعض **(سَقِيمًا):** ضعيفا **(وَهُوَ) أي:** الكلام، وسكن الهاء ليستقيم الوزن، وهي لغة وبها قرأ بعض القراء، **(التَّعْقِيدِ):** يقال: انعقد الكلام: أعيا فهمه؛ لسوء تركيبه أو خفاء معناه<sup>(1)</sup> **(أَيْضًا):** مفعول مطلق لفعل محذوف **تقديره:** آض، بمعنى: رجع وعاد **(خَالٍ):** خالٍ: فارغ، والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به، والتقدير: وهو خال من التعقيد.

بعد أن ذكر الناظم شروط فصاحة اللفظ المفرد ذكر شروط فصاحة اللفظ المركب وهو الكلام؛ فذكر هنا ثلاثة شروط كما ذكر مثلها هناك.

## الشرط الأول: سلامة الكلام من التنافر:

والتنافر في الكلام أن تكون كلماته "ثقيلة على اللسان، وإن كان كل منها فصيحًا"<sup>(2)</sup>.

(1) المعجم الوسيط (2/ 614).

(2) حلية اللب المصون (45).



وهذا التنافر نوعان:

**الأول:** ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان، وعسر النطق بها

متتابعة<sup>(1)</sup>؛ **كقول الشاعر:**

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٌ      وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

فحروف كلمات هذا البيت " متقاربة ومكررة؛ ولهذا يثقل النطق به، حتى يزعم بعض الناس أنه من شعر الجن، ويختبر المتكلم بإنشاده ثلاث مرات من غير غلط ولا توقف"<sup>(2)</sup>.

**قال الجاحظ:** "ومن ألفاظ العرب: ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت

شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه؛ **فمن ذلك قول الشاعر:**

وقبر حرب بمكان قفر      وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن ينشد هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا يتعتع ولا يتلجلج، وقيل لهم: إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن؛ صدقوا بذلك"<sup>(3)</sup>.

**وقال ابن الأثير عند هذا البيت:** "ألا ترى إلى هذه الرءاءات، والقافات التي في

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/30).

(2) سر الفصاحة (ص: 98).

(3) البيان والتبيين (1/74). وأما في كتابه "الحيوان" فقد ذكر ذلك من غير استبعاد النسبة إلى

الجن. الحيوان (6/423). وأما من نسبه إلى الجن فيذكر بعضهم قصة في ذلك. ينظر

تفصيلها في: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (1/34).

هذا البيت من الشعر، فإنها في تتابعها كالسلسلة، ولا خفاء بما على الناطق بها من الكلفة، وليس الكلام العاري من ذلك بمعوز ولا بعزيز، ولا هو بالذي لا يستطيعه إلا الشاعر المبرز أو الكاتب المفلق، بل هو مما يصعب النطق به؛ ولذلك كان كلام الناس في محاوراتهم، ومكاتباتهم خالياً من هذا القبيل؛ وذلك لأنه لا يحصل إلا بالتكلف والقصد للإتيان به، فأما إذا أرسل الإنسان نفسه على سجيته، وخلي بينها وبين طبعها فإنه لا يعرض له ذلك. فليت شعري أي أمر يضطر مؤلف الكلام حتى يأتي به مستكرهاً ثقيلاً على اللسان، ويترك ما هو أسهل عليه" (1).

### الثاني: ما هو أدنى من النوع الأول؛ كقول الشاعر:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي

**فقوله:** "أمدحه أمدحه" فيه بعض الثقل على اللسان في النطق؛ وذلك أن الحاء والهاء متقاربان في المخرج، وقد اجتمعا في قوله: "أمدحه"، ثم تكررت الكلمة في البيت مع تقارب مخرج الحرفين فثقلت بعض الثقل" (2).

**قال القزويني:** "فإن في قوله: "أمدحه" أمدحه ثقلاً؛ لما بين الحاء والهاء من التنافر" (3).

**قال المعلق عليه:** "وهناك فرق آخر بين البيت والبيت الذي قبله؛ وهو: أن منشأ الثقل في الأول نفس اجتماع الكلمات، وفي البيت الثاني اجتماع حروف منها،

(1) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمشور (ص: 273).

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 291).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 31).



ومجموع الحروف التي في الكلمتين التي حصل الثقل باجتماعها أربعة وهي: الحاءان والهاءان، فما ذكر من مجموع الحروف التي حصل الثقل باجتماعها حاصل مع تكرير أمدحه، ولو قال: وفي الثاني تكرير حروف منها لكان أوضح وأخصر. أما ثقل مجرد الجمع بين الحاء والهاء فلا يخل بالفصاحة؛ لوقوعه في التنزيل كما في قوله: ﴿فسبحه﴾<sup>(1)</sup>.

**وقال ابن رشيق:** "بالتكرير في" أمدحه أمدحه" مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة، وهما معاً من حروف الحلق، وقال: هو خارج عن حد الاعتدال، نافر كل النفار، حكى ذلك عنه الصاحب بن عباد"<sup>(2)</sup>.

وهذا البيت مما عيب -بما ذكرنا- على أبي تمام<sup>(3)</sup>.

### الشرط الثاني: سلامته من ضعف التأليف:

**وضعف التأليف هو:** "أن يكون تأليف الكلمات في الجمل، أو إجراؤها الإعرابي على خلاف المشهور المتبع من قواعد النحو، أو فيه لحنٌ نحويٌّ أو صرفي، واللحنُ في اللغة ليس من فصيحها، بل هو من عاميها، أو من نطق الدخلاء على أهلها ممن ليسوا منها، أو من نطق أطفال الأمة الذين لم يتمرسوا بقواعد لغتهم"<sup>(4)</sup>.

### ومن أمثلة ما فيه ضعف التأليف:

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 31).

(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (2/ 264).

(3) سر الفصاحة (ص: 102).

(4) البلاغة العربية (1/ 120).

1- عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظًا وَرُتْبَةً، بَيْنَمَا الْأَصْلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى مُتَقَدِّمٍ فِي اللَّفْظِ أَوْ الرُّتْبَةِ.

**كقول حسان بن ثابت** - يرثي مُطْعِمَ بَنِ عَدِيٍّ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ يُدَافِعُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ وَاحِدًا      مِنْ النَّاسِ أَبْتَقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمًا

فَأَعَادَ الضَّمِيرُ فِي "مَجْدُهُ" عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظًا وَرُتْبَةً وَهُوَ "مُطْعِمًا" عَلَى خِلَافِ قَانُونِ التَّأْلِيفِ الْمُتَّبِعِ الْمَشْهُورِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذَا مِنَ الْعِيُوبِ الْمَخْلَّةِ بِالْفَصَاحَةِ.

**والمعنى:** ولو أن مجداً مهما كان عظيماً جعل من يتصف به يخلد طوال الدهر، لكان مجدٌ مُطْعِمٌ بنِ عديٍّ جعله خالداً<sup>(1)</sup>.

**ومن أمثلة ضعف التأليف أيضاً- إضافة لما تقدم:-**

2- استعمال الضمير المنفصل مع إمكان استعمال الضمير المتصل، واستعمال الضمير المتصل في حالٍ وجوب استعمال الضمير المنفصل.

3- نصبُ الفعل المضارع أو جزمُهُ بدونِ ناصبٍ أو جازمٍ.

4- تقديم غير الأعراف في الجملة الاسميّة على الأعراف.

5- تقديم المعمول على عامله مع عدم جواز ذلك، أو مع عدم وجودٍ مقتضٍ لَهُ بلاغيّاً.

6- مجيء الضمير المتصل بعد أداة الاستثناء "إلا"<sup>(2)</sup>.

(1) البلاغة العربية (1/ 121).

(2) تنظر الأمثلة على ذلك وشرحها في: البلاغة العربية (1/ 121) وما بعدها.



**الشرط الثالث: سلامة الكلام من التعقيد:**

**قال السكاكي:** "والمراد بتعقيد الكلام هو: أن يُعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويُشيك طريقك على المعنى، ويُوعر مذهبك نحوه، حتى يقسم فكرك ويُشعب ظنك، على أن لا تدري من أين تتوصل، وبأي طريق معناه يتحصل!"<sup>(1)</sup>.

**وقال القزويني:** "والتعقيد: أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به"<sup>(2)</sup>.

**وتعقيد الكلام نوعان:**

**الأول: التعقيد اللفظي:** "وهو: أن يختل نظم الكلام، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه"<sup>(3)</sup>.

**وقيل:** "الكلام الخالي من التعقيد اللفظي: ما سلم نظمه من الخلل، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك، إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية"<sup>(4)</sup>.

**ومن أمثله:** قول الفرزدق - يمدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي  
خال هشام بن عبد الملك بن مروان -:

(1) مفتاح العلوم (ص: 416). أخذه عن عبد القاهر مع تغيير طفيف: أسرار البلاغة (ص: 147).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (1/31).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (1/31).

(4) الإيضاح في علوم البلاغة (1/33).

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا      أَبُو أُمَّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

**فقال:** "وما مثله -يعني: إبراهيم الممدوح- في الناس، حي يقاربه -أي: أحد يشبهه في الفضائل- إلا مملكًا يعني: هشامًا، أبو أمه -أي: أبو أم هشام- أبوه -أي: أبو الممدوح- فالضمير في "أمه" للملك، وفي "أبوه" للممدوح، ففصل بين "أبو أمه" -وهو مبتدأ- و"أبوه" -وهو خبره- ب"حي" -وهو أجنبي-، وكذا فصل بين "حي" و"يقاربه" وهو نعت "حي" -ب"أبوه"- وهو أجنبي، وقدم المستثنى على المستثنى منه. فهو كما تراه في غاية التعقيد"<sup>(1)</sup>.

"فانظر أتتصور أن يكون ذلك للفظه من حيث إنك أنكرت شيئًا، من حروفه، أو صادفت وحشيًا غريبًا، أو سوقيًا ضعيفًا؟ أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر، على موجب ترتيب المعاني في الفكر، فكدّ وكدرّ، ومنع السامع أن يفهم الغرض إلا بأن يقدم ويؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام، وإبعاد المرام، وصار كمن رمى بأجزاء تتألف منها صورة، ولكن بعد أن يراجع فيها بابًا من الهندسة؛ لفرط ما عادي بين أشكالها، وشدة ما خالف بين أوضاعها"<sup>(2)</sup>.

**قال المبرد:** "يعني ب"المملك: هشامًا، أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحًا، وكان يكون إذا وضع الكلام في موضعه أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/32).

(2) أسرار البلاغة في علم البيان (ص: 25).



فيه من التقديم والتأخير، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد<sup>(1)</sup>.

**وقال ابن الأثير:** "وقد استعمل الفرزدق من التعاضل كثيرًا، كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده؛ لأن مثله لا يجيء إلا متكلفًا مقصودًا. وإلا فإذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيتهما، وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد؛ ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار إليه؛ إذ المقصود من الكلام إنما هو الإيضاح، والإبانة وإفهام المعنى، فإذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به، ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية، والرومية وغيرها"<sup>(2)</sup>.

**النوع الثاني: التعقيد المعنوي:** "وهو: ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني -الذي هو لازمه والمراد به- ظاهرًا"<sup>(3)</sup>.

"ويكون باستخدام لوازم فكرية بعيدة، أو خفية العلاقة، أو استخدام كنيات من العسير إدراك المراد منه؛ لعدم اقترانها بما يشير إلى دلالاتها المرادة، فيَنجُمُ عَنْهُ خفاءً دلالة الكلام، وصعوبة التوصل إلى معرفة المراد منه من قِبَلِ أَهْلِ الْفِكْرِ والاستنباط، أو من قِبَلِ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ إِذَا كَانَ الْمُخَاطَبُونَ بِهِ دُونَ مَسْتَوَى أَهْلِ الْفِكْرِ والاستنباط"<sup>(4)</sup>.

(1) الكامل في اللغة والأدب (28 / 1).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (181 / 2).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (33 / 1).

(4) البلاغة العربية (125 / 1).

## كقولِ العباسِ بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا      وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا

"أي: سأطلبُ بعدَ الدَّارِ عنكم، وأنحَمَلُ آلامَ الفراق، وأصْبِرُ عليه؛ لأنَّ عاقبة الألم والصبر الفرجُ، وحين يأتي الفرجُ يكون قُرْبُ دائم، ووصلُ مستمرٌ مصحوبٌ بسرور لا ينقطع. وقد أبعد في هذه الكناية؛ لكثرة لوازمها الذهنيَّة التي لا تُدرَكُ إلاَّ بإجْهادٍ ذهنيٍّ، على أنَّ هذا المعنى حَسَنٌ طرقُهُ الشعراء والأدباء وأهل الفكر، منه ما أجاب به الربيع بن خيثم وقد صَلَّى ليلةً حَتَّى أَصْبَحَ، إذ قيل له: أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ. فقال: راحَتَهَا أَطْلُبُ. أي: أطلبُ راحَتَهَا الدائمة يوم الدين بِاتِّعَابِهَا في العبادة في الدنيا"<sup>(1)</sup>.

**قال القزويني:** "كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن، وأصاب؛ لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه.. ثم طرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكنى عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود؛ لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ؛ لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة، وإنما يكون كناية عن البخل.. ولو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعى به للرجل، فيقال: لا زالت عينك جامدة، كما يقال: لا أبكى الله عينك. وذلك مما لا يشك في بطلانه"<sup>(2)</sup>.

(1) البلاغة العربية (1/ 125).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 33).



## بلاغة الكلام والمنتكلم

وإن يَكُنْ مُطَابِقًا لِلْحَالِ .....

9. فَهُوَ الْبَلِيعُ وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ وَبِالْفَصِيحِ مَنْ يُعَبَّرُ نَصْفُهُ

(وإن يَكُنْ): أي: الكلام الفصيح (مُطَابِقًا): موافقًا (لِلْحَالِ) الحال: الشأن والأمر. والمراد به: الأمر الذي يستدعي الكلام على وجه مخصوص (فَهُوَ الْبَلِيعُ): الضمير يعود على الكلام. والبليغ: نعت للخبر المحذوف والتقدير: فهو الكلام البليغ. والبليغ: اسم فاعل.

يريد بهذا: أن بلاغة الكلام هي: مطابقتها لمقتضى الحال، وزاد بعضهم قيد: مع فصاحته. فالكلام البليغ هو: ما طابق مقتضى الحال مع فصاحته.

والأزمنة والأمكنة وأحوال المخاطبين تختلف، فالبلاغة تقتضي أن يُختار الكلام الفصيح المناسب لكل حال.

" ومقتضى الحال مختلف؛ فإن مقامات الكلام متفاوتة؛ فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي. وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام.. إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع. وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقتها للاعتبار

المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له. فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب<sup>(1)</sup>.

**(وَالَّذِي يُؤَلَّفُهُ):** يجمعه ويضعه بلسانه أو بينانه، والمعنى: الذي يؤلف الكلام البليغ بليغ، فلضيق النظم ذكر المبتدأ وهو اسم الموصول، وحذف الخبر وهو بليغ؛ بدليل ما قبله.

وليس المراد بأن من جمع كلاماً بليغاً يكون بليغاً وفصيحاً بمجرد ذلك، بل لا بد أن يكون ذلك فيه هيئة راسخة؛ ففصاحة المتكلم وبلاغته هي: "ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح"<sup>(2)</sup>.

**قال الشريف الجرجاني:** "الملكة: هي صفة راسخة في النفس. وتحقيقه: أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى: حالة، ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال؛ فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل: عادةً وخلقاً"<sup>(3)</sup>.

**(وَبِالْفَصِيحِ):** جار ومجرور متعلق بـ (يُعَبَّرُ)، وهو صفة لموصوف محذوف تقديره: وبالكلام الفصيح، وأما متعلق "نصفه" فهو محذوف؛ لدلالة الأول عليه، فيكون التقدير: الذي يعبر بالكلام الفصيح نصفه بالإنسان الفصيح (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ (يُعَبَّرُ): من العبارة، و"العبارة:

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 42).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 40).

(3) التعريفات (ص: 229).



الْكَلَامِ الَّذِي يَبِينُ بِهِ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ مَعَانٍ، يُقَالُ: هَذَا الْكَلَامُ عِبَارَةٌ عَنِ كَذَا مَعْنَاهُ كَذَا<sup>(1)</sup>، **ويعبر**: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الضميمة الشعرية (**نَصِفُهُ**): جملة فعلية في محل رفع خبر المبتدأ.

**والمعنى**: الذي يعبر عن مقصوده بلفظ فصيح نصفه بأنه فصيح. فهذه فصاحة المتكلم.

### تعريف الصدق والكذب

10. **والصدقُ أن يطابقَ الواقعَ ما يَقُولُهُ وَالْكَذِبُ أنْ ذَا يُعَدَمَا**

في هذا البيت يعرف الناظم الصدق والكذب، وهما في الحقيقة من مباحث الخبر في علم المعاني، وليس من مقدمات العلم.

**فيقول**: إن صدق الخبر: أن يوافق ما يقوله المخبر الواقع، والكذب أن يخالفه.

**وذلك أن لكل خبر يتلفظ به نسبتين:** "

1- نسبة تفهم من الخبر، ويدل عليها الكلام، وتسمى النسبة الكلامية.

2- نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر، وتسمى بالنسبة الخارجية؛ فإن طبقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية في الإيجاب، أو في

(1) المعجم الوسيط (2/ 580).

النفي كان الكلام صدقاً، وإلا كان كذباً. مثلاً إذا قلنا: الشمس طالعة، وكانت هي في الواقع والخارج كذلك سمي الكلام صدقاً، وإن لم تكن طالعة سمي الكلام كذباً، فصدق الخبر إذا: مطابقته الواقع والخارج، وكذبه عدمها<sup>(1)</sup>.

**قوله: (أَنْ يَطَابِقَ):** جملة في محل رفع خبر **(الواقع):** مفعول للفعل: **(يطابقُ)**، والفاعل **(مَأْ)**، الموصولة أو المصدرية، **والتقدير:** وصدق المخبر: أن يطابق الذي يقوله الواقع، أو يطابق قوله الواقع **(وَالكِذْبُ):** بسكون الذال لغة، والكلمة هنا مبتدأ، والخبر ما بعدها **(أَنْ ذَا):** بفتح أن، مصدرية، و**(يعدمُ):** مضارع منصوب ب أن، فصل بين الفعل وناصبه باسم الإشارة "ذا" على شذوذ، واسم الإشارة يعود على المذكور السابق وهو المطابقة، والمصدر المؤول هو الخبر.

**وفي نسخة** جاءت بكسر "إن" فتكون إن شرطية، وفعلها "يعدم" وانقلبت نون التوكيد الخفيفة ألفاً للوقف كما تقدم. واسم الإشارة الفاعل، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم، والتقدير: إن يطابق قول المتكلم الواقع فهو الصدق، وإن يعدم مطابقته فهو الكذب.

**وجاء في نسخة أخرى** "إِذْ ذَا يُعْدَمَا" وهذه أوضح، ويكون المعنى: والكذب يحصل حين يعدم هذا المذكور وهو المطابقة، والله أعلم.



(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي (ص: 43).





## علم المعاني

### فصل تمهيدي

#### التعريف:

عرّف السكاكي علم المعاني بقوله: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"<sup>(1)</sup>.

**وقيل:** "هو علمٌ يعرف به أحوال الكلام العربي التي تهدي العالمَ بها إلى اختيار ما يُطابقُ منها مقتضى أحوال المخاطبين؛ رجاء أن يكون ما يُنشئ من كلامٍ أدبيٍّ بليغاً"<sup>(2)</sup>.

#### واضعه:

**أول من بسط قواعده هو:** الإمام: عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ، فهو الذي هذب مسأله، وأوضح قواعده، وقد وضع فيه الأئمة قبله نتفاً؛ كالجاحظ وأبي هلال العسكري، إلا أنهم لم يوفقوا إلى مثل ما وفق إليه ذلكم الحبر الجليل<sup>(3)</sup>.

(1) مفتاح العلوم (ص: 161).

(2) البلاغة العربية (1/ 138).

(3) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، المراغي (ص: 41).

## موضوعه :

إن الأثر الذي يحدثه علم المعاني في بلاغة القول يتولد في الواقع من أمرين اثنين: بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، والمعاني المستفادة من الكلام ضمناً بمعونة القرائن (1).

ويدور هذا العلم حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها، والبحث في أحوال كل عنصر منها في اللسان العربي، ومواقع ذكره وحذفه، وتقديمه وتأخيرها، ومواقع التعريف والتنكير، والإطلاق والتقييد، والتأكيد وعدمه، ومواقع القصر وعدمه، وحول اقتران الجمل المفيدة ببعضها، بعطف أو بغير عطف، ومواقع كل منهما ومقتضياته، وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها، أو أقل منه، أو زائداً عليه، ونحو ذلك (2).

## مثال على أثر علم المعاني:

إذا أردنا أن نصوغ جملة نبين فيها طلوع القمر أو عدمه، وجدنا أنفسنا أمام عددٍ من الاحتمالات، مثبتين أو نافرين:

(1) طَلَعَ الْقَمَرُ، ما طلع القمر.

(2) الْقَمَرُ طَلَعَ، القمر ما طلع.

(3) الْقَمَرُ طَالَعَ، القمر غير طالع، ليس القمر طالعا.

(1) علم المعاني، عتيق (ص: 37).

(2) البلاغة العربية (1/ 139).



## (4) ما طالعُ القمر.

ولكن هل هذه الصيغ تقع في درجةٍ واحدةٍ من البيان، أم هي مختلفة، مع جوازها جميعاً في اللسان العربي؟

**يقول النحوي:** هذه كلها جائزة، ولكل منها عندي تخريجٌ إعرابي.

**لكن البلاغي يقول: إن صيغ "طلّع القمر - ما طلّع القمر - ما طالعُ القمر"** تقال في مقام الإخبار الابتدائي الذي لا حاجة فيه إلى تأكيد، **أما صيغ "القمرُ طلّع - القمرُ ما طلّع - ليس القمرُ طالعاً"** فتقال في مقامٍ يحتاج فيه الخبر إلى نوع تأكيد، فإذا لم تكن حال المخاطب تقتضي تأكيداً فلا داعي لاستخدام هذه الصيغ؛ إذ جاء فيها إسناد الطلوع إلى القمر مرتين، فالقمر فيها مبتدأ أو أصله مبتدأ، وفعل طلّع مُسنَدٌ إلى ضمير يعود على المبتدأ، والجملة هي خبر المبتدأ، واسم الفاعل "طالِعاً" كالفعل يحمل ضميراً يعود على القمر.

فتغيير الترتيب في أركان الجملة نَجَمَ عَنْهُ إِضَافَةٌ دَلَالَةٌ، فَعَلَى الْبَلَاغِيِّ أَنْ يُلاحظها لدى إنشاء الكلام، ولدى فهم النصوص البليغة الرّفيعة<sup>(1)</sup>.

**قال الجرجاني:** "اعلم أن ليسَ "النظم" إلا أن تضعَ كلامك الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعملَ على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجه التي نُهجتُ فلا تزيعَ عنها، وتحفظَ الرسوم التي رُسمتْ لك، فلا تُخلَّ بشيءٍ منها.

وذلك أنّا لا نعلم شيئاً يتغيه الناظمُ بنظمه غيرَ أن ينظرَ في وجوه كلِّ بابٍ

(1) البلاغة العربية (1/ 145).

وفُروقه، فينظر في "الخبر" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "زيدٌ منطلقٌ" و"زيدٌ ينطلقٌ"، و"ينطلقُ زيدٌ" و"منطلقُ زيدٌ"، و"زيدُ المنطلقُ" و"المنطلقُ زيدٌ" و"زيدٌ هو المنطلقُ"، و"زيدٌ هو منطلقٌ".

**وفي** "الشرطِ والجزاء" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "إن تخرجَ أخرجَ" و"إن خرجتَ خرجتُ" و"إن تخرجَ فأنا خارجٌ" و"أنا خارجٌ إن خرجتَ" و"أنا إن خرجتَ خارجٌ".

**وفي** "الحالِ" إلى الوجوه التي تراها في قولك: "جاءني زيدٌ مسرعاً"، و"جاءني يسرع"، و"جاءني وهو مسرعٌ أو وهو يسرعٌ" و"جاءني قد أسرعٌ" و"جاءني وقد أسرعٌ".

فيعرفُ لكلٍّ من ذلك موضعه، ويجيءُ به حيثُ ينبغي له.

**وينظرُ في** "الحروفِ" التي تشتركُ في معنى، ثم ينفردُ كلُّ واحدٍ منها بخصوصيةٍ في ذلك المعنى، فيضعُ كلاً من ذلك في خاصٍّ معناه، نحو أن يجيءَ بـ "ما" في نفي الحال، وبـ "لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ "إن" فيما يترجَّحُ بين أن يكونَ وأن لا يكونَ، وبـ "إذا" فيما علِمَ أنه كائنٌ.

**وينظرُ في** "الجمَلِ" التي تُسرِّدُ، فيعرفُ موضعَ الفصلِ فيها من موضعِ الوصلِ، ثم يعرفُ فيما حقُّه الوصلُ موضعَ "الواو" من موضعِ "الفاء"، وموضعَ "الفاء" ومن موضعِ "ثم"، وموضعَ "أو" من موضعِ "أم"، وموضعَ "لكن" من موضعِ "بل".



ويتصرّف في التعرّفِ، والتّكثيرِ، والتّقديمِ والتّأخيرِ، في الكلام كلّهُ، وفي الحذفِ، والتكرارِ والإضمارِ، والإظهارِ، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصّحة وعلى ما ينبغي له<sup>(1)</sup>.

### مباحث هذا العلم:

قال القزويني: "ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب:

أولها: أحوال الإسناد الخبري.

وثانيها: أحوال المسند إليه.

وثالثها: أحوال المسند.

ورابعها: أحوال متعلقات الفعل.

وخامسها: القصر.

وسادسها: الإنشاء.

وسابعها: الفصل والوصل.

وثامنها: الإيجاز والإطناب والمساواة"<sup>(2)</sup>.

(1) دلائل الإعجاز (1/ 81).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 55).



## شرح الأبيات

### تعريف علم المعاني وعدد مباحثه :

11. وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ ذُو أَحْوَالٍ يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ

12. عِرْفَانُهَا عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِي مُنْحَصِرُ الْأَبْوَابِ فِي ثَمَانِ

**(وَعَرَبِيُّ اللَّفْظِ):** يعني: اللفظ العربي. من إضافة الصفة إلى موصوفها. وليس المراد أي لفظ عربي، بل اللفظ العربي البليغ.

**(ذُو أَحْوَالِ):** أي: اللفظ العربي الفصيح له أحوال؛ من الذكر والحذف، والتعريف والتوكيد، والتأكيد وعدمه، وغير ذلك كما سيأتي.

**(يَأْتِي بِهَا مُطَابِقًا لِلْحَالِ):** يعني: للفظ العربي الفصيح أحوال مختلفة يسلكها المتكلم البليغ لتكون موافقة للحال المناسبة؛ ويصير لكلامه مع المخاطب أثر **(عِرْفَانُهَا):** العرفان: مصدر عرف، أي: معرفة تلك الأحوال.

**(عِلْمٌ هُوَ الْمَعَانِي):** يعني: أن علم المعاني هو: علم تعرف به أحوال اللفظ العربي لتطابق مقتضى الحال.

**(مُنْحَصِرُ الْأَبْوَابِ فِي ثَمَانِ):** منحصر: من الانحصار وهو: الإحصاء والإحاطة، وهو اسم فاعل من الفعل اللازم انحصر، وقد أضيف إلى فاعله وهو الأبواب من إضافة الصفة إلى موصوفها، **والتقدير:** أبوابه منحصرة في ثمانية، ولما



كان الوزن لا يساعد الناظم على ذكر لفظ ثمانية- لأنه اللفظ المناسب للأبواب في باب العدد- لجأ إلى لفظ "ثمان"، ومن المعلوم أنه يجوز للناظم ما لا يجوز للناثر، ولكن في أمور محددة ذكرها المؤلفون في الضرائر الشعرية.

**والمقصود:** أن الأبواب التي يدرسها علم المعاني هي ثمانية أبواب.

**وقد جمع الأخصري هذه الأبواب في قوله:**

إِسْنَادٌ مُسْنَدٌ إِلَيْهِ مُسْنَدٌ      وَمُتَعَلِّقَاتٌ فِعْلٌ تُورَدُ  
قَصْرٌ وَإِنْشَاءٌ وَقَفْصَلٌ وَصَلٌّ أَوْ      إِيجَازٌ أَطْنَابٌ مُسَاوَةٌ رَأَوُا<sup>(1)</sup>

ووجه الانحصار في هذه الثمانية الأحوال: "أن الكلام إما خبر أو إنشاء.

**الأول:** لا بد له من: إسناد ومسند إليه ومسند، فهذه ثلاثة أبواب.

والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو ما في معناه، وهو الباب الرابع.

وكل من التعلق والإسناد قد يكون بقصر، وقد لا يكون، وهو الباب الخامس.

**والثاني:** هو الباب السادس.

**والجملة** إن قرنت بأخرى فالثانية إما معطوفة على الأولى، أو لا، وهما:

الفصل والوصل، وهو الباب السابع.

**والكلام البليغ:** إما ناقص عن أصل المراد، أو زائد، أو مساو، **والأول:**

الإيجاز، **والثاني:** الإطناب، والثالث: المساواة، وهو الباب الثامن<sup>(2)</sup>.

(1) الجوهر المكنون مع حلية اللب المصون (54).

(2) حلية اللب المصون (55).



## الباب الأول: أحوال الإسناد الخبري

**الأحوال هي:** الخصائص والكيفيات، والإسناد: مصدر أسند، من أسند إليه بمعنى: نسب وأضاف، فالإسناد هنا: ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد معنى تاماً، فيكون في الإسناد محكوم عليه، ومحكوم به، وحكم؛ كقولنا: محمد صادق، فمحمد محكوم عليه، ويسمى مسنداً إليه، وصادق محكوم به، ويسمى مسنداً، والإخبار بالصدق هو الحكم ويسمى نسبة.

**وقوله: الخبري:** من الخبر الذي هو ضد الإنشاء، وإنما خص الإسناد بالخبري لكثرة وقوعه فيه، وإلا ففيه أمور ستأتي في الإسناد الإنشائي؛ كالتوكيد.

يتحدث هذا الباب عن ثلاثة أمور:

**الأول:** الغرض من إلقاء الخبر وهو: فائدة الخبر، أو لازم الفائدة.

**والثاني:** أنواع الخبر: ابتدائي، طلبي، إنكاري.

**والثالث:** الإسناد العقلي.

**أولاً: الغرض من إلقاء الخبر:**

13. **إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ فَسَمَّ ذَا فَائِدَةٍ وَسَمَّ**

14. **إِنْ قَصَدَ الْإِعْلَامَ بِالْعِلْمِ بِهِ لَازِمَهَا، وَلِلْمَقَامِ انْتِبَاهِهِ**

(إِنْ قَصَدَ الْمُخْبِرُ نَفْسَ الْحُكْمِ): جملة شرطية، وجوابها: (فَسَمَّ)، وقد اقترن



الجواب بالفاء لأن صدر الجواب كان جملة طلبية، و"سم" من التسمية، وهو فعل أمر مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة الياء، وهو يتعدى إلى مفعولين الأول هنا: اسم الإشارة "ذا"، والثاني "فائدة".

**وهذا هو الغرض الأول وهو:** فائدة الخبر، **ومعناه:** أن يقصد المخبر إفادة المخاطب بخبر لا يعلمه؛ كقولك: محمد قادم، إذا كان لا يعلم قدومه.

وهذا النوع وارد كثيراً في العلوم والمعارف، التي تأتي المرء عن طريق التعلم أو السماع أو القراءة، أو غير ذلك، بحيث تمثل له إضافة معلوماتية جديدة لم يكن يعلمها.

**(إِنْ قَصَدَ الْإِعْلَامَ بِالْعِلْمِ بِهِ): أي:** إن قصد المخبر الإخبار بعلمه بالخبر **(لازمها):** الضمير يعود على فائدة، والمعنى: وسم ما قصد به إخبار المتكلم بعلمه بالخبر لازم الفائدة، ف"لازمها" هو المفعول ل"سم" ولكنه المفعول الثاني، وأما الأول فهو محذوف تقديره ما ذكرناه.

**وهذا هو الغرض الثاني من أغراض إلقاء الخبر وهو:** لازم الفائدة، **ومعناه:** إفادة المخاطب بأن المتكلم عالم بالحكم، مثل: صليتم أمس في المسجد الحرام. "وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام: أهمها:

(1) الاسترحام والاستعطاف، نحو: إني فقير إلى عفوك ربي.

(2) وتحريك الهممة إلى ما يلزم تحصيله، نحو: ليس سواء عالم وجهول.

عَوْنُ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ

(3) وإظهار الضعف والخشوع، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم:4].

(4) وإظهار التحسر على شيء محبوب، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل

عمران:36].

(5) وإظهار الفرح بمقبل، والشماتة بمدبر، نحو: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ

الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء:81].

(6) والتوبيخ؛ كقولك للعائر: (الشمس طالعة).

(7) التذكير بما بين المراتب من التفاوت، نحو: (لا يستوي كسلان ونشيط).

(8) التحذير، نحو: (أبغض الحلال إلى الله الطلاق).

(9) الفخر، نحو: (إن الله اصطفاني من قريش).

(10) المدح كقوله:

فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ

وقد يجيء لأغراض أخرى، والمرجع في معرفة ذلك إلى الذوق والعقل

السليم<sup>(1)</sup>.

**(وَاللِّمَقَامِ انْتَبِهَ):** المقام: الموضوع، و"انتبه" فعل أمر من الانتباه، وهو

التفطن والاستيقاظ، و"انتبه" فعل أمر مبني السكون المقدر منع من ظهوره

اشتغال المحل بحركة الروي، فنابت الكسرة عن السكون، والجار والمجرور في

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للهاشمي (ص: 56).



"للمقام" متعلق بالفعل بعده.

**والمعنى:** تفتن في استعمال الخبر حسب المقامات؛ فإن رأيت أن مقام المخاطب يقتضي إفادته بالخبر؛ لكونه جاهلاً به؛ فافعل، وإن رأيت أن تعريفه بأنك تعلم الخبر فافعل أيضاً.

### ثانياً: أنواع الخبر:

15. **إِنْ ابْتَدَأْتِيًّا فَلَا يُؤَكِّدُ**      **أَوْ طَلَبِيًّا فَهُوَ فِيهِ يُحْمَدُ**

16. **وَوَاجِبٌ بِحَسَبِ الْإِنْكَارِ**      **وَيَحْسُنُ التَّبْدِيلُ بِالْأَعْيَارِ**

**(إِنْ):** شرطية ساكنة، وحركت بالكسر لالتقاء الساكنين، وهي تدخل على الأفعال، فإذا دخلت على الأسماء لابد من تقدير فعل لها، وتقديره هنا: يكن **(ابتدئياً):** خبر لكان المحذوفة مع اسمها، والتقدير: إن يكن مقام الكلام.

والحذف لكان مع اسمها بعد إن ولو كثير؛ **قال ابن مالك:**

وَيَحْذِفُونَهَا وَيَبْقَوْنَ الْخَبْرُ      وَبَعْدَ إِنْ وَلَوْ كَثِيرًا إِذَا اشْتَهَرَ (1)

### ومنه قول الشاعر:

قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا      فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا (2)

**(فَلَا):** الفاء واقعة في جواب الشرط؛ لأنه صدر بنفي **(يُؤَكِّدُ):** فعل مضارع

مبني للمجهول وتقديره: فلا يؤكد الخبر.

(1) ألفية ابن مالك (ص: 19).

(2) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية (2/ 619).

**والمعنى:** إن يكن الخبر ابتدائياً فلا يؤتى معه بمؤكد، ويكون الخبر ابتدائياً: إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم والتردد فيما ألقى إليه، يعني: ليس عنده تصور في موضوع الخبر ولا تردد فيه ولا إنكار له، ففي هذه الحال لا يحتاج المتكلم أن يسوق له مؤكداً أو مؤكداً حتى ينفي ترده ويزيل إنكاره.

وسمي ابتدائياً لأنه لم يسبق في المخاطب تردد في التصديق أو التكذيب، أو القبول أو الرفض، ولم يسبق منه إنكار لما أخبر به؛ نحو قولك: زيد ناجح.

**(أَوْ طَلِبِيًّا): أي:** وإن يكن الخبر طلبياً، **والطلبية:** نسبة إلى الطلب؛ لأن المخاطب يطلب حجة ينفي بها ترده **(فهو)** الفاء واقعة في جواب الشرط؛ لأنه صدر بجمله اسمية، والضمير يعود على التوكيد **(فيه) أي:** مقام الكلام **(يُحْمَدُ) أي:** يجمل ويحسن.

**والمعنى:** إن يكن الخبر طلبياً فيحسن أن يؤتى فيه بمؤكد، ويكون الخبر طلبياً: إن كان المخاطب شاكاً متردداً طالباً لليقين، فحين يؤتى بمؤكد يزول عنه ترده. ومن المؤكدات: **إنَّ** و**أَنَّ** ونونا التوكيد واللام والقسم، وغيرها؛ نحو: إن زيدا ناجح.

**(وواجبٌ بحسب الإنكار) أي:** يجب توكيد الخبر للمخاطب بحسب درجة إنكاره قوة وضعفاً، فإذا كان الإنكار غير قوي جيء بمؤكد واحد، وإن كان قوياً جيء بأكثر من مؤكد.

**ويكون الخبر إنكارياً:** إن كان المخاطب جاحداً للحكم. والجحود يحتاج



إلى مؤكدات تهتك حجه حتى يصل الجاحد إلى نور التصديق والقبول؛ نحو: إن زيدا والله ناجح، إن زيدا والله لناجح.

**قال القزويني:** "فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم - بأحد طرفي الخبر على الآخر - والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك: جاء زيد، وعمر و ذاهب، فيتمكن في ذهنه، لمصادفته إياه خالياً.

وإن كان متصورًا لطرفية، مترددًا في إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبًا له، حسن تقويته بمؤكده؛ كقولك: لزيد عارف أو إن زيدا عارف. وإن كان حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار، فتقول: إني صادق، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، وإني لصادق، لمن يبالغ في إنكاره. وعليه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ \* إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ \* قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ \* قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13-16].

**حيث قال في المرة الأولى:** إنا إليكم مرسلون، **وفي الثانية:** إنا إليكم لمرسلون<sup>(1)</sup>.

**قال الزمخشري:** "فإن قلت: لم قيل: إنا إليكم مرسلون أولاً، وإنا إليكم لمرسلون آخرًا؟ قلت: لأن الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار<sup>(2)</sup>".

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 69).

(2) تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (4/ 8).

عَوْنُ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيِّنَاتِ وَالْبَدِيعِ

**(وَيَحْسُنُ التَّبْدِيلُ بِالْأَغْيَارِ) أَي:** يجمل أن يحصل خلاف ما يقتضيه الظاهر من إلقاء الخبر على المخاطبين، فيعطى كل نوع من الأخبار ما يكون لغيره. والأغيار: جمع غير.

**ويكون ذلك على النحو الآتي:**

1- أن ينزل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يدل عليه.

**كقوله تعالى:** ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: 27]؛ ف" الظاهر أن مقدمات الكلام تُشعرُ بأن الله عزَّ وجلَّ قضى أن يُغرقَ مَنْ لَمْ يُوِّمْنْ مع نوحٍ مِنْ قومه؛ إذ الإخبارُ بأنه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ، والأمرُ بصناعةِ الفُلكِ التي لا تتسع إلا للمؤمنين ولما يحتاجون في رحلتهم البحرية؛ يدلُّ على أن سائر القوم مُغرقون، فاستشرفت نفس نوح عليه السلام لطلب تأخير إهلاكهم إمهالاً، أو صرفِ النظر عن إهلاكهم إهلاكاً عاماً شاملاً، فبادره الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وأكدَّ له ما قضاؤه سبحانه من إهلاكهم بالغرق، فقال له: ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾، فاشتملت هذه الجملة على مؤكدين: "إن" و"الجملة الاسمية"<sup>(1)</sup>.

2- أن يجعل غير المنكر كالمنكر؛ لظهور أمارات الإنكار عليه.

**كقوله تعالى:** ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: 15]؛ ف" أكد إثبات الموت تأكيدين وإن كان مما لا ينكر؛ لتزليل المخاطبين منزلة من يباليغ في إنكار

(1) البلاغة العربية (1/ 183).



الموت؛ لتماديهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده، ولهذا قيل: "ميتون" دون "تموتون"<sup>(1)</sup>.

3- أن يجعل المنكر كغير المنكر إن كان لديه دلائل وشواهد لو تأملها لارتدع عن إنكاره.

**كقوله تعالى:** ﴿وَالِهٰكُمۡ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ﴾ [البقرة: 163]؛ ف" الآية تخاطب منكري وحدانية الخالق سبحانه، وألقت إليهم الخبر بلا توكيد؛ لأن المنكرين عندهم من الأدلة والبراهين ما لو تأملوها لوجدوها مقنعة الإقناع كله؛ ولذلك لم يقم الله تعالى لإنكارهم وزنا"<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: الإسناد العقلي: (الحقيقة العقلية، والمجاز العقلي):

17. والفِعْلُ أَوْ مَعْنَاهُ إِنْ أَسْنَدَهُ لِمَالَهُ فِي ظَاهِرٍ ذَا عِنْدَهُ

18. حَقِيقَةٌ عَقْلِيَّةٌ وَإِنْ إِلَى غَيْرِ مُلَابِسٍ مَجَازٌ أَوْ لَا

**(والفِعْلُ):** الفعل: ما دل على حدث، ويشمل الأفعال الثلاثة: الماضي، والمضارع والأمر **(مَعْنَاهُ):** وهو ما يقوم مقام الفعل في الدلالة على الحدث، وهو: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والمصدر، والظرف **(أَسْنَدَهُ):** أضافه، والضمير يعود على المتكلم **(لِمَالَهُ) أي:** نسبه إلى شيء له، **بمعنى:** أن الحقيقة العقلية: أن ينسب المتكلم الفعل أو ما في معناه إلى

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 76).

(2) علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، للديب (ص: 281).

عَوْنُ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ

الفاعل، **نحو:** ضرب زيد عمراً، أو إلى المفعول المرفوع وهو النائب عن الفاعل  
**نحو:** ضرب عمرو، فالضاربية لزيد، والمضروبية لعمرو على الحقيقة.

(في ظاهرٍ ذَا عِنْدَهُ) أي: هذا الإسناد المذكور من المتكلم للفعل أو ما في معناه  
هو بالنسبة للظاهر عند المتكلم، أما بالنسبة لاعتقاده فلا، وكان مصروفاً إلى  
الظاهر لعدم وجود قرينة تدل على أنه أراد المجاز، فإن وجدت كان مجازاً.

(حقيقةً): حقيقة هنا: هي خبر المبتدأ الذي هو قوله: "والفعل".

والحقيقة العقلية هي: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم في  
الظاهر، سواء طابق الواقع -**نحو:** أنبت الله البقل-، أم لا؛ كقول الكافر: أنبت  
الربيعُ البقل.

(وإن إلى .. غير) بتنوين "غير" تنوين العوض عن جملة، والتقدير: إلى غير ما  
هو له، يعني: إلى غير الفاعل والنائب عنه (مُلابِسٍ): المتعلق والمتصل  
وهو الفعل أو معناه (مَجَازٌ) أي: فهو مجاز (أَوْلاً) أي: مع التأول المخالف  
للحقيقة "ومعنى التأويل: نصب قرينة صارفة عن كون الإسناد إلى ما هو له.  
فخرج قول الكافر: أنبت الربيع البقل؛ لأنه معتقده، وكذا الأقوال الكاذبة"<sup>(1)</sup>.

وبعد أن ذكر الناظم الحقيقة العقلية ذكر المجاز العقلي، ومعناه: "إسناد  
الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأول"<sup>(2)</sup>، ومعنى الإسناد إلى ملابس

(1) حلية اللب المصون (69).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (1/82).



له: "أي: إلى شيء بينه وبين الفعل أو معناه ملابسة وارتباط وتعلق. فالضمير في قوله: "له" راجع "للفعل أو معناه" - "وغير ما هو له" أي: غير الملابس الذي هو أي: الفعل أو معناه، "له" أي: لذلك الملابس، يعني: غير الفاعل الحقيقي في المبني للفاعل، وغير المفعول به في المبني للمفعول به.

وفي تعريف المجاز العقلي إشارة إلى أنه لا بد فيه من علاقة، ويدل على ذلك قولنا: إلى ملابس له " وقرينة "ويدل عليها قولنا: بتأول".

**وقصارى القول:** أن المجاز العقلي هو: إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر، لعلاقة مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له<sup>(1)</sup>.

وللفعل ملابسات متعددة ومثله اسم الفاعل؛ فالفعل " يلبس الفاعل؛ لوقوعه منه، والمفعول به؛ لوقوعه عليه، والمصدر؛ لأنه جزء معناه، والزمان والمكان؛ لوقوعه فيهما، والسبب لأنه يحصل به<sup>(2)</sup>.

### ومن الأمثلة على ذلك:

#### 1- إتيان الفاعل بلفظ المفعول.

نحو: "سيل مفعم، بصيغة اسم المفعول؛ أي: مملوء، مسنداً إلى ضمير السيل الذي هو الفاعل، وحق اسم المفعول أن يسند إلى المفعول الذي صار نائب فاعل

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 83).

(2) حلية اللب المصون (70).

عَوْنُ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيِّنَاتِ وَالْبَدِيعِ

وهو المكان؛ إذ من المعروف أن السيل هو الذي يفعم المكان؛ أي: يملؤه، فالسيل مفعم بكسر العين، والمكان مفعم بفتحها، ولكنهم تجاوزوا في الإسناد حيث أسندوا اسم المفعول إلى ضمير السيل الذي هو الفاعل، فهو مجاز عقلي علاقته الفاعلية<sup>(1)</sup>.

## 2- إتيان المفعول بلفظ الفاعل.

**كقول تعالى:** ﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6] أي: مدفوق؛ "فقد أسند: ﴿دَافِقٍ﴾ إلى ضمير الماء، أي: أسنده إلى المفعول؛ لأن الماء مدفوق لا دافق، فهو مجاز عقلي، وأصل الإسناد ماء دافق صاحبه، ولكن المجاز أبلغ من الحقيقة هنا؛ لما فيه من المبالغة في الدفع، وكأن الماء لسرعة اندفاعه دافق يدفع بعضه بعضاً؛ فالعلاقة هنا هي المفعولية"<sup>(2)</sup>.

## 3- إسناد الفعل للمصدر.

**نحو:** "جَدَّ جِدُّهُ"، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو الإنسان؛ فيقال: جد الإنسان جدًا، لكنه أسند إلى المصدر إسنادًا مجازيًا للمشابهة بين المصدر والفاعل الحقيقي، في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالمصدر من حيث إنه جزء مفهومه، وتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث صدوره منه، فالمصدر إذاً مسند إليه مجازي<sup>(3)</sup>.

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 111).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 110).

(3) المنهاج الواضح للبلاغة (4/ 48).



## 4- إسناد الفعل إلى الزمان.

**نحو:** نهاره صائم، وليله قائم: " فالنهار لا يصوم، والليل لا يقوم، الذي يفعل ذلك حقيقةً هو العابد؛ إذ يصوم في نهاره، ويقوم في ليله، فإسناد الصيام والقيام إلى النهار والليل هو من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه الذي وقع فيه، **ومنه قول جرير:**

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلَانَ فِي السُّرَى      وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ<sup>(1)</sup>

## 5- إسناد الفعل إلى مكانه.

**نحو:** "قولهم: طريق سائر، مع أنه مسيرٌ فيه، ونَهْرٌ جارٍ" مع أنه مجريٌّ فيه؛ للإشعار بأنَّ التَّصَوُّرَ يَرَى الطَّرِيقَ يَسِيرٌ؛ لامتلائه بمن يمشي فيه، وبأنَّ حُفْرَةَ النَّهْرِ تجري؛ لامتلائها بالماء الجاري"<sup>(2)</sup>؛ "فقد أسند فيه اسم الفاعل إلى ضمير الظرف الذي هو "النهر" [والطريق] إسنادًا مجازيًا من إسناد ما هو بمعنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه"<sup>(3)</sup>.

## 6- إسناد الفعل إلى سببه.

**نحو:** "قوله: ﴿يَذَبْحُ أَبْنَاءُهُمْ﴾، الفاعل غيره، ونسب الفعل إليه؛ لكونه الأمر به"<sup>(4)</sup>.

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 112).

(2) البلاغة العربية (1/ 198).

(3) المنهاج الواضح للبلاغة (4/ 49).

(4) الإيضاح في علوم البلاغة (1/ 94).



## الباب الثاني: أحوال المسند إليه

(المسند إليه): المسند: اسم مفعول من الإسناد، والإسناد: نسبة حكم إلى اسم إيجاباً أو سلماً، والنسبة معناها: الإضافة، **نحو قولنا: محمد أمين، فمحمد منسوب إليه، وأمين منسوب، والذي أسنده المتكلم هو ثبوت الحكم يعني: الأمانة لمحمد.**

**والمسند إليه هو: "المحكوم عليه أو المخبر عنه" (1).**

**وأحوال المسند إليه هي:** ما يحصل له من الصفات العارضة التي هي: الذكر والحذف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، وإتباع المسند إليه بوصف أو توكيد أو عطف، وخروج المسند إليه عن مقتضى الظاهر إلى مقتضى الحال.

**وإنما قدم المسند إليه "على المسند؛ لأن المسند إليه كالموصوف، والمسند كالصفة، والموصوف أجدر بالتقديم؛ لأنه الموضوع، والصفة هي المحمول" (2).**

**والمسند إليه له مواضع وهي (3):**

1- الفاعل للفعل التام وشبهه.

**ومن الأول:** قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1]، ف "أمر"

(1) علم المعاني (ص: 120).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 155).

(3) أساليب بلاغية (ص: 133)، بتصرف.



مسند إليه؛ لأنه فاعل ل "أتى".

**وشبه الفعل هو:** مشتقاته؛ كاسم الفاعل، والصفة المشبهة؛ كقول عمر بن أبي

ربيعة:

وَكَمْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضُ كَالدَّمَى

ففي "مالي" ضمير مستتر فاعل، وهو المسند إليه.

**ومن أمثلة الصفة المشبهة:** "أنت القويّ جسمه"، فكلمة "جسمه" فاعل

للصفة "القويّ" وهي مسند إليه.

2- النائب عن الفاعل.

**كقوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ

مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ

كَافِرُونَ﴾ [القصص: 48]، ف "موسى" نائب فاعل وهو مسند إليه. **وقوله تعالى:**

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: 9]، فالشمس نائب فاعل أي: مسند إليه.

3- المبتدأ الذي له خبر.

**كقوله تعالى:** ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: 4]، ف الآخرة" مسند

إليه؛ لأنها مبتدأ.

4- ما أصله المبتدأ: وهو:

أ- اسم كان وأخواتها؛ **كقوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ

عَوْنُ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيِّنَاتِ وَالْبَدِيعِ

وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب:40]؛ فـ  
"محمد" في الآية اسم كان وهو مسند إليه؛ لأنه مبتدأ في الأصل.

ب- اسم إن وأخواتها؛ **كقوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ  
الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:23]، فـ "الذين"  
مسند إليه، وهي مبتدأ في الأصل.

ج- المفعول الأول لـ "ظن" وأخواتها؛ **كقوله تعالى:** ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ  
قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف:36]، فـ "الساعة"  
مسند إليه؛ لأنها مبتدأ في الأصل.

د- المفعول الثاني لـ "أرى" وأخواتها، مثل: أريتك العلم نافع "العلم"  
مسند إليه، وهو المفعول الأول لـ "أرى" وأصله مبتدأ؛ لأن الجملة: "العلم نافع".

**وهذا تفصيل أحوال المسند إليه كما في الأبيات:**

**أولاً: حذف المسند إليه وذكره:**

**أ- حذف المسند إليه:**

19. الحذف للصون وللإتكار والاحتراز أو للاختيار

قدم "حذف المسند إليه على سائر أحواله؛ لكون الحذف عبارة عن عدم  
الإتيان به، وعدم الحادث سابق على وجوده"، "وحذفه يتوقف على أمرين:  
أحدهما: قابلية المقام له؛ بأن يكون السامع عارفاً به [أي: بالمحذوف] بقريته،  
ثانيهما: ما يقتضي رجحان الحذف على الذكر [يعني: وجود مقتضيات ودواع



بلاغية ترجح حذف المسند عليه على ذكره<sup>(1)</sup>.

### فمن مرجحات حذف المسند إليه على ذكره:

1- **الصون**: يعني: صون اللسان عن ذكر المسند إليه: إما لتعظيمه، وإما

لتحقيره.

**فمن الأول**: نوره مستفادٌ من نور الشمس. يعني: القمر، ونحو قول الشاعر:

نُجُومَ سَمَاءِ كَلِمَا غَابَ كَوَكَبٌ ... بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

أي: هم نجوم.

**ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهَمُّ لَا يَرَجْعُونَ﴾** [البقرة: 18]. أي:

هم صم.

وكما يقال في وصف رجل يرضى بالهوان والذل: يهان ويذل فلا يغضب.

**وفي صون اللسان تعظيماً: قول الشاعر:**

وإِيَّاكَ وَاسْمَ الْعَامِرِيَةِ إِنِّي      أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ فَمِ الْمُتَكَلِّمِ

**وفي صون اللسان تحقيراً: قول الآخر:**

وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ نَجَسٌ      وَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ غَسَلْتُ فَمِي

2- **الإنكار**: " كقولك عن رجل معروف بظلمه وفسقه: فاجر ظالم، **والأصل**:

فلان فاجر، فلان ظالم، ولكنك تحذف المسند إليه ليكون الحذف سبباً إلى

(1) حلية اللب المصون (75).

عَوْنُ الْبِدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبِدِيعِ

الإنكار عندما يواجهك فلان هذا باللوم أو العتب، فييسر عليك الحذف، ويمكنك حينئذٍ من أن تقول له: ما قصدتك، وإنما أردت غيرك، ولو ذكرت المسند إليه في مثل هذا المقام لَمَا تَأْتِي لَكَ الْإِنْكَارُ<sup>(1)</sup>.

**3- الاحتراز عن العبث:** بترك ما لا ضرورة لذكره؛ "لدلالة القرينة عليه، وينبغي أن يسان كلام البليغ عن العبث، مثال ذلك أن تقول: "حضر" تريد "الأمير" فتحذف المسند إليه، وهو "الأمير" قصدًا إلى التحرز عن العبث في ذكره لقيام القرينة الدالة<sup>(2)</sup>، وذلك يكسب الكلام قوة وجمالاً.

ويكثر هذا الحذف في جواب الاستفهام؛ **كقوله تعالى:** ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ \* نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: 10-11]. **أي:** هي نار حامية.

وبعد الفاء المقترنة بالجملة الاسمية الواقعة جوابًا للشرط؛ **كقوله تعالى:** ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الجاثية: 15]. **أي:** فعمله لنفسه وإساءتها عليها<sup>(3)</sup>.

**4- اختبار تنبه السامع أو اختبار مقدار تنبهه ومبلغ ذكائه.** وذلك عند وجود القرينة الواضحة على ذلك؛ مثل أن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك فتقول لمن معك العالم بهذه الصحبة: وفي، تريد: الصاحب وفي، فتحذف المسند إليه؛ اختبارًا لهذا السامع؛ أي: يتنبه إلى أن المسند إليه المحذوف وهو الصاحب

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 157).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (2/21).

(3) أساليب بلاغية (ص: 161).



بقريئة ذكر الوفاء؛ إذ هو المناسب لمعنى الصحبة والصدقة<sup>(1)</sup>.

هذا ما ذكره الناظم من أغراض حذف المسند إليه، وهناك أغراض أخرى،

منها: العلم به، وقصد ستره، وضيق زمان الكلام.

ب- ذكر المسند إليه:

20. وَالذِّكْرُ لِلتَّعْظِيمِ وَالْإِهَانَةِ وَالْبَسْطِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْقَرِينَةِ

في هذا البيت بين الناظم أغراض ذكر المسند إليه، فقال: يذكر المسند إليه إما لتعظيمه بذكره، وإما لإهانته لكون اسمه يدل عليه، وإما لبسط الكلام وإطالته لمقتض يستدعي ذلك، وإما للتنبية على غباوة السامع بأنه لا يفهم القرينة، بل يحتاج إلى التصريح بالاسم.

وتفصيل هذه الأغراض في الآتي:

1- إظهار التعظيم: نحو: أبو بكر أول الخلفاء، لمن سأل: هل أبو بكر أول

الخلفاء؟

2- قصد إهانته بذكره: نحو: الظالم مهين.

3- الرغبة في بسط الكلام لاسيما مع المحبوب أو المعظم: نحو قوله تعالى

عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: 18]، في جواب: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: 17].

"لقد كان يكفي أن يقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب سؤال ربه: "عَصَايَ"

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 155).

دون أن يقول: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾، وكان من الممكن أن يقتصر على بيان أنها عصاه، دون أن يشرح أعماله فيها بقوله: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ [الآية: 18]، وكان من الممكن أن يقول الله عزَّ وجلَّ له: ﴿أَلْقِهَا﴾ دون أن يناديه ﴿يا موسى﴾، لكن دعا إلى بسط الكلام وإطالة الحديث رغبةً الإيناسِ مِنَ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، ورغبةً التشرُّفِ والاستئناس والتلذُّذ بطول المحادثة من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ" (1).

#### 4- التنبيه على غباوة السامع الذي لا تكفيه القرينة. كقولك لمن رأته يطلب

حاجته من صاحب قبر: المقبور لا يضرك ولا ينفعك.

**وهناك أغراض أخرى** غير ما ذكر منها: كون ذكر المسند إليه هو الأصل، والتلذذ بذكره، وضرورة الوزن، والتقرير، والتهويل، والتعجب، والتعبد، والإشهاد في قضية، والإيضاح، والتشويق لمسماه، وغير ذلك.

ومدار الحذف والذكر هو الذوق، فمتى احتيج إلى ذلك ارتكب، وإن لم يكن عند أهل البلاغة مسطوراً.

#### ثانياً: تعريف المسند إليه وتنكيره:

##### أ- تعريف المسند إليه:

في تعريف المسند إليه أطال الناظم في الأبيات بذكر المعرفات؛ فذكر تعريفه بالإضمار، وبالعلمية، وبالوصولية، وبالإشارة، وبأل، وبالإضافة.

(1) البلاغة العربية (1/ 320).



وهنا قدم التعريف على التنكير لأن الأصل في المسند إليه التعريف، والإتيان بالمسند إليه معرفة لإفادة المخاطب أتم فائدة؛ لأن النكرة وإن أمكن أن تخصص بالوصف بحيث لا يشاركها فيه غيرها كقولك: أعبد إلهاً خلق السماء والأرض؛ لا يكون في قوة صيرورة مدلول المعرفة خاصاً، بخلاف التخصيص الحاصل للنكرة؛ فإنه يفهم من ملاحظة انحصار الوصف، وأما من حيث المفهوم فالشروع باق<sup>(1)</sup>.

### أ- تعريف المسند إليه بالضمير:

21. **وإن بإضمارٍ<sup>(2)</sup> يَكُنْ مُعَرِّفَا** **فَلِلْمَقَامَاتِ الثَّلَاثِ فَاعِرِّفَا**

**(وإن):** إن شرطية، وفعلها: يكن، وجوابها: فللمقامات **(بإضمارٍ)**: مصدر أضمر **(يَكُنْ)** الضمير فيه يعود على المسند إليه **(فِلِلْمَقَامَاتِ)**: جمع مقام، وهو: الموضوع، **والمراد بها:** مقام التكلم، ومقام الخطاب، ومقام الغيبة **(الثلاث)** إذا تأخر العدد على المعدود جاز فيه التذكير والتأنيث، والأحسن الموافقة، وهنا لم يقدر الناظم عليها لأجل الوزن **(فاعرِّفَا)**: الفاء عاطفة، والفعل بنون التوكيد المنقلبة إلى ألف للوقف.

### قال ابن مالك:

**وَأَبْدَلْنَهَا بَعْدَ فَتْحِ أَلْفَا** **وَقَفَّا كَمَا تَقُولُ فِي قَفْنِ قَفَا<sup>(3)</sup>**

(1) حلية اللب المصون (80) والتعليق عليه، بتصريف.

(2) قد استعمل العرب الضمير لأجل الاختصار، والضمير البارز أخصر من ذكر الاسم، والضمير المتصل أخصر من الضمير البارز.

(3) ألفية ابن مالك (ص: 55).

**والمعنى:** وإن يكن المسند إليه معرّفًا بإضمام فهو كائن للمقامات الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة.

**فإذا كان المقام** مقام تكلم أتينا بضمير المتكلم نحو: أنا جالس، نحن جالسون.

**وإذا كان المقام** مقام خطاب أتينا بضمير الخطاب نحو: أنتم جالسون.

**وإذا كان المقام** مقام غيبة أتينا بضمير الغيبة، ويكون ذلك إذا تقدم ذكر الاسم، نحو: هو غائب عن الدرس؛ ففي التقدم اللفظي تحقيقًا نقول نحو: أتى محمد وهو ضاحك، وفي التقديري نحو: أتى وهو ضاحك محمد، فمحمد فاعل في الحقيقة ورتبته التقدم على الفضلات.

وقد يكون التقدم معنويًا لدلالة لفظ عليه نحو قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8]. فالضمير للعدل، واعدلوا: دال عليه.

**ومنه قول الشاعر:**

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ      وَخَالَفَ، وَالسَّفِيهِ إِلَى خِلَافِ

"جرى إليه، أي: السفه، وهو جزء مدلول السفه؛ لأنه يدل على ذاتٍ مُتصِفَةٍ بالسفه"<sup>(1)</sup>.

وقد يكون التقدم معنويًا لدلالة حال عليه؛ نحو قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ

(1) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (2/ 255).



بِالْحِجَابِ ﴿[ص:32]، " فسياق الكلام الدال على فوات وقت الصلاة مع قرينة ذكر العشي والتواري بالحجاب يدل على أن الضمير راجع للشمس "(1).

22. وَالْأَصْلُ فِي الْخِطَابِ لِلْمَعْيِنِ وَالتَّرْكُ فِيهِ لِلْعُمُومِ الْبَيْنِ

**يعني:** الأصل في وضع المعارف في اللغة: أن يكون لمعين لا يتناول غيره، ومنها الخطاب، سواء كان الخطاب لواحد نحو: أنت- أنتِ، أم لمثنى نحو: أنتما، أم لجمع نحو: أنتم، أنتن.

وقد يخرج عن هذا الأصل إذا أريد العموم لكل مخاطب " تقول: "فلان لئيم: إن أكرمه أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك"، فلا تريد مخاطباً بعينه، بل تريد: إن أكرم أو أحسن إليه"، تخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم، أي: سوء معاملته، فهو غير مختص بواحد دون واحد. وهو في القرآن كثير؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُ رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فقد " أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم؛ للقصود إلى تفضيح حالهم، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راء، بل كل يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب "(2).

### ب- تعريف المسند إليه بالعلمية:

23. وَعِلْمِيَّةٌ فَلِلْإِحْضَارِ وَقَصْدٌ تَعْظِيمٍ أَوْ احْتِقَارِ

**(وَعِلْمِيَّةٌ):** بالجر؛ عطفًا على "ياضمار". وعلمية: نسبة إلى العَلَم، و"العلم

(1) حلية اللب المصون (81).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (2/11).

هو: ما وضع لمعين لا يتناول غيره، وهو قسمان: جنسي، وشخصي؛ فالجنسي: ما وضع لشيء معين في الذهن كـ "أسامة"، والشخصي: ما وضع لشيء معين في الخارج لا يتناول غيره من حيث الوضع له كـ "زيد، ومكة".

**وينقسم إلى:** مرتجل وهو: ما استعمل من أول الأمر علماً؛ كـ "سعاد، وأدذ"، وإلى منقول وهو: ما استعمل قبل العلمية في غيرها كـ "زيد، وأسد، وحرث ومنصور، وشمر، ويشكر"، وإلى لقب وهو: ما أشعر برفعة المسمى أو بضعته كـ "زين العابدين، وبطة"، وإلى كنية وهو: ما صدر بأبٍ أو أم كـ "أبي بكر وأم عمرو"<sup>(1)</sup>.

### قال ابن مالك:

عَلَّمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخِرْنَقَا	اسْمٌ يُعَيِّنُ الْمُسَمَّى مُطْلَقًا
وَشَذَقَمٍ وَهَيْلَةَ وَوَأَشَقِ	وَقَرْنٍ وَعَدَنٍ وَلَا حِقِ
وَأَخْرَنُ ذَا إِنْ سِوَاهُ صَجِبًا <sup>(2)</sup>	وَأَسْمَاءَ أَتَى وَكُنْيَةً وَلَقَبَا

**والمقصود بالعلم هنا هو:** العلم الشخصي، فيأتي المسند إليه علماً شخصياً

لأغراض، منها:

1- إحضار المسند إليه في ذهن السامع باسم خاص بحيث لا يطلق على غيره.

**نحو قوله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] "على جعل ضمير الشأن

(1) دليل الطالبين لكلام النحويين (ص: 32).

(2) ألفية ابن مالك (ص: 14).



مبتدأً أولاً، ولفظ الجلالة مبتدأً ثانياً، والجملة من الأخير وخبره خبر المبتدأ الأول يكون فيه الشاهد، وهو إيراد المسند إليه علماً للنقطة المذكورة، وهي إحضار المسند إليه في ذهن السامع ابتداءً باسم مختص به لاقتضاء المقام لها؛ حيث إنه مقام بيان للتوحيد وتقرير لوحداية الله عز وجل، والتعبير بلفظ الجلالة أعون على ترسيخ ذلك في ذهن السامع<sup>(1)</sup>.

"ومن شواهدة أيضاً: قول مالك بن عويمر الهذلي من قصيدة له في رثاء أبيه - وكان يكنى أبا مالك - والكنية كما هو معلوم من أنواع العلم:

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ      عَلَى نَفْسِهِ وَمُشْبِعٌ غِنَاهُ

فهنا يصف الشاعر أباه بكرم الطبع، وأنه إذا أعوز ورقت حاله حبس فقره على نفسه، فلا يسأل أحداً، وإن أيسر واتسعت ذات يده أشرك صحبه في ماله وأعطى منه كل الناس. والشاهد تعريف المسند إليه "أبو مالك" بالعلمية؛ بقصد إحضار مدلوله بشخصه؛ حتى لا يلتبس بغيره<sup>(2)</sup>.

2- **التعظيم**. كالألقاب الصالحة للمدح، نحو: زارني زين العابدين.

3- **الاحتقار**. كالألقاب الصالحة للذم، نحو: مررت بزيد السفاح.

وهناك أغراض أخرى لمجيء المسند إليه علماً، منها: التفاؤل، والتبرك، والتلذذ بذكره، والاعتناء بشأته ترغيباً فيه أو تحذيراً منه أو تنبيهاً عليه.

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 182).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 183).

ج- تعريف المسند إليه بالموصلية:

24. وَصِلَةٌ لِلجَهْلِ وَالتَّعْظِيمِ لِلشَّانِ وَالإِيمَاءِ وَالتَّخِيمِ

(وصيلة): بالجر عطفًا على "بإضمار" والمراد: الموصول مع صلته، يعني:

بيان أغراض مجيء المسند إليه اسمًا موصولاً.

وكان الأصل أن يقدم اسم الإشارة على اسم الموصول؛ لأنه أعرف منه؛

"المعرفة السامع مدلوله بالقلب والبصر بخلاف الموصول" (1).

قال ابن مالك في كافيته:

فمضمر أعرفها ثم العلم واسم إشارة وموصول متم (2)

وذو أداة، أو منادى عيناً أو ذو إضافة بهاتين (3)

غير أنه قدم الموصول مجازاً للتلخيص، والله أعلم.

فمن تلك الأغراض:

1- عدم علم السامع بالأحوال المختصة به سوى الصلة. نحو: الذي لقيته

أمس رجل شاعر.

(1) حلية اللب المصون (84).

(2) ووصف الموصول بـ"متم" تنبيهاً على أنه لا يحكم عليه بالتعريف إلا بعد تمامه بتمام صلته.

شرح الكافية الشافية (1/223).

(3) شرح الكافية الشافية (1/222).



2- التعريض بتعظيم شأن الخبر. كقول الفرزدق مفاخرًا:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا      بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

ففي الموصول: الذي سمك.. "إشارة إلى أن الخبر المبني عليه من جنس الرفعة والبناء، ولكن هذه الإشارة وهذا الإيماء إلى نوع الخبر ليس مقصود الشاعر، وإنما هدفه التعريض بتعظيم بيته وتفخيمه من حيث إن بانيه هو ذلك الذي رفع السماء"<sup>(1)</sup>.

3- الإيماء إلى أن صفة بناء الخبر ونوعه، يعني: الإتيان بالموصول والصلة

للإشارة إلى أن بناء الخبر على المسند من أي وجه وأي طريق هو؛ من الثواب والعقاب، والمدح والذم والاستهزاء.

**نحو قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]. "فإن الاستكبار الذي تضمنته الصلة كان مناسبًا لإسناد ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - أي: ذليلين - إلى الموصول"<sup>(2)</sup>.

"ومثله: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ومثله كثير جدًا في كتاب الله؛ حيث نجد المبتدأ يحمل من المعاني ما يهيئ

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 205).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/172).

النفس إلى الخبر حتى لتكاد تعرفه قبل النطق به" (1).

4- إرادة التّفخيم؛ لأنّ الإبهام الذي قد يوحي به اسم الموصول مع صلته أحياناً يومئ إلى ذلك. كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى \* فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ [النجم: 53-54]" فنزل عليها من فوقها شيءٌ مهولٌ عظيمٌ سترها كلّها فدمرها تدميراً شاملاً، فدلّ الإبهام في الموصول وصلته على عِظَمِ الأمر المَهول الذي غَشَّى قري قوم لوط المنقلبة عاليها سافلها" (2).

ومثله قول دريد بن الصمة:

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ      فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ: ابْعُدِ

" فقوله: صبا ما صبا، فيه من الإبهام البالغ ما لو تناهيت في تفسيره فإنك لا تجد له من البيان مثل ما تجده في إبهامه" (3).

هذا ما ذكره الناظم، وهناك أغراض أخرى، منها: تقرير الغرض المسوق له الكلام، والهجنة، والتوهيم، وتوجه ذهن السامع وتفرغه لما يرد بعد المسند إليه، وغير ذلك.

د- تعريف المسند إليه باسم الإشارة:

25. وَيِإِشَارَةً لِذِي فَهْمٍ بَطِيٍّ      فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ أَوْ التَّوَسُّطِ

(1) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: 196).

(2) البلاغة العربية (1/ 433).

(3) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/ 47).



**(وبإشارة) أي:** ويعرّف المسند إليه باسم إشارة.

**يأتي المسند إليه باسم إشارة لأغراض:**

1- التعريض بغباوة السامع حين بطئ فهمه حيث لم يميز من الأشياء ويدرك منها إلا المحسوس المشار إليه.

**كقول الفرزدق:**

أَوْلَيْكَ أَبَائِي فَحِثْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

"حيث أورد المسند إليه "اسم إشارة" قصداً إلى أن يصم جريراً بوصمة الغباوة، وأنه لا يدرك إلا المحس بحاسة البصر، ولو أنه عدد آباءه بأسمائهم، فقال: فلان وفلان آبائي لم يكن فيه ما أراد الشاعر من التعريض عند من له ذوق سليم"<sup>(1)</sup>.

2- بيان رتبة المشار إليه من حيث القرب والبعد والتوسط.

نحو: هذا، ذاك، ذلك.

وهناك أغراض أخرى، منها: تمييز المسند إليه غاية التمييز؛ لإحضاره في ذهن السامع حساً بالإشارة، والتعظيم، والتحقير، والتفخيم، وغير ذلك.

**هـ-تعريف المسند إليه باللام:**

26. و" أَلْ " لِعَهْدٍ أَوْ حَقِيقَةٍ وَقَدْ تُفِيدُ الْاسْتِعْرَاقَ أَوْ لِمَا أَنْفَرَدُ

**(و" أَلْ "):** اختلف النحويون في حرف التعريف في الرجل ونحوه؛ فقال

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/31).

الخليل: المعرف هو أل، والألف أصل، وعملت معاملة ألف الوصل؛ لكثرة الاستعمال، **وقال سيويوه** هو اللام وحدها، لكنها وضعت ساكنة؛ مبالغة في الخفة؛ إذ كانت أكثر الأدوات دورًا في الكلام، فإذا ابتدئ بها لحقتها ألف الوصل مفتوحة، ليتمكن النطق بها؛ فالهمزة عند الخليل همزة قطع، وعند سيويوه همزة وصل اجتلبت للنطق بالساكن.

**قال ابن مالك:** ومذهب الخليل أقرب لسلامته من دعوى الزيادة في الحرف، ومن التعرض لالتباس الاستفهام بالخبر، أو بقاء همزة الوصل في غير الابتداء: مسهلة، أو مبدلة، ومن مخالفة المعهود في نقل الحركة إلى ما بعد همزة الوصل من الاستغناء عنها<sup>(1)</sup>.

**وفي ألفيته قال - مشيراً إلى الخلاف -:**

أَلْ حَرْفٌ تَعْرِيفٌ أَوْ اللَّامُ فَقَطْ      فَنَمَطٌ عَرَّفَتْ قُلُوبَ فِيهِ النَّمَطُ<sup>(2)</sup>

وقد ذكر الناظم في هذا البيت ما تفيده اللام المعرّفة إذا دخلت على معرّف،

**فذكر أنها تأتي:**

**أولاً: للعهد.** أي: لشيء معهود معلوم عند المتكلم، أو بين المتكلم

والمخاطب.

(1) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (1/ 177)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك (ص: 69).

(2) ألفية ابن مالك (ص: 16).



## والعهد ثلاثة:

1- **العهد الذكري**، وهو: أن يتقدم المعرّف نكرة ثم يكرر وفيه أل؛ كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا \* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: 15-16].

2- **العهد الذهني، أو العلمي**، وهو: أن لا يتقدم ذكر للمعرف لفظاً، ولكنه معلوم في الذهن؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: 40]، فالغار معهود في الأذهان أنه غار ثور.

3- **العهد الحضوري**؛ كقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، فالمراد باليوم هو اليوم الحاضر في ذلك الوقت عند نزول هذه الآية؛ فقد نزلت في يوم عرفة كما جاء ذلك في الصحيحين.

## ثانياً: لبيان الحقيقة، وهي ثلاثة أقسام أيضاً:

1- **الإشارة إلى الحقيقة "الماهية"** من حيث هي، دون النظر إلى الأفراد؛ نحو: الرجل خير من المرأة" أي: جنس الرجل وماهيته خير من جنس المرأة وماهيتها، لا كل فرد من أفراد الرجال خير من كل امرأة؛ إذ بعض النساء أفضل من مئات الألف من الرجال.

## ومنه قول أبي العلاء المعري:

وَالخِجْلُ كَالْمَاءِ يُبْدِي لِي ضَمَائِرَهُ مَعَ الصِّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ الكَدْرِ

أي: جنس الخجل يفعل هذا، دون ملاحظة استغراق جميع الأخلاء؛ إذ قد

يوجدُ منهم من هو على خلاف ذلك" (1).

2- الإشارة إلى الحقيقة باعتبار وجودها في بعض الأفراد من غير تعيين؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ﴾ [يوسف: 13]، فقوله: ﴿الذُّبُّ﴾: ليس " المراد الحقيقة نفسها؛ لأن الحقيقة من حيث هي أمر لا وجود له خارجاً حتى يتحقق منه أكل أو شرب، وإنما يتأتى ذلك من الأفراد، كما أنه ليس المراد حقيقة من حيث وجودها في جميع الأفراد؛ لاستحالة أن تجتمع الذئاب كلها على أكله، ولا الحقيقة من حيث وجودها في فرد بعينه؛ إذ لا عهد في الخارج بذب معين، لتعيين أن يكون المراد فرداً مبهمًا من أفراد الحقيقة.

ومن أمثلة هذه اللام كلمة "الغراب" في قول الشاعر:

فَمَنْ طَلَبَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ كَدٍ      سَيَدْرِكُهَا إِذَا شَابَ الْغَرَابُ

فليس المراد الحقيقة نفسها؛ لاستحالة قيام الشيب بما لا وجود له في الخارج، ولا الحقيقة في ضمن جميع أفرادها؛ لعدم الداعي إليه، ولا الحقيقة من حيث وجودها في فرد بعينه؛ إذ لا عهد بغراب معين، فتعيين أن يكون المقصود فرداً غير معين من أفراد الحقيقة بقريئة قوله: شَابَ" (2).

3- الإشارة إلى الحقيقة باعتبار وجودها في كل فرد من الأفراد. وهي هنا تفيد

الاستغراق، والاستغراق معناه: الشمول لجميع الأفراد، بحيث لا يخرج عنه شيء. " والاستغراق ضربان:

(1) البلاغة العربية (1/ 438).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 210).



حقيقي؛ كقوله تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: كل غيب وشهادة.  
وعرفني؛ كقولنا: "جمع الأمير الصاغة" إذا جمع صاغة بلده أو أطراف مملكته  
فحسب، لا صاغة الدنيا"<sup>(1)</sup>.

وقوله: (أَوْ لِمَا أَنْفَرَدُ) أي: قد يأتي المعرف بلام الحقيقة ويراد به فرد من  
الأفراد لا واحد بعينه منها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ﴾ [يوسف: 13]،  
وتقدم بيانه.

و-تعريف المسند إليه بالإضافة:

27. وبإضافة فلاختصارٍ نَعَمْ، وَلِلذَّمِّ أَوْ أَحْتَقَارِ

أي: وإن يكن المعرف بإضافته إلى واحد من المعارف الخمس السابقة فإنه  
يأتي لأغراض، ذكر الناظم منها ثلاثة:

1- إرادة الاختصار؛ لأن الإضافة أخصر طريق لإحضار المسند إليه في الذهن.

ومثاله: قول جعفر بن علبه الحارثي:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتَقٌ<sup>(2)</sup>

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 25).

(2) وبعده:

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنْتَى تَخَلَّصْتُ  
أَلَمْتُ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعْتُ  
فَلَا تَحْسَبِي أَنْتَى تَخَشَعْتُ بَعْدَكُمْ  
وَلَا أَنَّ قَلْبِي يَزِدُّهُمِ وَعَيْدُهُمْ  
إِلَيَّ وَبَابُ السَّجْنِ دُونِي مُغْلَقٌ  
فَلَمَّا تَوَلَّيْتُ كَادَتِ النَّفْسُ تَزْهَقُ  
لِشَيْءٍ وَلَا أَنْتَى مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَقُ  
وَلَا أَنْتَى بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أَخْرَقُ

فقد كان هذا الشاعر " مسجوناً بمكة في جنابة، فزارته محبوبته مع ركب من قومها، فلما رحلت قال فيها ذلك، وأثر قوله: "هواي" على نحو: "الذي أهوى" أو "المهوي لي"؛ لأن الإضافة أخصر وأنسب بما هو فيه من ضيق الصدر بالحبس، وكذلك ضيق الشعر، وقد أطلق الهوى على المهوي مجازاً مرسلًا<sup>(1)</sup>.

2-الذم. نحو: قاطع الصلاة ليس بيننا، ومنه حديث: (تعس عبد الديار...).

3-الاحتقار. نحو: حضر ظالم الناس.

وهناك أغراض أخرى منها: الاستغراق كما عند الأصوليين عند إضافة النكرة إلى معرفة، والتشريف، والتعظيم، والستر، والحث، والاستهزاء وغير ذلك.

ب-تنكير المسند إليه:

1-أغراض تنكير المسند إليه:

28. وَإِنْ مُنْكَرًا فَلِلتَّحْقِيرِ وَالضَّدِّ وَالْإِفْرَادِ وَالتَّكْثِيرِ

29. ضِدِّهِ،.....

(وَإِنْ مُنْكَرًا) أي: وإن يؤت بالمسند إليه منكرًا-يعني: حال كونه منكرًا-أو يكون " منكرًا" خبراً، والتقدير: وإن يكن المسند إليه منكرًا.

فمما ذكر الناظم من الأغراض التي يجيء لأجلها المسند إليه منكرًا:

وَلَكِنْ عَرَنْتِي مِنْ هَوَاكِ ضَمَانَةٌ كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقٌ

شرح ديوان الحماسة للتبريزي (11 / 1).

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (1 / 91).



1- التحقير؛ لأن التعريف للشيء رفعة، فينكر أحياناً لاحتقاره. تقول: رأيت رجلاً، عند إرادة تحقيره.

2- التعظيم. نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17]. فنكر رسول لقصد تعظيمه.

وقد اجتمع الغرضان في قول الشاعر:

لَهُ حَاجِبٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَشِينُهُ      وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

أي: له حاجب عظيم يحجبه عن كل أمر يشينه، وليس له حاجب ما ولو كان حقيراً يحجب عنه طالب المعروف؛ بسبب أنه جواد لا يرد طالب معروف<sup>(1)</sup>.

فالحاجب الأول معنوي، والتنكير فيه للتعظيم، والحاجب الثاني حسي والتنكير فيه للتحقير<sup>(2)</sup>.

3- قصد الأفراد مما يصدق عليه اسم الجنس. كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ [القصص: 20]، " فقد أتى بالمسند إليه: ﴿رَجُلٌ﴾ في الآية منكرًا للقصد فيه إلى رجل ما من أفراد مفهوم لفظ رجل؛ لأن الحكم بالمجيء لم يثبت لغير فرد واحد من هذا الجنس، فهو وإن أمكن تعيينه لكن ليس هناك غرض يتعلق بتعيينه ويقتضي تعريفه، بل الغرض أن يعلم موسى بائتمام القوم ليقتلوه؛ ولذا خرج خائفاً سائلاً ربه النجاة من القوم الظالمين، وهذا الغرض قد تحقق، ولا

(1) البلاغة العربية (1/ 406).

(2) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 333).

حاجة بعد ذلك إلى تعريف وتعيين من جاء بهذا النبا وأسدى إليه النصح<sup>(1)</sup>.

4- التكثر، بمعنى أن ذلك الشيء لكثرتة لا يحتاج إلى التعريف، فالتنكير يشعر بعدم الإحاطة بالمنكر. مثل قولهم: إن له لإبلاً وإن له لغنماً؛ أي: إن له لإبلاً كثيرة وغنماً وفيرة.

والفرق بين التعظيم والتكثير: أن التعظيم في القدر، والتكثير في العدد، أو يقال: التعظيم في الكيف، والتكثير في الكم، ومثل هذا يقال في التحقير والتقليل.

وقد يجتمع التعظيم والتكثير في مثال واحد نحو: "قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: 4] وقد نكر المسند إليه وهو "رسل" بقصد إفادة التعظيم والتكثير باعتبارين مختلفين؛ فعلى اعتبار أنهم أصحاب شأن عظيم يحملون آيات عظاماً لمن أرسلوا إليهم يكون التنكير للتعظيم، وعلى اعتبار أنهم ذوو عدد كثير يكون التنكير للتكثير. ومما أفاد تنكير المسند إليه فيه التكثير والتعظيم معاً قول الشاعر:

لَهُ هِمٌّ لَا مَتَهَى لِكِبَارِهَا      وَهَمَّتْهُ الصَّغْرَى أَجْلٌ مِنَ الدَّهْرِ

فقد أفاد تنكير "همم" التكثر والتعظيم؛ أي: همم كثيرة عظيمة؛ ولذا قال: لا منتهى لكبارها، أجل من الدهر<sup>(2)</sup>.

5- التقليل. وهو في قوله: (ضدّه)، نحو قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: 72]، فقد جاء لفظ "رضوان" مُنْكَرًا، وقرينة كونه من الله مع كونه أكبر من

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 222).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 226).



كُلِّ مَا فِي جَنَاتٍ عَدْنٍ مِنْ نَعِيمٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ: وَرِضْوَانٌ قَلِيلٌ مِنَ اللَّهِ يُفْرِغُهُ عَلَى أَهْلِ جَنَاتٍ عَدْنٍ هُوَ أَكْبَرُ عِنْدَهُمْ وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ.

**وقد تنبه علماء البلاغة** إلى أنه لم يرد في القرآن سلامٌ من جهة الله إلا مُنْكَرًا؛ لأنَّ سلامًا قليلًا من جهته عزَّ وجلَّ كافٍ لتحقيق كُلِّ مَا يَطْلُبُهُ الْعِبَادُ مِنْ أَمْنٍ أَوْ تَحِيَّةٍ، مثل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: 24]، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58]، ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 109]، ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الصافات: 120]، ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 181]، ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 91]"<sup>(1)</sup>.

**وهناك أغراض أخرى لمجيء المسند إليه منكرًا، منها:** التنويع، والجهل به، والتجاهل، والتهويل، والتهوين، والتلبيس والإخفاء على السامع، وبعض هذه الأغراض يدخل فيما ذكره الناظم.

### ثالثًا: إتباع المسند إليه:

يشعر الناظم هنا في ذكر توابع المسند إليه، وهي: الوصف، والتوكيد، والعطف بنوعيه، والإبدال.

#### أ- الوصف:

..... والوصفُ لِلتَّبِيِينِ والمدح والتخصيص والتعيين

(والوصفُ) أي: النعت.

(1) البلاغة العربية (1/ 404).

يعني: يأتي وصف المسند إليه لأغراض، منها:

1- بيان المسند إليه وكشف معناه. نحو: "التقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي

على هدى من ربه" (1).

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا

مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 19 - 21]، ف قوله: ﴿هَلُوعًا﴾: حال من نائب

الفاعل، وهو وصف كاشف ومفسر وموضح لحقيقة الإنسان" (2).

2- المدح والدم. نحو: جاء زيد العالم، والذم نحو: جاء فلان الظالم.

3- التخصيص. وهو لرفع الاحتمال في المعارف، نحو: جاء زيد الكاتب،

وتقليل الاشتراك في النكرات، نحو: رجل طيب عندنا؛ فإن رجلاً قبل الوصف  
بالطب كان يحتمل الطب وغيره.

والنعت عند النحاة يفيد التخصيص في النكرات، والتخصيص: تقليل الشيع،

والتوضيح في المعارف.

4- التعيين، والمقصود بالتعيين: التوكيد. نحو: أمس الدابر كان يوماً عظيماً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 13]، فالدابر

والواحدة نعتان توكيديان.

(1) مفتاح العلوم (ص: 187).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 230).



## ب- التوكيد:

30. وكونه موكِّداً فيحْصُلُ لدفعِ وهمِ كونه لا يَشْمَلُ  
31. والسَّهْوِ والتَّجَوُّزِ الْمُبَاحِ .....

يعني: يحصل توكيد المسند إليه لأغراض:

1- دفع توهم عدم الشمول. نحو: جاء الطلاب أجمعون؛ لئلا يتوهم مجيء بعضهم دون بعض، وقيام الآتين مقام الغائبين. وهو في قوله: **(الدفعِ وهمِ كونه لا يَشْمَلُ)** أي: يحصل توكيد المسند إليه لدفع الوهم، يقال: "وهم فلان في الشيء وإليه يهيم وهمًا: ذهب وهمه إليه وهو يريد سواه... والوهم: ما يقع في الذهن من الخاطر"<sup>(1)</sup>. وقوله: **(لا يَشْمَلُ)** يعني: لا يعم مضمون المسند.

2- دفع توهم السهو. وذلك بأن يخاف المتكلم أن السامع ظن به سهواً فأسند الحكم إلى غير من هو له، فجاء بالتوكيد اللفظي أو المعنوي لينفي ذلك؛ نحو: جاء زيد زيد، أو جاء زيد نفسه.

3- دفع توهم المجاز. وذلك حين يظن السامع أن المتكلم قصد المجاز ولم يقصد الحقيقة، فيأتي بالتوكيد ليبين له أنه قصد الحقيقة، نحو: أتى الأمير نفسه، ف نفسه لنفي كوني الآتي رسوله أو نائبه. وهذا معنى قوله: **(والتَّجَوُّزِ)**.

وأما قوله: **(المُبَاحِ)** فهي كلمة أراد بها تنمة الشطر لبيان أن قصده المجاز السائغ.

(1) المعجم الوسيط (2/ 1060).

## 3- عطف البيان:

ثُمَّ بَيَّأْنُهُ فَلِإِيضَاحِ .....

32. بِاسْمِ بِهِ يَخْتَصُّ .....  
.....

**المعنى:** ثم بيان المسند إليه أي: العطف عليه بالبيان باسم يختص به ذلك المسند إليه.

**والفرق بين عطف البيان والنعته:** أن النعت مشتق، وعطف البيان جامد. وقيل: النعت يدل على معنى في متبوعه، وعطف البيان يكشف حقيقته.

فمتى جاء وراء المسند إليه عطف بيان فإنه يجيء لإيضاح المسند إليه باسم يختص به؛ نحو: جاء صديقك بكر؛ ف صديقك مسند إليه، وفيه معنى العموم بوصف الصداقة، فلما جاء " بكر " خصه به.

## 4- الإبدال:

..... وَالْإِبْدَالُ يَزِيدُ تَقْرِيرًا لِمَا يُقَالُ

يعني: يأتي البديل من المسند إليه لزيادة التقرير-التثبيت والتمكين- في نفس السامع؛ لأنه صورة من صور التوكيد.

## وهو أقسام:

**أ- بدل كل من كل،** نحو: جاء أخوك زيد، فلو وقفت عند " أخوك " لتشوف السامع لمعرفة اسم الأخ، إذا كان لديه أكثر من أخ.



ب- بدل بعض من كل، ويأتي لتحصيل الحقيقة على ما هي عليه دون الاكتفاء ببعضها لتدل على باقيها، نحو: مات العلماء أكثرهم.

ج- بدل الاشتمال- وسمي بذلك لكون المبدل منه مشتملاً عليه-؛ نحو: سلب الناس عقولهم.

أما بدل الغلط- يعني: تدارك الغلط، وليس غلطاً في نفسه- فلا يقع في فصيح الكلام<sup>(1)</sup>.

#### 5- عطف النسق:

33. والعطفُ تَفْصِيلٌ مَعَ اقْتِرَابٍ أَوْ رَدُّ سَامِعٍ إِلَى الصَّوَابِ

والمقصود: العطف على المسند إليه عطف نسق بحرف من حروفه، فيأتي ذلك لأغراض:

1- تفصيل المسند إليه مع اختصار. نحو جاء زيد وعمرو. ففي هذا المثال تفصيل واختصار؛ فلو قال: جاء شخصان، لم يكن فيه تفصيل، وفي هذا المثال ونحوه تفصيل للفاعل بأنه زيد وعمرو من غير دلالة على تفصيل الفعل بأن المجيئين كانا معاً، أو مرتبين مع مهلة أو بلا مهلة.

ولو قال: جاء زيد وجاء عمرو، لم يكن فيه اختصار؛ لأن فيه تفصيلاً للمسند "جاء"، وعدم ذكر المسند مع المعطوف اكتفاء به مع المعطوف عليه؛ اختصار.

(1) ينظر: حلية اللب المصون (97).

والاختصار هو الذي عبر عنه الناظم بقوله: **(اقتراب)**.

وكما يأتي التفصيل والاختصار مع المسند إليه يأتي مع المسند، نحو: جاءني زيد فعمر، أو جاءني زيد ثم عمرو، إلا أن الفاء تدل على التعقيب بلا مهلة، وثم عليه وعلى المهلة.

**2- رد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب فيه.** نحو: جاءني زيد لا

عمرو، لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد، أو أنهما جاءك جميعاً.

وهناك أغراض أخرى لم يذكرها الناظم، منها:

صرف الحكم عن محكوم عليه إلى محكوم عليه آخر، والشك من المتكلم في المسند إليه، والتشكيك بإيقاع المتكلم السامع في الشك، والإبهام، والتخيير، والإباحة.

### ضمير الفصل:

34. والفصلُ للتخصيص.....

**من أحوال المسند إليه:** ضمير الفصل، وهو: أن يأتي بعد المسند إليه ضمير يفصله عن المسند؛ ليفيده فائدة معنوية وهي تخصيص المسند بالمسند إليه، نحو: زيد هو العالم، فقد قصر صفة العلم بهذه المرتبة على زيد؛ ولهذا لا يصح أن يعطف عليه فيقول: وغيره، بل لزيادة تمكن المعنى يقول: لا غيره.

وإنما جعل الفصل من أحوال المسند إليه؛ لأنه يتلوه، ولكونه في المعنى عبارة عنه، وفي اللفظ مطابق له؛ تذكيراً وتأييماً، وإفراداً وتثنية وجمعاً.



## رابعاً : تقديم المسند إليه :

34. .... والتقديم ..... فَلَاهِتِمَامٌ يَحْصُلُ التَّقْسِيمُ

**يعني:** والتقديم للمسند إليه من أحواله، ويحصل لأمر عام وهو كون المسند إليه ذا أهمية، فيقدم المسند إليه على غيره من الكلام للاهتمام به، ثم هذا الاهتمام جنس يدخل تحته كثير من المرجحات؛ **ولهذا قال: (يَحْصُلُ التَّقْسِيمُ)** ثم ذكر ذلك في قوله:

35. كالأصلِ والتمكينِ والتعجُّلِ وقد يُفِيدُ الاختصاصَ إن وُلِّي

36. نفيًا.....

وهذه الأمور التي يكون لأجلها تقديم المسند إليه - كما ذكر الناظم - هي:

1- تقديم المسند إليه هو الأصل؛ لأنه المحكوم عليه، ولا بد من تحققه قبل

الحكم عليه. أما إذا وجد مقتضى لتأخيره؛ كالفعل مع الفاعل فيؤخر، نحو: قام زيد.

2- تمكين الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشوقاً، وحصول الشيء بعد

الشوق إليه أوقع في النفس. كقول المعري:

وَالَّذِي حَارَتِ الْبُرِّيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ

فكون المسند إليه موصوفاً بحيرة البرية فيه يوجب الاشتياق إلى الخبر عنه ما

هو؟!!

ومثله: قول الآخر:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا      شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

3- تعجيل المسرة للتفاؤل أو المساءة للتشاؤم. نحو: سعد في دارك، والسفاح

في دار صديقك.

وقوله: (وقد يُفِيدُ الاختصاصَ إِنْ وَلِيَ نَفِيًّا...) يريد: أن تقديم المسند إليه قد يفيد تخصيص المسند بالمسند إليه، بشرط أن يأتي تالياً بعد المسند إليه أداة نفي بلا فصل، نحو: ما أنا فعلت هذا، والمعنى: بل غيري، فالتقديم أفاد نفي الفعل عن المتكلم وأثبته لغيره.

وهناك أغراض أخرى لتقديم المسند إليه اهتماماً به، منها: التشریف، والتلذذ، والحط، وضرورة النظم.

### إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

36.... وقد على خلاف الظاهر يأتي كأولى والتفاتٍ دائرٍ

يعني: أن جميع ما تقدم من: الحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير؛ كله مقتضى الظاهر، وقد يأتي المسند إليه على خلاف ذلك؛ لاقتضاء الحال إياه.

وقوله: (يأتي كأولى) أي: يأتي المسند إليه أحياناً على خلاف ظاهره أولى بالقصد والإرادة من إتيانه على ظاهره.



وقوله: (دائر) أي: شائع عند أهل العربية، أو دائر بين التكلم والخطاب والغيبة.

### صور الخروج عن مقتضى ظاهر الحال:

1- تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده؛ تنبيهاً على أنه **الأولى بالقصد**. وسماه عبد القاهر: المغالطة-يعني: مغالطة أدبية طريفة-، وسماه السكاكي: الأسلوب الحكيم، وهو الأكثر استعمالاً في كتب البلاغة المتأخرة.

**قيل:** "اجتمع ندماء من أهل الشعر والأدب في مجلس شراب، إلى جانب شجرة من أشجار العنب ذات عناقيد مدلاة، وكان القبعثري واحداً منهم، يعبث بعنقودٍ عنبٍ مدلى من غصنه، فذكر أحد الندماء الحجاج بن يوسف، فقال القبعثري ويده عنقودُ العنب المدلى من غصنه: قَطَعَ اللهُ عُنُقَهُ وَسَقَانِي مِنْ دَمِهِ.

فأبلغ أحد الوشاة كلمته إلى الحجاج، فاستدعاه وقال له: أنت الذي قُلتَ: قطع الله عنقه وسقاني دمه؟

قال: نعم، وقد قصدتُ عنقودَ العنب الذي كان بيدي.

**قال له الحجاج:** لأحمِلَنَّكَ على الأدهم (أي: لأقيدَنَّكَ بالحديد)، قال القبعثري: مثل الأمير يحْمِلُ على الأدهم والأشهب (قاصداً من الخيل)، قال الحجاج: قَصَدْتُ الحديد. قال القبعثري: لأن يكون حديداً خيراً من أن يكون بليداً"<sup>(1)</sup>.

"فأراد الحجاج أن يقيده فتلقاه القبعثري بغير ما يترقبه من فهمه التواعد

(1) البلاغة العربية (1/ 499).

بألطف وجه مشيراً إلى أن من كان مثله من السلطنة إنما يناسبه أن يوجد بأن يحمل على الأدهم والأشهب من الخيل، ويكون جديراً بأن يُصَفَدَ -بضم الياء أي: يعطي- لا أن يَصَفَدَ -بفتحها أي: يشد ويوثق" (1).

## 2- الالتفات (2). وهو: "نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ آخَرَ؛ تَطْرِيحاً

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/284).

(2) للالتفات منزلة سامية في الكلام، كشف عن بعضها أهل البلاغة؛ قال الزمخشري عنه: "هو فنّ من الكلام جزل، فيه هزّ وتحريك من السامع، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما: إن فلاناً من قصته كيت وكيت، فقصصت عليه ما فرط منه، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت: يا فلان، من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك، وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك؛ نهته بالفتاتك نحوه فضل تنبيهه، واستدعيت إصغاه إلى إرشادك زيادة استدعاء، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازماً من طبعه ما لا يجده إذا استمررت على لفظ الغيبة، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف، يستفتح الأذان للاستماع، ويستتهش الأنفس للقبول"، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (1/88).

**وقال السكاكي:** "وهذا النوع قد يختص مواقعه بلطائف معان قلما تتضح إلا لأفراد بلغائهم أو للحذاق المهرة في هذا الفن والعلماء النحارير، ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه فضل بهاء ورونق، وأورث السامع زيادة هزة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلة ومحل إن كان ممن يسمع ويعقل وقليل ما هم"، مفتاح العلوم (ص: 200).

**وقال ابن الأثير:** "هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن، وإليها تستند البلاغة، وعنهما يعنعن. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة؛ لأنه ينتقل فيه عن صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض، أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلاً. يسمى أيضاً "شجاعة العربية"، =



وَاسْتَدْرَارًا لِلْسَّمَاعِ، وَتَجْدِيدًا لِنَشَاطِهِ، وَصِيَانَةً لِحَاطِرِهِ مِنَ الْمَلَالِ وَالضَّجْرِ بِدَوَامِ  
 الْأُسْلُوبِ الْوَاحِدِ عَلَى سَمْعِهِ كَمَا قِيلَ:  
 لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِنْ كَانَتْ مُصْرَفَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ<sup>(1)</sup>

لهذا فالالتفات يكون من التكلم إلى الخطاب، ومن التكلم إلى الغيبة، ومن  
 الخطاب إلى التكلم، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب، ومن  
 الغيبة إلى التكلم.

### وأمثلتها على النحو الآتي:

وإنما سمي بذلك؛ لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه  
 غيره، ويتورد ما لا يتورده سواه، وكذلك هذا الالتفات في الكلام؛ فإن اللغة العربية تختص به  
 دون غيرها من اللغات"، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 135).

**وقال العلوي:** "الالتفات من أجل علوم البلاغة وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها  
 وعقودها، وسمى بذلك أخذًا له من التفات الإنسان يمينًا وشمالاً، فتارة يقبل بوجهه وتارة  
 كذا، وتارة كذا، فهكذا حال هذا النوع من علم المعاني؛ فإنه في الكلام ينتقل من صيغة إلى  
 صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفات"،  
 الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/ 71).

**أما عن فوائد الالتفات فهناك فائدة عامة، وهي:** التفتن في انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر؛  
 لما في ذلك من تنشيط للسامع، واستجلاب لصفائه، واتساع لمجاري الكلام عنده. وأما  
 الفوائد الخاصة فهي ترجع إلى كل موضع على حدة، فمن ذلك: تعظيم شأن المخاطب،  
 والمبالغة، والتتيميم، والاهتمام، والتوبيخ، والتنبيه على الضلال، والمدح، وزيادة الإنكار  
 واللوم. وغير ذلك، وينظر في أمثلتها: البرهان في علوم القرآن (3/ 326) وما بعدها.

(1) البرهان في علوم القرآن (3/ 314).

أ- من التكلم إلى الخطاب. نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:22].

والأصل: وإليه أرجع، فالتفت من التكلم إلى الخطاب.

ب- من التكلم إلى الغيبة. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر:1-2]. ومقتضى الظاهر: "فصل لنا".

ج- من الخطاب إلى التكلم. كقول علقمة بن عبدة:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طُرُوبٌ      بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ  
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيَّهَا      وَعَادَتْ عَوَادِ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ

"بدأ يتحدث عن نفسه بأسلوب الخطاب في البيت الأول مُجَرِّداً من نفسه مُخاطباً قائلاً: "طَحَا بِكَ قَلْبٌ" أي: ذهب بك وأتلفك.

وانتقل إلى أسلوب التكلم في الحديث عن نفسه فقال في البيت الثاني: "يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيَّهَا" أي: يُكَلِّفُنِي حُبَّ لَيْلَى وَقَدْ بَعُدَ قُرْبَهَا" (1).

د- من الخطاب إلى الغيبة. كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَهُمْ﴾ [يونس:22]. ولم يقل: بكم؛ "فإنه إنما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي: أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم، ولو قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة

(1) البلاغة العربية (1/ 488).



وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية؛ لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام<sup>(1)</sup>.

**هـ- من الغيبة إلى الخطاب.** كقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ \* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 4-5]. ومقتضى الظاهر: إياه نعبد.

**و- من الغيبة إلى التكلم.** كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ﴾ [فاطر: 9]. ومقتضى الظاهر: فساقه. "وفائدته في هذه الآية وأمثالها: التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد"<sup>(2)</sup>.

هذا ما ذكره الناظم، وهناك صور أخرى للخروج عن مقتضى الظاهر، منها:

وضع المضمرة موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمرة، والتعبير عن المعنى المستقبل بلفظ الماضي؛ تنبيهاً على تحقق وقوعه، والقلب، وهو: أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه.



(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 10).

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 75).



### الباب الثالث: أحوال المسند

آخِرُ الْكَلَامِ عَنِ الْمَسْنَدِ إِلَى بَعْدِ ذِكْرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ؛ "لأنه فرع عنه ومسوق لأجله؛ لأن المسند إليه محكوم عليه، والمسند حكم، والثاني مؤخر عن الأول" (1).

**والمقصود من هذا الباب:** ذكر الأحوال العارضة للمسند؛ كالحذف والذكر، والإفراد، وتقييده سواء كان اسمًا أم فعلاً، وتنكيهه وتعريفه، وكون المسند جملة، وتقديمه وتأخيرها.

#### تعريف المسند وموضعه (2):

**المسند:** هو المحكوم به أو المخبر به؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتُهُمْ مَرْصُوصًا﴾ [الصف:4]، أسندت المحبة إلى الله تعالى، فهي مسند، ولفظ الجلالة مسند إليه، **وقول جرير:**  
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهٍ      وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ أَرَكَانَا  
فالفعل "يصرع" مسند، و"أضعف" مسند أيضًا.

(1) حلية اللب المصون (114).

(2) أساليب بلاغية (ص: 136)، بتصرف.



**ومواضع المسند هي :**

1- **الفعل التام.** كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1]؛ ف«أفلح»

فعل تام، وهو مسند، و«المؤمنون» مسند إليه، **وقول المتنبّي:**

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ      وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِهِ

ف"ساء" فعل تام وهو مسند، و"فعل" مسند إليه.

2- **اسم الفعل:** وهو لفظ يقوم مقام الأفعال في الدلالة على معناها وفي

عملها. نحو: هيهات العقيق. ف"هيهات" اسم فعل ماض، وهو مسند، و"العقيق" مسند إليه.

3- **خبر المبتدأ.** كقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[الكهف: 46]؛ ف«زينة» خبر، وهي مسند، **وقول الشاعر:**

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً      إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابْتَنِي وَلَمْ تُرِدْ  
كِلَاهُمَا خَلْفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ      هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي

فالكلمات "خلف" و"أخي" و"ولدي" كل واحدة منها خبر، أي: مسند.

4- **المبتدأ المكتفي بمرفوعه:** وهو كل وصف اعتمد على استفهام أو نفى

ورفع فاعلاً ظاهراً أو ضميراً منفصلاً وتم الكلام به.

**مثل:** "أقائم الرجالن" ف"قائم" مبتدأ وهو مسند؛ لأن "الرجالن" فاعل له

سدّ مسدّ الخبر. و"أقائم أنتما" مثلها في الإسناد. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ

أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [مريم: 46]. ف«أراغب» مبتدأ وهو المسند، والضمير

«أنت» فاعل سد مسد الخبر.

### وقول الشاعر:

أَمْنُجِزُ أَنْتُمْ وَعَدًّا وَثَقْتُ بِهِ      أَمْ أَقْتَمَيْتُمْ جَمِيعًا نَهَجَ عِرْقُوبِ

فـ "منجز" مبتدأ وهو مسند، و "أنتم" فاعل سد مسد الخبر، وهو مسند إليه.

### 5- ما أصله خبر المبتدأ: وهو:

أ- خبر كان وأخواتها؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 51].

فـ «عليمًا» مسند؛ لأنه خبر «كان» وهو خبر للمبتدأ في أصل الجملة.

ب- خبر إن وأخواتها؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: 51]؛ فـ «ربي» مسند؛ لأنه خبر «إن» وهو خبر المبتدأ في الأصل.

ج- المفعول الثاني لـ "ظن" وأخواتها؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾

[الكهف: 36]، فـ «قائمة» مسند؛ لأنها المفعول الثاني لـ «أظنُّ» وهى خبر في الأصل.

د- المفعول الثالث لـ "أرى وأخواتها"، مثل: "أريتك العلم نافعاً" فـ "نافعاً"

مسند؛ لأنه المفعول الثالث لـ "أرى" وأصله خبر المبتدأ.

هـ- المصدر النائب عن فعل الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

[البقرة: 83].



## أحوال المسند:

## أولاً: حذف المسند وذكره:

37. لِمَا مَضَى التَّرْكَ مَعَ الْقَرِينَةِ وَالذِّكْرُ أَوْ يُفِيدُنَا تَعْيِينَهُ

قوله: (لِمَا مَضَى التَّرْكَ مَعَ الْقَرِينَةِ) يعني: أن علة حذف المسند هي علة حذف المسند إليه التي تقدمت، لكن بشرط أن يكون الحذف مع القرينة الدالة على ذلك؛ حتى يفهم المعنى؛ كوقوع الكلام إجابة عن سؤال محقق نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: 87] "تقديره: خلقهن الله، والمعنى: يتحقق السؤال هاهنا تحققه قبل الجواب، لأنه محقق الوقوع عند نزول الآية؛ لأن فعل الشرط مستقبل المعنى، بل الاقتصار على لفظ الجلالة الكريمة يستدعي تقدم سؤال استغنى به عن ذكر خلقهن، وتارة يكون سؤالاً مقدرًا، أي: غير منطوق به؛ كقول الحارث بن ضرار النهشلي، وقيل: للحارث بن نهيك، وقيل: لمرّة بن عمرو النهشلي، وهو من أبيات سيبويه، و (يزيد) هو: يزيد بن نهشل:

لِيَيْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطَيِّحُ الطَّوَائِحُ

فإنه لما قال: لييك يزيد؛ كأن سائلاً سأله من ييكيه؟ فقال: ضارع، أي: ييكيه ضارع، وما ذكره المصنف قد ذكره النحاة أيضًا، وقد يقال: تقديره: الباكي ضارع أحسن؛ لأنه حيث أمكن تقدير الاسم فلا يقدر الفعل" (1).

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (308/1).

عَوْنُ الْبِدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبِدِيعِ

**فمن تلك العلل:** الاحتراز عن العبث، نحو: زيد، في جواب من قال: من جاء؟

ومن حذف المسند للدلالة عليه: **قول الشاعر:**

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ  
أَرَادَ: نحن راضون وأنت راض.

**وقوله: (والذُّكْرُ) أي:** ذكر المسند لما مر في ذكر المسند إليه؛ عند قوله: والذكر للتعظيم...، فالذكر معطوف على الترك **(أَوْ يَفِيدُنَا تَعْيِينَهُ) يعني:** أو يذكر المسند؛ لأن الذكر له يفيدنا تعيينه وتحديده من كونه اسمًا أو فعلًا؛ لأن الاسم يفيد الثبوت؛ نحو: بكر طالب علم، والفعل يفيد التجدد؛ نحو: بكر يطلب العلم، فلو حذف المسند فلا ندري ما يقصد: الثبوت أو التجدد!

**ثانياً: كون المسند فعلاً أو اسماً:**

38. وَكَوْنُهُ فِعْلاً فَالْتَقِيْدُ بِالْوَقْتِ مَعَ إِفَادَةِ التَّجَدُّدِ

39. وَاسْمًا فَلِانْعِدَامِ ذَا.....

**والمعنى:** المسند قد يكون فعلاً، وقد يكون اسماً؛ **فيكون:**

**أ- فعلاً فلتقيده بأحد الأزمنة الثلاثة:** الماضي، والحال، والاستقبال، مع إفادة التجدد والحدوث، يعني: تكرر الوقوع مرة بعد أخرى.

وهو بهذا لا يحتاج إلى قرينة لفظية تحده، بخلاف الوصف كاسم الفاعل فإنه لا يفيد التوقيت إلا بقيد لفظي؛ نحو: زيد قائم أمس، أو الآن، أو غداً. أما الفعل فلا يحتاج إلى ذلك؛ لأن زمنه جزء من مفهومه؛ فالفعل يدل على حدث



وزمن، قال الشاعر:

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاطَ قَبِيلَةٍ      بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

ف" قد استخدم الفعل المضارع "يتوسم" لإفادة التجدد والحدوث، فالعريف دائم المراجعة والتأمل، وإعادة النظر في وجوه القوم، يحدث منه التوسم شيئاً فشيئاً، ولو قال: بعثوا إليّ عريفهم متوسماً لَمَا تحققت هذه الإفادة، ولما كان هناك إشعار بحالة التجدد هذه"<sup>(1)</sup>.

**ب- ويكون اسماً.** يعني: ويأتي المسند اسماً؛ لانعدام تقيده بالوقت الذي في الفعل؛ لكونه لا يراد منه التجدد والحدوث، بل يراد منه الثبوت والدوام، ويكون ذلك في مقامات منها: مقاما المدح والذم؛ **نحو قول الشاعر:**

لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ المَضْرُوبُ صُرَّتَنَا      لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مَنْطَلِقُ

فالشاعر "يريد: أن دراهمهم دائمة الانطلاق تمرق من الكيس مروق السهام من قسيها؛ لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات، كما يرشد إلى ذلك ما قبله: إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتَ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا      ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ المَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ"<sup>(2)</sup>

**ثالثاً: كون المسند مفرداً:**

39..... ومفرداً      لِأَنَّ نَفْسَ الحُكْمِ فِيهِ قُصْدَا

يعني: وكون المسند مفرداً.

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 303).

(2) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 56).

المفرد عند النحاة يختلف باختلاف الأبواب؛ ففي باب الإعراب يكون المفرد: ما ليس مثني ولا مجموعاً، وفي باب العلم: ما ليس مركباً، وفي بابي "لا" النافية للجنس والمنادى: ما ليس مضافاً ولا شبيهاً بالمضاف، وفي باب الخبر: ما ليس جملة ولا شبيهاً بها.

والمراد بالمفرد عند أهل المعاني من هذه الأنواع: النوع الأخير، وهو: ما ليس جملة ولا شبيهاً.

فيكون مفرداً إذا قصد به نفس الحكم لا زيادة على ذلك؛ نحو: قام زيد، وزيد قائم، فالمقصود هو: إثبات القيام لزيد فقط، وهو الحكم.

أما إذا قصدت به زيادة على ذلك فيكون المسند جملة، **وذلك في أمرين:**

أ- قصد تقوية الحكم؛ نحو: زيد قام، فزيد قد ذكر مرتين: مرة بالاسم الصريح، وأخرى بضميره؛ لأن التقدير: زيد قام زيد؛ لأن في قام الأول ضميراً مستتراً.

وهذه التقوية جاءت من تكرار الإسناد إلى المسند إليه "زيد"؛ مرة بالاسم ومرة بالفعل.

2- أن يكون سببياً، مثل: زيد أبوه قائم، فالحكم بالقيام ليس للمسند إليه زيد، وإنما لما تعلق به وهو أبوه.

**والفرق بين السببي عند النحاة وعند البيانين: أن يقال:**

**السببي عند البيانين:** جملة علقت على مبتدأ بعائد غير مسند إليه فيها، ففيه



## ثلاثة شروط:

أ- كونه جملة.

ب- أن تعلق على مبتدأ.

ج- بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك الجملة.

فخرج المسند في نحو: "زيد منطلق أبوه"؛ لأنه مفرد؛ لكون الوصف أسند فيه إلى المبتدأ، وخرج نحو: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]؛ لعدم العائد، فقوله: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ جملة أخبر بها عن ضمير الشأن؛ لأن تعليقها بالمبتدأ بنفسها لا بعائد، ف (هو) مبتدأ. و (الله أحد) مبتدأ وخبره. والجملة خبر المبتدأ الأول. وهي مرتبطة به؛ لأنها نفسه في المعنى.

وخرج نحو: زيد قام؛ لأن العائد في قام مسند إليه؛ إذ التقدير: زيد قام زيد قام، كما تقدم.

**وأما النحاة فالسببي في اصطلاحهم هو:** ما جرى من جهة المعنى لما بعده، ومن جهة اللفظ لما قبله، فالنحويون لا يشترطون أن يكون جملة.

وبين الاصطلاحين عموم وخصوص من وجه: فتارة يكون سببياً عند البيانين والنحويين مثل: زيد قام أبوه، وتارة يكون سببياً عند النحويين مثل: زيد قائم أبوه، وتارة يكون سببياً عند البيانين مثل: زيد ضربته.

**رابعاً : تقييد الفعل بالمفعول وتركه :**

40. والفِعْلُ بِالمَفْعُولِ إِنْ تَقَيَّدَ لِأَنَّ نَفْسَ الْحُكْمِ فِيهِ قُصِدَا

**يريد:** والفعل إن تقييد بالمفعول مطلقاً - المفعول به، وله، وفيه، والمطلق - وفي معنى الفعل: الوصف، ونحو المفعول مثل: الحال والتمييز والاستثناء؛ فإنه جاء ليفيد معنى زائداً في الخبر، وهذه الزيادة قد تكون لمعرفة من وقع عليه الفعل، أو سببه، أو ظرفه، أو توكيده، أو هيئته، أو تمييز ذاته، أو عدم بقائه على عمومه.

**فإذا قلت:** ضربت فليس هناك زيادة فائدة، لكن لو قلت: ضربت زيدا، كان هناك فائدة وهي معرفة من وقع عليه الضرب، فإذا قلت: ضربت زيدا تأديباً، كانت الزيادة: معرفة سبب الضرب، فإذا قلت: يوم الجمعة، كانت الزيادة في معرفة زمن الضرب، فإذا قلت: عند داره، كانت الزيادة في معرفة مكان الضرب، وهكذا تصنع في الباقي.

41. وَتَرْكُهُ لِمَنَعٍ مِنْهُ.....

**يعني:** وترك التقييد للفعل وما في معناه بما سبق لمانع من قصد إفادة زيادة، ومن هذه الموانع:

1- **ستر القيد؛** من زمان الفعل أو مكانه أو سببه عن المخاطب أو غيره من الحاضرين، نحو: زيد فعل كذا، فحذف المفعول، أو زيد حضر، فحذف الزمان، أو زيد مستقر، فحذف المكان.

2- **انتهاز الفرصة؛** خوفاً من انقضائها، مثل: "غزال وقع" تريد: غزال وقع في



الشرك، فتحذف القيد، وهو " في الشرك"؛ مخافة أن تفوت الفرصة، فيفلت الصيد من يد الصائد.

3- **الجهل بالقيود؛** كالجهل بمفعول الفعل أو سببه أو زمانه أو مكانه.

4- **عدم الحاجة إليها؛** لعلم المتكلم بأن المقام غير محتاج إليها.

### خامساً: تقييد الفعل بالشرط:

41..... وإن ..... **بِالشَّرْطِ بِاعْتِبَارِ مَا يَجِيءُ مِنْ**

42. **أَدَاتِهِ، وَالْجَزْمُ أَصْلٌ فِي إِذَا** **لَا إِنْ وَلَوْ وَلَا كَذَاكَ مَنْعٌ ذَا**

**المعنى:** وإن قيّد الفعل أو المسند بأداة من أدوات الشرط فللمعنى الذي يكون لأداته؛ إذ لكل أداة معنى، وقد اقتصر على ثلاث منها وهي: "إذا" و"إن" و"لو".

والقطع بوقوع الشرط في الاستقبال هو الأصل في معنى "إذا" وقد يأتي خلاف الأصل.

وأما "إن" و"لو" فالأصل عدم القطع بالوقوع في الاستقبال، وقد يرد خلاف هذا الأصل.

**وقوله: (ولا كذاكَ مَنْعٌ ذَا) معناه:** أن الامتناع مشترك بين هذه الأدوات الثلاث، ولكنه في "لو" أقوى. أو المعنى: ليس منع "إن" - فالكاف تعود على "إن" - كمنع "لو"؛ فإن وقوع الشرط في "لو" ممتنع.

**وتفصيل معاني هذه الأدوات في الآتي:**

**أولاً:** "إن": تفيده الشرط والاستقبال، ولكن ليس فيها قطع بوقوع الشرط، بل تفيده الشك، نحو: إن تحضر تكرم.

**وقد تستعمل في مقام القطع لفائدة، منها:**

1- التجاهل لاستدعاء المقام إياه؛ نحو قول الابن لطالب دين من أبيه وأبوه معسر متى سأله عن أبيه: هل هو في الدار؟ وهو يعلم أنه فيها، فيقول: إن كان فيها أخبرك. يتجاهل خوفاً من أبيه.

2- عدم جزم المخاطب بوقوع الشرط؛ كقولك لمن يكذبك فيما تخبر: إن صدقتُ فقل لي: ماذا تفعل؟

3- تنزيل المخاطب منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجب العلم؛ كقولك لمن يؤذي أباه: إن كان أباك فلا تؤذه.

**ثانياً:** "إذا": تفيده الشرط والاستقبال مع الجزم بوقوع الشرط في المستقبل، سواء كان ماضي اللفظ أو مضارعه، نحو: إذا جئتني أكرمتك، وإذا زالت الشمس آتيتك.

وغلب لفظ الماضي مع إذا لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ<sup>(1)</sup>.

**قال عبد القاهر:** "وينظر في الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد

(1) ينظر: الإيضاح (2/ 119).



منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه، نحو أن يجيء بـ "ما" في نفي الحال، وبـ "لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ "إن" فيما يترجح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـ "إذا" فيما علم أنه كائن<sup>(1)</sup>.

و**"قال الزمخشري: وللجهل بموقع إن وإذا يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون؛ ألا ترى إلى عبد الرحمن بن حسان كيف أخطأ بهما الموقع في قوله-** يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ثم شفع له فيها فقضاها:-

ذُمِّمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي      تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطَنَاعَهَا  
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيِي مُقْصَّرٌ      وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بَاعَهَا  
إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً      عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرٍّ أَطَاعَهَا

فلو عكس لأصاب<sup>(2)</sup>.

و**قال أبو عثمان-** مبيناً أنه سعيد لا أبوه:- "وقالوا: أتى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو عامل سليمان بن عبد الملك، فسأله أن يكلم سليمان في حاجة له، فوعده أن يقضيها ولم يفعل، وأتى عمر بن عبد العزيز فكلمه فقضى حاجته، فقال سعيد: <sup>(3)</sup>الأبيات.

وفي "إن" و"إذا" **قال بعضهم:**

(1) دلائل الإعجازات الأيوبية (ص: 117).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 118).

(3) البيان والتبيين (3/ 128).

سَلَّمْ عَلَى شَيْخِ النِّحَاةِ وَقُلْ لَهُ      هَذَا سَوْأَلٌ مِنْ يُجِبُّهُ يَعْظَمُ  
أَنَا إِنْ شَكَّكَتُ وَجَدْتُمُونِي جَازِمًا      وَإِذَا جَزِمْتُ فَإِنِّي لَمْ أَجْزَمْ

**جوابه:**

هَذَا سَوْأَلٌ غَامُضٌ فِي كَلِمَتِي      شَرْطٍ وَ"إِنْ" وَ"إِذَا" مُرَادُ مُكَلِّمِي  
(إِنْ) إِنْ نَطَقْتُ بِهَا فَإِنَّكَ جَازِمٌ      (وَإِذَا) إِذَا تَأْتَى بِهَا لَمْ تَجْزَمْ  
وَإِذَا لَمْ أَجْزَمْ الْفَتْى بِوَقُوعِهِ      بِخِلَافِ إِنْ فَافْهَمُ أُخَيِّ وَفَهَّمُ<sup>(1)</sup>

وحيث كنا في هذا الدرس من تلخيص المفتاح أفادنا شيخنا: إبراهيم الشنقيطي - حفظه الله - هذه الفائدة: "إن" تقتضي الشك من جهة المعنى، والجزم من جهة اللفظ، و"إذا" تقتضي الجزم من جهة المعنى، وعدم الجزم من جهة اللفظ".

**ثالثاً:** "لو". في إفادة لو خلاف كبير بين النحاة؛ فابن مالك يقول فيها: "لو حرف شرط يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه"<sup>(2)</sup>، قال ابن هشام - تعليقا عليه -: "وهو خير من قول كثير منهم: (حرف امتناع لامتناع)"<sup>(3)</sup>.

**وقال المرادي:** "لو: حرف، له أربعة أقسام: الأول: لو الامتناعية. وعبارة

(1) الطراز في الألغاز (ص: 46).

(2) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (ص: 240). ولناظر الجيش في شرحه كلام طويل حول هذا التعريف وغيره، ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد (9/ 4433) وما بعدها.

(3) نكتة الإعراب (ص: 2).



أكثرهم: لو حرف امتناع لامتناع. أي: تدل على امتناع الثاني لامتناع الأول. وهذه عبارة ظاهرها أنها غير صحيحة...<sup>(1)</sup>.

**وقال ابن عقيل:** "لو: حرف شرط في مضي، وذلك نحو قولك: لو قام زيد لقمتم، وفسرها سيويه بأنها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وفسرها غيره بأنها حرف امتناع لامتناع، وهذه العبارة الأخيرة هي المشهورة، والأولى الأصح، وقد يقع بعدها ما هو مستقبل المعنى.."<sup>(2)</sup>.

**فائدة:** ذكر لنا شيخنا إبراهيم الشنقيطي - حفظه الله - أن هناك قاعدة أغلبية في "لو" هي: "شرط لو وجوابها إذا كانا مثبتين كانا منفيين، وإذا كانا منفيين كانا مثبتين، وإذا كان أحدهما مثبتاً والآخر منفيًا كانا كذلك".

### وصف المسند وتعريفه وتنكيره وتأخيرها وتقديمه :

43. والوصفُ والتعريفُ والتأخيرُ وعكسُهُ يُعرَفُ والتَّنْكِيرُ

**المعنى:** الوصف وما عطف عليه يعرف تفصيله مما تقدم في المسند إليه.

**أولاً: وصف المسند:**

يأتي وصف المسند لـ:

1- **التخصيص،** نحو: زيد شاعر مُفْلِقٌ.

(1) الجنى الداني في حروف المعاني (ص: 272) وما بعدها، ثم بحث المسألة بحثاً مستفيضاً.

(2) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (4/ 47).

2- التوضيح، نحو: زيد قائم.

ثانياً: تعريف المسند:

بأن يكون معرفاً بإحدى المعارف الست، ويكون لأغراض، منها<sup>(1)</sup>:

1- **إرادة العهد.** بمعنى: أن يكون المسند معلوماً للمخاطب معهوداً له، ولكنه لا يعلم المسند إليه؛ كأن يعلم مخاطبك أن انطلافاً وقع، ولكنه لا يدري ممن؟ فتقول له: زيد المنطلق. فتعريف المسند هنا أفاد إرادة العهد أي: الانطلاق المعهود لدى صاحبك، فإذا كان لا يعهد انطلافاً ولا يعلمه، قلت له: زيد منطلق. تريد مجرد إخباره بوقوع انطلاق من زيد؛ ولذا كان من الخطأ أن تقول: زيد المنطلق وعمرو؛ لأنك تتحدث عن انطلاق معروف للمخاطب ومُعِين. فإذا أثبتته لزيد لا يصلح لك أن تثبته ثانيةً لعمرو؛ لأن هذا تناقض. فالصواب إذن أن تقول: زيد منطلق وعمرو. أو تقول: زيد وعمرو المنطلقان.

2- **إفادة قصر المسند على المسند إليه.** سواء عرف المسند بـ "أل" أو

بالموصولية أو جاء مقيداً. فمثال الأول: زيد الشاعر، وعمرو الشجاع، وحاتم الجواد.

تريد بهذا قصر المسند على المسند إليه قصرًا ادعائيًا؛ بهدف المبالغة في الوصف، ويكون ذلك غالباً في مقامات المدح، والفخر، والثناء، ونحوها.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى \* قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 67، 68]. أي: أنت الأعلى لا هم. فتعريف المسند أفاد قصره على

(1) ينظر: البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 292). بتصرف.



المسند إليه قصرًا إضافيًا. بمعنى: أنه لا يتعداه إلى هؤلاء السحرة.

**ومثال الثاني وهو:** أن يعرف بالموصلية، فيفيد بالإضافة إلى قصره على المسند إليه دقائق ولطائف يدركها اللّمّاح الذواقه الخبير بالأساليب الرفيعة والتعبيرات الجيدة، انظر إلى **قول المتنبي:**

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي      وأسمنت كلماتي من به صمم  
أنام ملء جفوني عن شواردها      ويسهر الخلق جراها ويختصم

تجد أن تعريف المسند بالموصلية أفاد بالإضافة إلى قصر مدلول الصفة على المتنبي اشتهاً جملة الصلة وانشغال الناس بها، فهي أمر معروف بين الناس جميعاً يعرفونه ولا أحد يجهره.

**وتأمل الآيات الكريمة:** ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ \* وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ \* وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[المؤمنون: 78-80]. **وتأمل قوله عَزَّوَجَلَّ:** ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33]؛ فإنك تجد المسند في الآيات الكريمة مقصوراً على المسند إليه قصرًا حقيقياً، ثم إن إثارة التعريف بالموصلية أفاد انشغال الخلق بتلك الأمور المثارة في جملة الصلة، واشتهارها بينهم وخوضهم فيها، وترددها على الأسماع. فتلك ميزة يمتاز بها التعريف بالاسم الموصل.

**ومثال الثالث وهو:** أن يقيد بقيد فيفيد تعريفه عندئذ قصره مقيداً بذلك القيد

على المسند إليه. وكأنه -أي: المسند- قد صار نوعاً خاصاً، وجنساً برأسه. تقول مثلاً: زيد الكريم حين يبخل الناس، وهو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيراً، وهو المقدم حين تفر الأبطال. فالمقصود ليس مطلق الكرم، وإنما هو نوع خاص منه، وكذا الوفاء والشجاعة في المثاليين الأخيرين.

3- إفادة التقرير، وبيان أن ثبوت المسند للمسند إليه أمر مقرر بارز وظاهر

ظهوراً لا يخفى على أحد. كما في قول حسان:

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      بُنُو بَنَاتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

أراد بتعريف العبد تقرير صفة العبودية لوالده، وأنها أمر مشهور وذائع لا يخفى على أحد، ولم يرد قصر العبودية على الوالد لا حقيقةً ولا ادعاءً.

4- الإشارة إلى بلوغ المسند إليه في الاتصاف بالمسند مبلغ الكمال. ومن

ذلك: قول ابن الرومي:

هُوَ الرَّجُلُ الْمَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ      وَلَكِنَّهُ بِالْخَيْرِ وَالْحَمْدِ مَفْرُدٌ

يريد أنه رجل لا يتميز عن طالب معروفه، فهو وهم سواء يأخذون من المال ما يشاءون، وإذا حصلت صورته في مخيلة المخاطب علم أنه ذلك الرجل.

5- إفادة تعظيم المسند إليه، وذلك عند إضافة المسند إلى ما يكسبه التشريف

والتعظيم، ويسمونه، ويرفع شأنه. كما في قول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]؛ فقد اكتسب المسند إليه بإضافة المسند إلى لفظ

الجلالة التعظيم، وعلو منزلته ورفعة شأنه.



6- تعظيم الفائدة وتكثيرها وجعلها أتم وأكمل. ومنه: قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]، قد خصص المسند بالإضافة في قوله: ﴿أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] لتكثير الفائدة، وعمومها. فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس أباً لأحد منهم، ثم عرف المسند بالإضافة في قوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾، و ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؛ لإفادة التعظيم، وشهرة اتصافه - سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتلك الصفة.

ثالثاً: تنكير المسند:

يكون لأغراض:

1- إتباع المسند إليه في التنكير. نحو: طالب من الفضلاء حاضر.

2- التفضيم. نحو: ﴿هُدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].

3- التحقير. نحو: ما زيد شيئاً. ومنه: قول الشاعر:

عَدْرَتَ بِأَمْرٍ أَنْتَ كُنْتَ دَعَوْتَنَا      إِلَيْهِ وَبَسَسَ الشِّيمَةَ الْعَدْرُ بِالْعَهْدِ  
وَقَدْ يَتْرُكُ الْعَدْرَ الْفَتَى وَطَعَامُهُ      إِذَا هُوَ أَمْسَى حَلْبَةً مِنْ دَمِ الْفُصْدِ

فتنكير المسند: حلبة، أفاد التحقير، والمعنى: أن الوفي لا يغدر ولو أخنى عليه الدهر، وأمسى طعامه بهذه الحقارة حلبة من دم الفصد<sup>(1)</sup>.

4- أن لا يكون معهوداً عن المسند إليه. نحو: زيد كاتب. فإذا كان معهوداً

قيل: زيد الكاتب. ففي الأول لم يرد تخصيصه، ولما أريد تخصيصه أضيفت إليه

(1) ينظر: البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 292).

لام العهد فليل: الكاتب.

### رابعاً: تقديم المسند:

إذا كان الأصل في المسند التأخير فإن لتقديمه عدة أغراض، منها:

1- **قصر المسند على المسند إليه.** نحو قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾

[الصفات:47]. **والمعنى:** أن الغول مقصور نفيه على خمر الجنة لا يتجاوزه إلى خمر الدنيا.

2- **التنبيه من أول الأمر على أن المسند خبر لا نعت.** كقول الشاعر:

لَهُ هِمَمٌ لَا مُتْتَهَى لِكِبَارِهَا      وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

"**أصل الكلام:** "هِمَمٌ لَهُ لَا مُتْتَهَى لِكِبَارِهَا" لكن هذه الصيغة توهم أن "لَهُ"

صفة لهمم؛ لأن النكرة تستدعي النعت أكثر مما تستدعي الخبر، وهو يريد أن يُثبت لممدوحه همماً لا منتهى لكبارها، ودفعاً للتوهم الذي كان يمكن أن يحدث قدم المسند وهو "له" على المسند إليه وهو "هِمَمٌ" لا منتهى لكبارها.

وجاء في شعره فيه بعد هذا البيت قوله:

لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا      عَلَى الْبَرِّ كَانَ الْبُرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ"<sup>(1)</sup>

3- **أن يكون في المسند ما يدعو إلى التفاؤل فيقدم لإدخال السرور على**

**المخاطب.** نحو قول الشاعر:

(1) البلاغة العربية (1/ 379).



سَعِدَتْ بَعْرَةَ وَجْهِكَ الْيَوْمَ      وَتَزَيَّنْتَ بِلِقَائِكَ الْأَعْوَامَ

4- إرادة التشويق للمسند إليه. نحو قول الشاعر:

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجَتِهَا      شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ

خامسًا: تأخير المسند:

يؤتى بالمسند مؤخرًا للأغراض المتقدمة في تقديم المسند إليه: من أن تقديمه هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، أو لأن في تقديمه تشويقًا للمسند، أو لتعجيل المسرة أو المساءة، أو غير ذلك.





## الباب الرابع: أحوال متعلقات الفعل

**الأحوال: الصفات، والمتعلقات:** جمع متعلق، وفي لام متعلقات الفعل وجهان: أنها بكسر اللام أي: أحوال الأمور المتعلقة بالفعل، فالفعل يقال فيه: متعلق، والمفعول متعلق أي: متشبت، وهذا هو الأحسن. ووجه أولويته: أن المفاعيل وما ألحق بها معمولة، والفعل عامل فيها، وكون المعمول لضعفه متعلقاً أنسب؛ لأن المتعلق هو المتشبت وهو أضعف من المتشبت به، فالتعلق هو التشبت، والمتشبت بالكسر هو المعمول الضعيف، وبالفتح هو العامل القوي، فهذا كما يقال: الجار والمجرور متعلق بكذا.

**أو أنها بفتح اللام؛ لوجهين: الأول:** أن الحدث الذي يدل عليه الفعل يتعلق بها، فهي اسم مفعول.

**والوجه الثاني:** أن الفتح جائز كالكسر؛ لأن كلاً من الفعل والمفعول متعلق بالآخر.

**يقول عبد القاهر:** "وأما تعلق الاسم بالفعل فبأن يكون فاعلاً له أو مفعولاً مطلقاً أو مفعولاً به أو ظرفاً أو مفعولاً معه أو له، أو بأن يكون منزلاً من الفعل منزلة المفعول، وذلك في خبر كان وأخواتها والحال والتمييز، ومثله الاسم المتصّب على الاستثناء"، وهذا يرجح كسر اللام".



ويقول السكاكي: "اعلم أن للفعل وما يتعلق به اعتبارات.. " وهو أيضاً يرجح

الكسر.

ويُقَصَّدُ **بمتعلقات الفعل**: المفاعيل، وشبهها؛ المفعولُ به، والجارُ والمجرور، والظرف، والمفعولُ المطلق، والمفعولُ معه، والمفعولُ لأجله، والحال، والتمييزُ.

**والمقصود من هذا الباب**: بيان حكم أحوالها: من ذكر وحذف، وتقديم وتأخير، ونحو ذلك.

وحكم أحوال معمولات ما يعمل عمل الفعل - كاسم الفاعل - كحكم معمولات الفعل، وإنما اقتصر في الترجمة على الفعل لأصالته في العمل<sup>(1)</sup>.

#### حال الفعل مع المفعول:

44. **ثُمَّ مَعَ الْمَفْعُولِ حَالُ الْفِعْلِ كَحَالِهِ مَعَ فَاعِلٍ مِنْ أَجْلِ**

45. **تَلْبَسُ لَا كَوْنِ ذَلِكَ قَدْ جَرَى** .....

**(المفعول)** يريد: المفعول به دون غيره من المفاعيل، وحذف "به" لضيق

الوزن به.

**(الفعل)**: يعني: الفعل النحوي لا اللغوي **(كحاله)** أي: حال الفعل.

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 176)، البلاغة العربية (1/ 381)، عروس الأفراح في

شرح تلخيص المفتاح (1/ 371)، حلية اللب المصون (126).

**(تَلْبَسُ):** التلبس: الارتباط والتعلق (**جَرَى**): وقع وثبت.

**والمعنى:** حال الفعل مع المفعول به كحال الفعل مع الفاعل في أن الغرض من ذكرهما إنما هو من أجل تلبس الفعل بكل منهما، أما بالفاعل فمن جهة وقوعه منه، وأما المفعول فمن جهة وقوعه عليه، وليس من أجل كون ذلك الفعل قد وقع دون طلب معرفة من وقع منه أو عليه.

**فالمراد:** كون الفعل وقع من غير نظر فيمن وقع منه أو وقع عليه. والمميز لذلك: الرفع فيمن وقع منه، والنصب فيمن وقع عليه.

وَأِنْ يُرَدُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذُكِرَ .....  
46. النَّفْيُ مُطْلَقًا أَوْ الْإِثْبَاتُ لَهُ .....  
47. مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ .....  
فَذَلِكَ مِثْلُ لَازِمٍ فِي الْمَنْزِلَةِ

**والمعنى:** وإن يرد نفي الفعل مطلقاً من غير اعتبار عموم في الفعل - بأن يراد جميع أفراده-، أو خصوص - بأن يراد بعض أفراده-.

أو أن يراد إثبات الفعل لفاعله مطلقاً (**فذلك**) الفاء: واقعة في جواب الشرط لـ (**وإن يُرَدُّ**) وهي مبتدأ و (**مثل**) خبره، **والمعنى:** أن الفعل المتعدي إن قصد به إثباته لفاعله فقط - من غير النظر إلى مفعول له - فإنه يصير في حكمه مثل الفعل اللازم، نحو: فلان يأمر وينهى، والمعنى: له أمر ونهي.

**وقوله: (من غير تقدير):** يعني: يكون حكم الفعل المتعدي المقصود منه إثباته لفاعله مثل اللازم إذا لم يكن فيه تقدير مفعول به، فإن لم يقصد منه ذلك



الإثبات وحذف المفعول به لزم تقديره فيه، ويصبح حذفه لغرض من الأغراض، وستأتي قريباً.

**(وَالْأَلِزَمًا)** يعني: إذا لم يكن الغرض ما ذكر لزم ذكر المفعول به أو تقديره، وذلك حين يراد قصد تعلق الفعل بمفعوله فيلزم حينئذ ذكره ظاهراً، أو مقدراً لغرض، **فالأول** نحو: زيداً في جواب: من أكرمت؟ **والثاني** نحو: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1].

والفعل إما أن يكون قاصراً-أي: غير متعد- **وإما متعدياً:**

**الأول:** قاصر، وهو: الذي يكتفي بفاعله، نحو: قام زيد.

**الثاني:** متعد، وهو **أنواع:**

أ- أن يقصد به الإخبار بالحدث في المفعول دون الفاعل، فيبنى للمفعول، نحو: ضُرب عمرو.

ب- أن يقصد به الإخبار بالحدث في المفعول مع ذكر الفاعل، وهذا نوعان:

أولهما: التصريح بالمفعول والفاعل، نحو: أكرم زيد عمراً.

ثانيهما: ملاحظة المفعول تقديراً، نحو: زيد كتب.

ج- أن يقصد به إثباته لفاعله أو نفيه عنه من غير اعتبار تعلقه بمفعول، فينزل

منزلة القاصر، ولا يقدر المفعول، وهذا نوعان:

أولهما: أن تدل القرينة على مفعول مخصوص؛ كقول البحري يمدح المعتز

بالله، ويعرض بالمستعين بالله:

شَجُو حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِدَائِهِ      أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ

**والمعنى:** أن يرى مبصر محاسنه، ويسمع واع أخباره، ولكنه تغاضى عن ذلك.

**أي:** أن يكون ذو رؤية وذو سمع. يقول: محاسن الممدوح وآثاره لم تخف على من له بصر؛ لكثرتها واشتهارها، ويكفي في معرفة أنها سبب استحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويعيها سمع؛ لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد، فحساده وأعداؤه يتمنون أن لا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها؛ كي يخفى استحقاقه للإمامة، فيجدوا بذلك سبيلاً إلى منازعته إياها. فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره.

ثانيهما: أن لا تكون هناك قرينة على حذف المفعول، فينزل الفعل المتعدي منزلة اللازم إثباتاً ونفيًا؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9]. **أي:** من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث<sup>(1)</sup>.

### أغراض حذف المفعول به :

والحذف للبيان فيما أبهما .....  
48. أَوْ لِمَجِيءِ الذِّكْرِ أَوْ لِرَدِّ      تَوْهَمِ السَّمْعِ غَيْرِ الْقَصْدِ

(1) ينظر: حلية اللب المصون (127)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 94)، الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 147) (2/ 150)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 94)، أساليب بلاغية (ص: 216).



49. أَوْ هُوَ لِلتَّعْمِيمِ أَوْ لِلفَّاصِلَةِ      أَوْ هُوَ لِاسْتَهْجَانِكِ الْمُقَابَلَةِ

ذكر هنا أغراض حذف المفعول به.

**فيكون حذفه - إذا قامت القرينة على حذفه - لأغراض:**

1- **البيان بعد الإبهام؛** كما في فعلي المشيئة<sup>(1)</sup> والإرادة إذا وقعا شرطاً،

فجواباهما يدلان على فعليهما.

**كقوله تعالى:** ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149]، "أي: فلو شاء هدايتكم لهداكم؛ فإنه إذا سمع السامع ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ تعلق نفسه بشيء أبهم عليه، لا يدري ما هو؟ فلما ذكر الجواب استبان بعد إبهامه. وأكثر ما يقع ذلك بعد (لو)؛

(1) **فائدة: قال ابن السبكي:** "قد يقال: ما الحكمة في اطراد أو كثرة حذف مفعول المشيئة دون

غيره من الأفعال؟ فالجواب: أن المشيئة يلزم من وجودها وجود المشيء، وإذا كان كذلك فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب؛ ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في وجوب اطراد حذف مفعولها، صرح به ابن خطيب زملكان في البرهان، وصاحب الأقصى القريب، وهو واضح، وبعد أن خطر لي هذا الجواب بسنين كثيرة رأيت التنوخي قد وقع عليه فقال في الأقصى: علة ذلك أن مادة المشيئة والشيء واحد، فالمشيئة جعل ما ليس بشيء شيئاً، فمعمولها لا يتأخر عنها، وهو بعد لو منفى لانتفائه في الجواب، فانتفاء المشيئة لازم لانتفائه، فانتفاؤه بالوضع، وانتفاء المشيئة باللزوم، فحذف مفعول المشيئة، لينصرف الانتفاء إلى المشيئة، فيكون انتفاء مفعولها تابعاً لها. اهـ.

(تنبيه): وإذا حذفته بعد لو فهو المذكور في جوابها أبداً، كذا قالوه، وقد يرد عليهم قوله تعالى:

﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾؛ **فإن المعنى:** لو شاء ربنا إرسال الرسل لأنزل ملائكة؛ لأن

المعنى يعين ذلك، وبذلك فسره الوالد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في تفسيره، "عروس الأفراح في شرح

تلخيص المفتاح (1/ 375).

لأن مفعول المشيئة المذكور في جوابها، وكذلك غيرها من أدوات الشروط "(1).  
ومنه قول البحرني يمدح يوسف بن سعيد:

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ      كَرَمًا وَلَمْ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ

**أي:** لو شئت أن لا تُفسدَ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ بجودك لأمسكت عن العطاء فلم تُفسدَ سَمَاحَةَ حاتم كرمًا، ولو شئت أن لا تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ بشجاعتك وإقدامك وحُسنِ تدبيرك في الحرب لتهاونتَ فلمَ تَهْدِمِ مَآثِرَ خَالِدٍ.

**فالأصل في ذلك:** لو شئت ألا تفسد سَمَاحَةَ حاتم لم تفسدها، فحذف ذلك من الأول استغناء بدلالته عليه في الثاني (2).

فإن كان تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبًا لم يحسن حذف المفعول؛ إذ لا يدل عليه الجواب حينئذ؛ كقول الشاعر يرثي ابنه:

وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ      عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةَ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

لم يحذف مفعول فعل المشيئة وهو قوله: "أبكي دمًا" لغرابة تعلق الفعل المذكور ببكاء الدم؛ لهذا ذُكر؛ ليتقرر في ذهن السامع.

**ومنه قولك:** لو شئت أن أرد على الأمير رددت، وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته (3).

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 374).

(2) البلاغة العربية (1/ 346)، أساليب بلاغية (ص: 217).

(3) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 64).



2- مجيء ذكر المفعول ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه، لا على الضمير العائد إليه؛ إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه.

### كقول البحرّي:

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّؤْدُ دِدَ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلًا

**أي:** قد طلبنا مثلك في السؤدد والمجد فلم نجد لك، فحذف المثل؛ إذ كان غرضه أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل<sup>(1)</sup>.

فحذف "مثلاً" ولو ذكره لكان المناسب أن يقول في الفعل: "نجد": "نجده، فيعيد الضمير فيه على المثل، وهذا غير مقصود للبحرّي.

**وهنا تجد** "الشاعر قد حذف مفعول طلب؛ ليتسنى له أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل؛ لأن نفي الوجود هو الأصل في المدح والغرض منه، أما الطلب فكالشيء يذكر ليني عليه الغرض، ويؤكد به أمره. ولو قيل: قد طلبنا لك مثلاً في السؤدد والمجد والمكارم فلم نجده، لوقع الفعل طلب على صريح لفظ المفعول، والفعل المنفي الذي هو الغرض الأصلي للمديح فلم نجد على ضميره. وفرق بين أن يقع الفعل على صريح اللفظ، وأن يقع على ضميره؛ من أجل هذا حذف الشاعر مفعول طلب؛ لأن حذفه يمكنه من أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المفعول"<sup>(2)</sup>.

(1) البلاغة العربية (1/ 347)، الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 157).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 330).

على أن هناك غرضاً آخر لهذا الحذف في هذا البيت ذكره الخطيب بقوله -بعد أن ذكر الغرض الأول- فقال: "ويجوز أن يكون سبب الحذف في بيت البحري قصد المبالغة في التأدب مع الممدوح، بترك مواجهته بالتصريح"<sup>(1)</sup>. واستحسنه ابن السبكي<sup>(2)</sup>.

3- **رد توهم السامع غير القصد.** ومنه: قول البحريّ يمدح أبا الصقر:

وَكَمْ دُذَّتْ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ      وَسَوْرَةَ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظْمِ

**حَزَزْنَ:** قطعن، فقد حذف المفعول الذي هو اللحم؛ "إذ لو قال: حزنن اللحم، لجاز أن يتوهم السامع -قبل ذكر ما بعده- أن الحز كان في بعض اللحم، ولم ينته إلى العظم، فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع من هذا الوهم، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحز مضى في اللحم حتى لم يردّه إلا العظم"<sup>(3)</sup>.

4- **"قصد إفادة التعميم في المفعول المحذوف مع الاختصار.** كقولهم: "قد

كان منك ما يؤلم" أي: كلّ أحد، فحذف المفعول لغرض إفادة العموم بقرينة المقام؛ إذ الغرض: المبالغة في الوصف بالإيلام، وهذا يقتضي إرادة العموم فيمن وقع عليه الألم، وأنه لا يختص به واحد دون الآخر، بل الكل في معاناة الألم سواء؛ قضاء لحق المبالغة، وكقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: يدعو جميع عباده المكلفين.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 157).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 377).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 156).



غير أن إفادة العموم في الآية على وجه الحقيقة؛ لأن الدعوة إلى الجنة تعم الناس جميعاً، أما المثال الأول إفادته العموم فيه على وجه المبالغة؛ لأن إيلام كل أحد من شخص واحد محال عادة، وإنما قلنا: "مع الاختصار"؛ لأن التعميم يمكن أن يستفاد من ذكر المفعول بصيغة العموم، بأن يقال مقالاً: "قد كان منك ما يؤلم كل أحد"، أو يقال في غير القرآن: "والله يدعو الناس كافة إلى دار السلام" لكن يفوتنا الاختصار، وهو مطلوب أيضاً<sup>(1)</sup>.

**5- رعاية الفاصلة.** نحو قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: 3].

أي: وما قلاك.

والحذف لهذا الغرض يكون "عندما يقتضيه المقام ويتطلبه المعنى، وهذا هو شأن الفواصل في النظم الكريم، فهي تأتي تابعة للمعنى ومحقة لما يقتضيه المقام"<sup>(2)</sup>.

وهناك غرض آخر للحذف في هذه الآية في حق رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهو: صون "نسبة القلي إليه؛ متحاشياً لوقوع الفعل: ﴿قَلَى﴾ على ضمير المخاطب، ولو كان هذا الفعل منفيًا؛ لأن في ذلك ما يوحش بخلاف: ﴿وَدَّعَكَ﴾ فليس التوديع كالقلى"<sup>(3)</sup>.

**وقال الشيخ: محمد فال:** وإنما حذف المفعول في ﴿وما قلى﴾ وذكره في

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 64).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 334).

(3) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 334).

﴿وَدَعَكَ﴾: تكريماً لرسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**؛ لئلا ينصبَّ الفعل عليه نفيًا أو إثباتًا؛ إذ لما كان التوديع لا غضاضة فيه؛ لكونه يقع بين الأجابة فإنه ذكر مفعوله، وأما القلي فلا يقع بين الأجابة؛ فلهذا حذف المفعول.

6- استهجان ذكره في مقابلة المخاطب. ومثل له بعض البلاغيين بقول عائشة

**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: "ما رأيت منه ولا رأى مني (1).

**أقول**: لم أجد هذا الأثر عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** في كتب السنة بهذا اللفظ، والله أعلم (2).

(1) **قال الشيخ محمد فال**: لا ينبغي أن يستشهد به؛ لأن ما كان تشريعاً لا يصح أن يكون مستهجنًا. وقال: وقد يقال: إن العورة لما كان يطلب سترها ستر اسمها. وظهر للشيخ أن المثال الصحيح لهذا الغرض من السنة هو: ما جاء في قصة هلال بن أمية مع امرأته وفيه قوله: "فَرَأَيْتُ بِعَيْنِي، وَسَمِعْتُ بِأُذُنِي" رواه أحمد (2131)، وأبو داود (2256)، وأبو يعلى (2740). قلت: وهو استشهاد في محله. هذا مع ما في قول عائشة من الكلام الذي ذكرناه.

(2) ولكن جاء بمعناه حديثها الذي قالت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: "مَا نَظَرْتُ، أَوْ مَا رَأَيْتُ فَرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" رواه أحمد (24344)، وابن ماجه (662)، وابن أبي شيبة (1130)، **قال البوصيري**: "هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ مَوْلَى عَائِشَةَ لَمْ يَسْمِ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي السَّمَائِلِ عَنِ مَحْمُودِ بْنِ غِيْلَانَ عَن وَكَيْعِ بِهِ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ زَكَرِيَّا شَاذَانَ عَنِ بَرَكَةَ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ عَنِ يُونُسَ بْنِ أَسْبَاطَ عَنِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جِحَادَةَ عَنِ قَتَادَةَ عَنِ أَنَسِ عَنِ عَائِشَةَ بِه قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ بَرَكَةَ بْنِ مُحَمَّدَ كَذَّابٍ يَضَعُ الْحَدِيثَ"، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (85/1). وضعفه الألباني والأرنؤوط.

**قال الألباني** -عقب هذا الحديث بعد أن بين ضعفه-: "ويعارض هذا الحديث ما صح عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد". أخرجه الشيخان وغيرهما؛ ولذلك قال الحافظ في "الفتح" (1/313 - 314): "واستدل به الداوودي على =

وهناك أغراض أخرى لحذف المفعول به، منها: "أن يكون غرض المتكلم بيان حال الفعل والفاعل فقط؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ \* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 23-24]، وقد حذف المفعول به من أربعة مواضع؛ لأن الغرض: الحديث عن موسى، لا عن كون المسقى غنماً، أو إبلاً، أو غير ذلك" (1).

جواز نظر الرجل إلى عورة امرأته وعكسه، ويؤيده ما رواه ابن حبان من طريق سليمان بن موسى أنه سئل عن الرجل ينظر إلى فرج امرأته؟ فقال: سألت عطاء؟ فقال: سألت عائشة؟ فذكرت هذا الحديث بمعناه، وهو نص في المسألة"، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (6/ 214).

**وقال ابن حزم:** "وفي خبرٍ ميمونةً بيان أنه عليه الصلاة والسلام كان بغيرٍ مئزرٍ؛ لأن في خبرها: "أنه عليه الصلاة والسلام - أدخل يده في الإناء ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله" فبطل بعد هذا أن يلتفت إلى رأي أحد. ومن العجب أن يبيح بعض المتكلمين من أهل الجهل وطء الفرج ويمنع من النظر إليه، ويكفي من هذا قول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المؤمنون: 5-6]. فأمر عز وجل بحفظ الفرج إلا على الزوجة، وملك اليمين، فلا ملامة في ذلك، وهذا عموم في رؤيته ولمسه ومخالطته. وما تعلم للمخالف تعلقاً إلا بأثرٍ سخيّف عن امرأةٍ مجهولةٍ "عن أم المؤمنين: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط". وأخر في عاية السقوط عن أبي بكر بن عياش، وزهير بن محمد، كلاهما عن عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي وهؤلاء: ثلاث الأثافي والديار البلاقع، أحدهم كان يكفي في سقوط الحديث"، المحلى بالآثار (9/ 165).

(1) أساليب بلاغية (ص: 216).

**تقديم المفعول أو شبهه على الفعل:**

50. وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ أَوْ شَبِيهَهُ رَدًّا عَلَى مَنْ لَمْ يُصِبْ تَعْيِنَهُ

**يعني:** قدم مفعول الفعل وشبهه من الجار والمجرور والظرف والحال عليه، من أجل الرد على من لم يصب تعيين المفعول أو شبهه، مثل: زيدا عرفت، فقدم هنا للرد على من اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد.

وهذا الغرض للتقديم هو لإفادة الاختصاص، ومنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]. "أي: لا غيرك، ولذا [يعني: لكون التقديم يفيد الاختصاص] لا يقال: زيدا عرفت وغيره، ولا: ما زيدا عرفت ولا غيره؛ لاقتضائه [أي: التقديم] في الأول قصر المعرفة على زيد، وسلبها عن غيره، والعطف ينافي ذلك [لأنه صريح في ثبوت معرفتك للغير، فصريح العطف يخالف مقتضى ما قبله] وفي الثاني: سلبها عن زيد وثبوتها للغير، والعطف ينافي ذلك [لأن صريحه ثبوت نفي المعرفة]"<sup>(1)</sup>.

وهناك أغراض أخرى لتقديم المفعول به منها: الاهتمام؛ كقولك: القرآن حفظت.

**تقديم بعض المفاعيل على بعض:**

51. وَبَعْضَ مَعْمُولٍ عَلَى بَعْضٍ كَمَا إِذَا اهْتِمَامٌ أَوْ لِأَصْلِ عُلْمًا

**أي:** وقدم بعض معمول على بعض إما للاهتمام بالمقدم على المؤخر، ومن

(1) حلية اللب المصون (129).



ذلك: تقديم المفعول على الفاعل " فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه ممن وقع منه، كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث في البلاد وكثر منه الأذى فقتل وأردت أن تخبر بقتله فتقول: "قَتَلَ الْخَارِجِيَّ فُلَانٌ"؛ إذ ليس للناس فائدة في أن يعرفوا قاتله، وإنما الذي يريدون علمه هو وقوع القتل به؛ ليخلصوا من شره"<sup>(1)</sup>.

**ومن الأغراض للتقديم أيضًا:** كون المقدم هو الأصل في التقديم ولا مقتضى للعدول عنه؛ كتقديم الفاعل على المفعول، وتقديم أول مفعولي ظن وأعطى.

"فإذا اجتمعت المعمولات للفعل قدم الفاعل، ثم المفعول الأول من باب أعطى؛ لأنه فاعل في المعنى، ثم الثاني. فإذا اجتمعت المفاعيل قدم المفعول به، ثم المصدر، ثم المفعول له، ثم ظرف الزمان، ثم ظرف المكان، ثم المفعول معه"<sup>(2)</sup>.

وهناك أغراض أخرى.



(1) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 166).

(2) حلية اللب المصون (130).



### الباب الخامس: القصر

لما كان القصر مرتبطاً بالمسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل جاء تالياً لها.

**والقصر لغة:** الحبس، **يقال:** امرأة قَصُورَةٌ وقَصِيرَةٌ: مَصُونَةٌ مَحْبُوسَةٌ مَقْصُورَةٌ

فِي الْبَيْتِ لَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ؛ **قَالَ كَثِيرٌ:**

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَيْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ      إِلَيَّ، وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ، وَلَمْ أُرِدْ      قِصَارَ الْخُطَى، شَرُّ النِّسَاءِ الْبَحَائِرِ

وَيُقَالُ لِلْجَارِيَةِ الْمَصُونَةِ الَّتِي لَا بُرُوزَ لَهَا: قَصِيرَةٌ وَقَصُورَةٌ؛ **وَأَنشَدَ الْفَرَّاءُ:**

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَيْتِ كُلَّ قَصُورَةٍ

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَيْتِ كُلَّ قَصُورَةٍ

**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: 72] أَي: مَحْبُوسَاتٌ

فِي خِيَامٍ مِنَ الدَّرِّ مُخَدَّرَاتٍ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ فِي الْجَنَّاتِ، وَامْرَأَةٌ مَقْصُورَةٌ أَي:

مُخَدَّرَةٌ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ فِي تَفْسِيرِ ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾: قَالَ: قُصِرْنَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ أَي:

حُسِنَ فَلَا يُرَدْنَ غَيْرَهُمْ وَلَا يَطْمَحْنَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ<sup>(1)</sup>.

**اصطلاحاً: القصر:** تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص.

(1) لسان العرب (5/ 99).



**والمختص:** المعهود المعين من الطرق الأربعة المصطلح عليها عندهم<sup>(1)</sup>.

وذلك كتخصيص محمد بالشعر في قولك: ما محمد إلا شاعر، وتخصيص الشعر بمحمد في قولك: ما شاعر إلا محمد، أو قل: قصر محمد على الشعر في الأول، وقصر الشعر على محمد في المثال الثاني. **ومعنى التخصيص:** ثبوت الشيء الثاني دون غيره للشيء الأول<sup>(2)</sup>.

### قال في الجوهر<sup>(3)</sup>:

تخصيصُ أمرٍ مُطلقاً بأمرٍ هو الذي يُدعونه بالقَصْرِ

و"أسلوب القصر من الأساليب الغنية بالاعتبارات الدقيقة والملاحظات العديدة، فهو فنٌ دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار"<sup>(4)</sup>.

### ويقع القصر بين:

أ- المبتدأ والخبر؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144].

(1) حلية اللب المصون (131).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 5) حاشية المحقق.

(3) (130) مع الحلية.

(4) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 401).

ب- بين الفعل والفاعل؛ مثل: لا ينجح إلا محمد، وما قام إلا أنا.

ج- بين الفاعل والمفعول؛ مثل: ما شاهد خالد إلا الحديقة، في قصر الفاعل على المفعول، أما قصر المفعول على الفاعل فمثل: ما شاهد الحديقة إلا خالد.

د- بين المفعولين؛ مثل: ما أعطيت محمداً إلا كتاباً في قصر المفعول الأول على الثاني، أما قصر المفعول الثاني على الأول فمثل: ما أعطيت كتاباً إلا محمداً.

هـ- بين الحال وصاحبها؛ مثل: ما جاء راکضاً إلا محمد في قصر الحال على صاحبها، أما قصر صاحب الحال عليها فمثل: ما جاء محمد إلا راکضاً.

**ومثل ذلك كل متعلقات الفعل؛ فإن القصر يجري فيها ما عدا اثنين:**

**الأول:** المصدر المؤكد، فلا يقع القصر بينه وبين الفعل؛ ولذلك لا يجوز أن نقول: ما ضربت إلا ضرباً، وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الجمانية: 32]، فتقديره: ظناً ضعيفاً.

**الثاني:** المفعول معه؛ فإنه لا يجيء بعد إلا؛ ولذلك لا يقال: ما سرت إلا والحائط<sup>(1)</sup>.

**وفي باب القصر أربعة مباحث:**

1- مبحث تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم.

ويقسم إلى قسمين: حقيقي، وإضافي.

(1) أساليب بلاغية (ص: 176).



## 2- مبحث تقسيمه باعتبار حال المقصور.

ويقسم إلى قسمين: قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة. **والفرق بينهما:** أن الأول يكون بتقديمه الصفة على الموصوف كما تقول: "ما شاعر إلا علي"، والثاني يكون بتقديم الموصوف على الصفة كما تقول "ما علي إلا شاعر".

## 3 - مبحث تقسيمه باعتبار حال المخاطب.

وينقسم القصر بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: قصر قلب، قصر أفراد، قصر تعيين.

## 4 - مبحث الطرق الخاصة بالقصر.

للقصر طرق يتأدى بها، وهي كثيرة، ولكن المصطلح عليه منها ستة؛ غير أن المبحوث منها في هذا الباب أربعة.

**والاثنتان الباقيان أحدهما:** ضمير الفصل نحو: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة: 104]، والمقصور عليه فيه ما بعد الضمير.

**وثانيهما:** تعريف ركني الإسناد؛ سواء اختلف طريقا التعريف؛ كما في قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: 58]، أو اتحدا نحو: الأمير القادم علينا<sup>(1)</sup>.

وقد قيد البلاغيون القصر بهذه الطرق الاصطلاحية، فتخرج حيثئذ الطرق

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 69) وما بعدها.

التي تفيد القصر ولكن بطريق لغوي؛ كالألفاظ التي تفيد ذلك باعتبار معناها، مثل الأفعال: قصر واختص، وانفرد، وما اشتق من هذه الألفاظ، ومثل الحال: وحده.

### و"للقصر أربعة أركان:

**الركن الأول:** المقصور، صفةً كان أو موصوفاً.

**الركن الثاني:** المقصورُ عليه، صفةً كان أو موصوفاً.

**الركن الثالث:** المقصورُ عنه، وهو المنفيُّ المستبعدُ بالقصر.

**الركن الرابع:** القولُ المَقْصُورُ به.

**ففي كلمة التوحيد:** "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" وهي من القصر الحقيقي بقصر صفةٍ على

موصوف:

\* **المقصور:** صفة الإلهية للمعبود بحق.

\* **المقصور عليه قصرًا حقيقيًا:** الله عزَّ وجلَّ الموصوف بأنه الإله بحق.

\* **المقصورُ عنه:** كلُّ ما سوى الله عزَّ وجلَّ.

\* **القول المقصور به:** النفي والاستثناء في العبارة: "لا.. إلّا..".

وفي عبارة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: 144] وهي من القصر الإضافي

بقصر موصوف على صفة:

\* **المقصور:** "محمد" الموصوف بأنه رسول.

\* **المقصور عليه قصرًا إضافيًا:** صفة رسالته، المفهومة من "رسول".



\* **المقصور عنه قصرًا إضافيًا:** صفة تبرُّه من أن يكون عرضةً للموت، لتصحيح تصوُّر متوهمي ذلك فيه، ظانين ظنًّا توهميًا أنه لا يموت.

\* **القول المقصور به:** النفي والاستثناء في العبارة: "ما ... إلا ..."<sup>(1)</sup>.

**وجوه بلاغة القصر هي:**

- 1- الإيجاز.
- 2- تقرير الكلام وتمكينه في الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك.
- 3- الرد على المخاطب في قصري الأفراد والقلب.
- 4- تعيين المبهم في قصر التعيين. 5- مجازاة الخصم.
- 6- التعريض.
- 7- ذكر الواقع في القصر الحقيقي.
- 8- المبالغة في القصر الادعائي<sup>(2)</sup>.



(1) البلاغة العربية (1/ 526).

(2) حلية اللب المصون (131). **القصر الادعائي:** ما كان القصر الحقيقي فيه مبنياً على الادعاء والمبالغة بتنزيل غير المذكور منزلة العدم، وقصر الشيء على المذكور وحده؛ نحو: ما في الدار إلا زيد. فجميع من في الدار ممن عدا زيداً في حكم العدم فيكون قصرًا حقيقياً ادعائياً. والفرق بين الادعائي والقصر غير الحقيقي "الإضافي" هو: أن القصر الإضافي لا يجعل فيه غير المذكور بمنزلة المعدوم، بل يكون المراد أن الحصول في الدار مقصور على زيد، بمعنى أنه ليس حاصلًا لعمرو وإن كان حاصلًا لبكر وخالد. الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 6) الحاشية.



## شرح الأبيات

انقسام القصر إلى حقيقي وإضافي وأقسام كل:

52. الْقَصْرُ نَوْعَانِ حَقِيقِيٌّ وَذَا نَوْعَانِ وَالثَّانِي الْإِضَافِيُّ كَذَا

ذكر في هذا البيت أن القصر نوعان: حقيقي، وإضافي، وكل من هذين النوعين ينقسم إلى قسمين: قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة.

وقوله: (وَذَا \*\*\*نوعان) أي: أن القصر الحقيقي نوعان.

(كَذَا) أي: مثل هذا وهو الحقيقي، يعني: أن القصر الإضافي نوعان كذلك كالحقيقي.

53. فَالْقَصْرُ صِفَةٌ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَعَكْسُهُ مِنْ نَوْعِهِ الْمَعْرُوفِ

يعني: إذا كان الأمر كذلك من أن القصر ينقسم إلى قسمين: حقيقي وإضافي. فالفاء فيه تكون فاء الفصيحة.

وقوله: (وعكسه) أي: قصر موصوف على صفة، وهذا نوع (من نوعه) يعني: من نوعه الآخر، وهذا النوع الآخر (المعروف) لدى أهل البلاغة.

**أولاً: القصر الحقيقي:**

وهو: ما كان التخصيص فيه بحسب الحقيقة، بحيث لا يتعداه إلى غيره<sup>(1)</sup>.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (5/3)، حاشية المحقق.



وهو نوعان:

أ- **قصر صفة على موصوف:** وهو: أن لا تتجاوز تلك الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر، لكن يجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى.

**مثل:** ما في الدار إلا زيد. على معنى: أن الكون مقصور في الدار على زيد.

**والمراد بالصفة هنا:** الصفة المعنوية وهي المعنى القائم بالغير المقابل للذات، وليس المقصود بالوصف في باب القصر النعت النحوي الذي يَتَّبَعُ منعوته، بل هو كلُّ معنىٍّ من المعاني يَتَّصِفُ به موصوف ما؛ كالفعل يتصف به الفاعل باعتبار كونه فاعلاً، ويتصف به المفعول به باعتبار كونه مفعولاً به، وكالخبير يَتَّصِفُ به المبتدأ، وكالحال يَتَّصِفُ به صاحبُ الحال، وكفِعْلٍ مَا يَتَّصِفُ بكونه قد وقع في مكانٍ ما أو زمانٍ ما، وهكذا.

فقد يريد المتكلم أن يَقْصُرَ مثلاً الفِعْلَ على الفاعل، أو على المفعول به، أو يقصر الخبر مثلاً على المبتدأ، أو الحال مثلاً على صاحب الحال، وهكذا.

لهذا فالصفة هنا سواء دل عليها بلفظ النعت النحوي كقائم، أو غيره كالفعل ونحوه من: ظرف أو جار ومجرور، مثل: ما يقوم إلا محمد، وما عندي إلا علي، وما في الدار إلا خالد<sup>(1)</sup>.

(1) البلاغة العربية (1/ 525)، المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 71).

ب- قصر موصوف على صفة<sup>(1)</sup>: " بأن لا يتجاوزها إلى صفة أخرى، ويجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر"<sup>(2)</sup>.

مثل: ما زيد إلا كاتب.

### ثانياً: القصر الإضافي:

وهو: " ما كان التخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر".

أي: بأن لا يتجاوز المقصور المقصور عليه إلى ذلك الشيء الآخر، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر<sup>(3)</sup>.

وهو نوعان:

أ- قصر صفة على موصوف: نحو: ما كاتب إلا زيد. وهذا باعتبار نسبه إلى شخص أو أشخاص آخرين؛ كأن يقال: عمرو وزيد كاتبان، فتقول أنت: ما كاتب إلا زيد.

ب- قصر موصوف على صفة: نحو: ما زيد إلا كاتب. بمعنى أنه لا يتجاوز الكتابة إلى الشعر مثلاً، لا بمعنى خلوه من صفات أخرى؛ ككونه جميلاً أو قبيحاً، قصيراً أو طويلاً، أصولياً، أو فقيهاً.

(1) قصر الموصوف على الصفة الحقيقي لا يكون إلا بحسب الواقع، يعني: ليس له إلا ذاك؛ ولذلك يقال: لا يوجد قصر موصوف على الصفة حقيقي؛ لأن هناك أشياء لا تعلم عن الموصوف، فإذا نفيت عنه صفة اتصف بأخرى ضدها.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (5/3)، حاشية المحقق.

(3) حلية اللب المصون (131) مع حاشيته.



وينقسم القصر الإضافي فقط بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

1- **قصر أفراد:** وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

2- **قصر قلب:** وذلك إذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبت بالقصر.

3- **قصر تعيين:** وذلك إذا كان المخاطب مترددًا في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

**فاذا قيل** في قصر الصفة على الموصوف: الأديب محمد لا خالد" وكان المخاطب يعتقد اشتراك محمد وخالد في صفة الأدب؛ كان القصر قصر أفراد. **وإذا كان** المخاطب يعتقد غير ذلك كان القصر قصر قلب.

**وإذا كان** المخاطب مترددًا لا يدرى أيهما الأديب كان القصر قصر تعيين.

وإذا قيل في قصر الموصوف على الصفة: "ما محمد إلا مدرس" وكان المخاطب يعتقد اتصاف محمد بمهنة التدريس والإدارة؛ كان القصر قصر أفراد. **وإذا كان** المخاطب يعتقد اتصاف محمد بالتدريس لا بالإدارة كان القصر قصر قلب.

**وإذا كان** المخاطب مترددًا لا يدرى أي الصفتين هي صفة محمد كان القصر قصر تعيين.

ولا يجرى هذا التقسيم في القصر الحقيقي؛ لأن القصر في ذلك النوع قصر

بالنسبة إلى ما عدا المقصور عليه على الإطلاق؛ فلا يمكن أن يتصور في الشركة أو العكس أو التردد على ما نراه في القصر الإضافي الذي يجرى فيه القصر بالنسبة إلى شيء محدود.

**وشروط قصر الموصوف على الصفة إفراداً:** عدم تنافي الصفتين حتى تكون المنفية في قولنا: "ما زيد إلا شاعر" كونه كاتباً، لا كونه مفحماً لا يقول الشعر؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما.

**وشروط قصره قلباً:** تحقق تنافيهما حتى تكون المنفية في قولنا: ما زيد إلا قائم كونه قاعداً أو جالساً، لا كونه أسود أو أبيض؛ ليكون إثباتها مشعراً بانتفاء غيرها. وقصر التعيين أعم؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضى جواز اتصافه بهما معاً ولا امتناعه.

وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر الأفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين من غير عكس (1).

### طرق القصر:

54. طَرُقُهُ النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ هُمَا وَالْعَطْفُ وَالتَّقْدِيمُ ثُمَّ إِنَّمَا

في هذا البيت ذكر الناظم رَحْمَهُ اللَّهُ طرق القصر الأربعة المشهورة، وهي:

1- النفي والاستثناء بـإلا: ويكون المقصور بالنفي والاستثناء هو ما قبل

(1) أساليب بلاغية (ص: 179).



الاستثناء صفةً كان أو موصوفاً، أمّا المقصور عليه فهو ما بعد أداة الاستثناء.

**مثاله في قصر الصفة قصراً حقيقياً:** قولك: "ما شاعر إلا أحمد" أي: لا غير أحمد.

**وفي قصر الموصوف:** قولك: "ما أحمد إلا شاعر" أي: لا غير شاعر.

**ومثاله في قصر الصفة قصراً إضافياً:** قولك: "ما شاعر إلا أحمد" أي: لا سعيد.

**فإن كان الخطاب مع من اعتقد أن الشاعر سعيد لا أحمد كان قصر "قلب".**

**وإن كان مع من اعتقد أن الشاعر سعيد وأحمد كان قصر "إفراد".**

**وإن كان مع من تردد بينهما كان قصر "تعيين"،** وهكذا يقال في قصر الموصوف.

**ومثل إلا في الاستثناء كلمة "غير" نحو:** ما زيد غير شاعر، لا شاعر غير زيد.

**ومثل النفي بـ لا وإن،** قال تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15].

**ومثل النفي:** ما يدلُّ على معناه، كالاستفهام، قال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرِزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 3].

**وقول الناظم: (هُمَا) قيد لازم؛** لدفع توهم متوهم أن النفي طريق والاستثناء طريق أخرى.

2- العطف بـ لا و بل و لكن: إن كان العطف بـ لا كان المقصور عليه مقابلاً

لما بعدها، وإن كان العطف بـ لكن وبل كان المقصور عليه ما بعدهما.

مثال قصر الموصوف على الصفة إفراداً: محمد شاعر لا كاتب، أو ما محمد

كاتباً بل شاعر.

ومثال قصر الموصوف على الصفة قلباً: محمد قائم لا قاعد، أو ما محمد

قاعداً بل قائم.

ومثال قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام: محمد قائم

لا خالد، أو ما خالد قائماً بل زيد.

ومثال العطف بـ لكن في قصر الصفة: قولك: "ما زيد شاعراً لكن عمرو"،

ومثاله في قصر الموصوف: قولك: "ما زيد شاعراً لكن كاتب.

و"إذا كثر النفي في العطف "بلا" قيل: "لا غير"، و"ليس إلا"، من باب

الاختصار.

فتقول في قصر الصفة: "محمد تاجر لا غير" أي: لا غير محمد، فهو قائم

مقام قولك: لا علي ولا أحمد ولا محمود، ولا غيرهم، وتقول في قصر

الموصوف: "محمد شاعر لا غير" أي: لا غير شاعر، فهو قائم مقام قولك: لا

فقيه، ولا تاجر، ولا كاتب، ولا غير ذلك" (1).

و"الأصل في القصر بالعطف أن ينص على المثبت والمنفي معاً، فإذا قلت في

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 78).



قصر الصفة: الحجاج خطيب لا الوليد، فقد نصصت على من تثبت له الخطابة وهو الحجاج، وعلى من نفيت عنه وهو الوليد، وإذا قلت في قصر الموصوف: الحجاج خطيب لا شاعر، فقد نصصت على المثبت للحجاج وهو الخطابة، وعلى المنفي عنه وهو الشعر، وكذلك الشأن في العطف بـ بل ولكن، ولا يترك النص عليهما إلا كراهة الإطناب لغرض ما، كما يقال في قصر الموصوف: محمد يعرف الكيمياء لا غير، أي: لا الطب ولا الهندسة؛ ردًا على من يقول: محمد يعرف الكيمياء والطب والهندسة، وكما يقال في قصر الصفة: محمد يعرف الطب لا غير، أي: لا إبراهيم، ولا خالد، ردًا على من يقول: محمد يعرف الطب، وإبراهيم، وخالد.

**أما الطرق الثلاثة الباقية** فالأصل فيها النص على المثبت فقط، فتقول في النفي والاستثناء في قصر الصفة: ما أديب إلا محمد، فقد نص على الذي أثبت له الأدب، وهو محمد ولم ينص على الذي نفى عنه، وهو أحمد مثلاً. وتقول في قصر الموصوف: ما محمد إلا أديب، فقد نص على الذي أثبت وهو الأدب، ولم ينص على الذي انتفى وهو التجارة مثلاً، وهكذا يقال في إنما والتقديم، فظهر أن الطرق الثلاثة لا ينص فيها إلا على المثبت" (1)(2).

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/80).

(2) المدار في كون هذا النوع "من القصر" حقيقياً أو إضافياً على المعطوف: أنه إن كان عامًّا فالقصر حقيقي، فمثال قصر الصفة قصرًا حقيقياً قولك: زهير شاعر لا غير زهير، ومثاله في قصر الموصوف: زهير شاعر لا غير شاعر والمقصود عليه في الأول، "زهير" وفي الثاني "شاعر". وإن كان خاصًّا فهو إضافي، فمثاله في قصر الصفة قصرًا إضافياً: قولك: زهير شاعر لا سحبان. ومثاله في قصر الموصوف: قولك زهير شاعر لا خطيب، والمقصود عليه في الأول "زهير" وفي الثاني "شاعر"، المنهاج الواضح للبلاغة (2/78).

3- تقديم ما حقه التأخير: فمن قصر الموصوف على الصفة إفراداً: قولك عن شخص: شاعر هو، لمن يعتقده شاعراً أو كاتباً.

ومن قصر الموصوف على الصفة قلباً: قائم هو، لمن يعتقده قاعداً.

ومثال قصر الصفة على الموصوف إفراداً: أنا كفيت مهممك، بمعنى وحدي، لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمم.

ومثال قصر الصفة على الموصوف قلباً: أنا كفيت مهممك، بمعنى لا غيري، لمن يعتقد أن غيرك كفي مهمم دونك<sup>(1)</sup>.

وتقديم ما حقه التأخير: كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المعمول على العامل، والمقصود عليه في هذا النوع من القصر هو المقدم؛ فمثال الأول من قصر الموصوف: قولك: "يماني أنا" أي: لا غير يماني إن كان القصر حقيقياً، أو لا عراقي، إن كان القصر إضافياً، فتقديم الخبر على المبتدأ أفاد قصر الموصوف، وهو ضمير المتكلم على الصفة، وهي "اليمانية" بحيث لا يتعداها إلى غيرها أصلاً في القصر الحقيقي، أو العراقية في القصر الإضافي.

ومثال الثاني من قصر الصفة قصرًا حقيقياً: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: لا غيرك، فتقديم المفعول على الفعل أفاد قصر الصفة وهي "العبادة" على الموصوف الذي هو "ضمير الخطاب"، بحيث لا تتعداه إلى غيره سبحانه<sup>(2)</sup>.

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 233).

(2) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 78).



4-إنما. ويكون المقصور عليه مؤخرًا وجوبًا.

ف"مثاله في قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا: قولك: "إنما شاعر شوقي" أي: لا غير شوقي، وفي قصر الموصوف على الصفة: قولك: "إنما شوقي شاعر" أي: لا غير شاعر.

**ومثاله في قصر الصفة قصرًا إضافيًا:** قولك: "إنما شاعر شوقي" أي: لا المنفلوطي، ومثال قصر الموصوف على الصفة: قولك: "إنما شوقي شاعر" أي: لا خطيب، وكونه قصر قلب، أو أفراد، أو تعيين منوط بحال المخاطب كما تقدم.

**ووجه إفادتها معنى القصر:** تضمنها معنى "النفي والاستثناء" فقولك: "إنما شوقي شاعر"، أو "إنما شاعر شوقي" في معنى قولك: ما شوقي إلا شاعر، أو ما شاعر إلا شوقي.

**وأحسن مواقع "إنما" استعمالاً:** ما إذا كان المقصد منها التعريض؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:19]، **أي:** إنما يتعقل الحق أصحاب العقول. فمن المجزوم به: أن ليس الغرض من هذا الكلام ظاهره؛ وهو حصر تعقل الحق في ذوي العقول؛ لأن هذا أمر معلوم بالبداهة، وإنما هو تعريض بدم الكفار، وأنهم لفرط عنادهم، وغلبة الهوى عليهم في حكم من لا عقل له، وأن من يطمع في أن ينظروا ويتذكروا كمن يطمع في ذلك من غير أولي الأبواب، ومثله قوله:

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

فهذا تعريض بأنه لا مطمع له في وصلها، وأنه يئس من تحقيق ما يرجوه

منها، وإلا فكون الرزق منوطاً بصاحبه - لا يكون لغيره - أمر معلوم.

**وإنما كان التعريض أحسن مواقع** "إنما"؛ لأن الحكم الذي شأها أن تستعمل فيه يكون "في الغالب" معلوماً للمخاطب، فلا يكون الغرض إفادته حينئذ، بل يكون المقصود التعريض به إلى معنى آخر كما تقدم بيانه في الآية والبيت، وهذا هو معنى التعريض<sup>(1)</sup>.

### والدليل على أن إنما تفيد القصر أمور:

**الأول:** كونها متضمنة معنى ما وإلا، لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ [البقرة: 173]، -بالنصب - معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة.

**الثاني:** لقول النحاة: إنَّ إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفى ما سواه.

**الثالث:** لصحة انفصال الضمير معها مثل: إنما يضرب أنا، أي: ما يضرب إلا أنا<sup>(2)</sup>.

### ومن ذلك قول الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الديار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

"فقد قصر الشاعر الدفاع عن أحسابهم عليه هو أو مثله؛ قصر صفة على موصوف

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 76). وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 39)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 239).

(2) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 231)، أساليب بلاغية (ص: 181)، مفتاح العلوم (ص: 291).



قصرًا حقيقيًا ادعائيًا، ولو قال: إنما أَدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي لكان قصرًا لدفاعه عن كونه عن أحسابهم، لا عن أحساب غيرهم قصر موصوف على صفة، ويكون قوله: "أنا أو مثلي" تأكيدًا لا مقصورًا عليه، وليس هذا مراد الشاعر؛ لأنه قصد إلى الفخر والاعتداد بنفسه، وأنه هو المدافع عن أحسابهم دون غيره، ولم يقصد أنه يدافع عن أحساب قومه دون أحساب غيرهم؛ لأن هذا يتنافى ومقام المدح والفخر<sup>(1)</sup>.

**والأصل في "إنما" أن تستعمل في أمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره، أو فيما نزل هذه المنزلة:**

**مثال الأول:** أن ترى شبحًا من قرب، بحيث يدرك بقليل من التأمل فتقول لآخر: "إنما المقبل ذئب" فمثل هذا الحكم - والحالة هذه - من شأنه ألا يجهله المخاطب ولا ينكره؛ لقرب الشبح في مرأى العين، وكما تقول: "إنما هو صاحبك القديم"، و"إنما هو أخوك" لمن لا يجهل ذلك، ولكنك تريد أن تنبهه إلى ما يجب عليه من رعاية حرمة صاحب، وحق الأخوة لترققه، وتستعطف قلبه.

**ومثال الثاني - وهو ما نزل فيه الأمر للمجهول منزلة ما من شأنه ألا يجهل -:** قوله تعالى: حكاية عن اليهود<sup>(2)</sup>: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ﴾ [البقرة: 111]، **ادعوا:** أن إصلاحهم المجهول للمخاطبين، والمنكر لديهم أمر جلي ظاهر، من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره تنزيلاً للأمر المجهول لهم، المنكر عندهم منزلة

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 436).

(2) كذا، والصواب: عن المنافقين. ونسبة ذلك لليهود ذكره الجرجاني في الدلائل - وسيأتي - والمعلوم عند المفسرين أن القائل هم المنافقون، والله أعلم.

المعلوم المعترف به، فعبروا فيه بـ "إنما" على ما هو الأصل فيها<sup>(1)</sup>.

و"إنما": يعقل منها الحكمان: الإثبات والنفي دفعة واحدة، ويستفادان منها نصًّا من غير توقف على شيء، فإذا قلت مثلاً: "إنما خالد كاتب" فقد أثبت له صفة الكتابة، ونفى عنه صفة الشعر مثلاً في القصر الإضافي، وهذان الحكمان استفيدا من العبارة المذكورة في آن واحد، ودلت عليهما نصًّا بلا توقف على شيء آخر وراء ذلك.

**بخلاف** "العطف" نحو: "خالد كاتب لا شاعر، وما خالد كاتباً بل شاعراً؛ فإن الذي يعقل أولاً في "المثال الأول" ثبوت الكتابة لخالد، ثم نفي الشاعرية عنه، والذي يعقل في المثال الثاني "نفي الكتابة عن خالد"، ثم ثبوت الشاعرية له، ولا شك أن تعقل الحكمين معاً أرجح؛ إذ لا يذهب فيه الوهم إلى عدم الحصر من أول الأمر كما في العطف.

**وبخلاف:** التقديم نحو: "العلوم لزمت"؛ فإنه وإن أفاد الحكمين معاً لكن ليس ذلك نصًّا، بل احتمالاً؛ فإن الاسم المقدم يحتمل أن يكون معمولاً للعامل المؤخر، فيكون تقديم المعمول مفيداً للحكمين معاً، ويحتمل أن يكون معمولاً لعامل آخر قدر تقديمه على المعمول، فلا يفيد الحكمين، وبخلاف الاستثناء؛ فإنه -وإن أفاد الحكمين معاً نصًّا- لكن إفادته ذلك موقوفة على المستثنى منه؛ لأن الاستثناء موضوع للإخراج، فلا بد من ملاحظة المخرج منه<sup>(2)</sup>.

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 80)، وينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 37).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 81).



## أقسام طرق القصر في الوصول إلى الإفادة به :

55. دلالة التقديم بالفحوى ومأ عَدَاهُ بِالْوَضْعِ .....

هذا البيت ذكر فيه الناظم أن هذه الطرق الأربع في إفادة القصر تنقسم إلى

قسمين :

**قسم** يفيد به فحوى الكلام -يعني: بمفهوم الكلام-؛ فإن صاحب الذوق السليم إذا تأمل في الخطاب فهم منه القصر، وإن لم يعلم أنه اصطلاح البلاغيين، وهذا يكون في طريق تقديم ما حقه التأخير.

**وقسم آخر** يعرف بالوضع اللغوي، وهو الطرق الثلاث الباقية؛ لأن الواضع وضع تلك الأدوات للقصر.

**مواضع وقوع القصر :**

..... وأيضاً مثل ما

56. الْقَصْرُ بَيْنَ خَبَرٍ وَمُبْتَدَأٍ يَكُونُ بَيْنَ فَاعِلٍ .....

**يعني:** مثل ما يقع القصر بين الخبر والمبتدأ نحو: ما زيد إلا صالح؛ يقع كذلك بين الفاعل وفعله نحو: ما قام إلا زيد.

وقد حذف الناظم مقابل الفاعل لضيق النظم، أو ليعم ما يقابله وهو الفعل - كما تقدم - والمفعول به نحو: ما ضرب زيد إلا عمراً، وما ضرب عمراً إلا زيد، وذو الحال والحال نحو: ما جاء زيد إلا راكباً، وما جاء راكباً إلا زيد.

## المعلوم والمجهول في القصر بالنسبة للمخاطب:

..... وَمَا بَدَأَ .....

57. مِنْهُ فَمَعْلُومٌ وَقَدْ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْمَجْهُولِ أَوْ ذَا يُبَدَّلُ

**أي:** ما ظهر من القصر يكون هو مقتضى الظاهر المعلوم، فهو لكل مخاطب يجهل ما استعمل له، وهو إثبات الحكم أو نفيه على جهة القصر، وهذا كالقصر بالنفي والاستثناء. ف"الأصل" في النفي والاستثناء: "أن يستعمل في أمر من شأنه أن يجهله المخاطب، وينكره، أو فيما هو منزل هذه المنزلة.

**مثال الأول:** أن ترى شبحاً من بُعد، فتقول: "ما القادم إلا محمد" لمخاطب ينكر عليك ذلك معتقداً أنه محمود، لا محمد، فقدوم محمد أمر من شأنه أن يجهله المخاطب، وينكره؛ لبعد الشبح في مرأى العين.

**ومثال الثاني -** وهو ما نزل فيه الأمر المعلوم منزلة ما من شأنه أن يجهل وينكر - قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 23]، أي: لست مكلِّفاً بغير الإنذار، فكونه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منذراً فقط أمر لا يجهله، ولا ينكره، لكن لما كان النبي حريصاً جيد الحرص على هداية الناس، يكرر الدعوة جاهداً لمن امتنع عن الإيمان، صادقاً عنه؛ نزل ذلك الأمر المعلوم له منزلة ما من شأنه أن يجهل وينكر، فعبر فيه بالنفي والاستثناء على ما هو الأصل فيهما<sup>(1)</sup>.

**وقوله: (وَقَدْ يُنَزَّلُ..)** الخ، يعني: قد ينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 80)، وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة



مناسب، فيستعمل له النفي والاستثناء؛ نحو: ﴿وَمَا مَحْمَدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144]، أي: أنه <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبري من الهلاك، نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه.

فالمخاطبون وهم الصحابة كانوا عالمين بكونه مقصوراً على الرسالة غير جامع بين الرسالة والخلود، وهو التبري من الهلاك والموت، لكنهم لما كانوا يعدون هلاكه وموته أمراً عظيماً نزل استعظامهم لموته منزلة إنكارهم إياه (1).

**وقوله: (أو ذا يُبَدَّل) يعني: العكس؛** بأن ينزل المجهول منزلة المعلوم؛ "الادعاء المتكلم ظهوره؛ فيستعمل له الثالث نحو: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11]، ادَّعُوا أَنْ كُونَهُمْ مُصْلِحِينَ ظاهر جلي؛ ولذلك جاء: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: 12] للرد عليهم مؤكداً بما ترى: من جعل الجملة اسمية، وتعريف الخبر باللام، وتوسيط الفصل، والتصدير بحرف التنبيه، ثم بـ "إن". **ومثله قول الشاعر:**

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ادعى أن كون مصعب - كما ذهب - جلي معلوم لكل أحد، على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في كل ما يصفون به ممدوحهم الجلاء، وأنهم قد شُهِرُوا به حتى إنه لا يدفعه أحد (2).



(1) الإيضاح في علوم البلاغة (34 / 3) مع حاشية المحقق.

(2) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2 / 237).



## الباب السادس: الإنشاء

### تعريف الإنشاء:

**الإنشاء لغة:** الشروع والإيجاد والوضع، **تقول:** أنشأ الغلام يمشي: إذا شرع في المشي، وأنشأ الله العالم: أوجدهم، وأنشأ فلان الحديث: وضعه (1).

والإنشاء في علم البلاغة غير الإنشاء في علم الأدب؛ فهو في الثاني: "فن يعلم به جمع المعاني والتأليف بينها وتنسيقها، ثم التعبير عنها بعبارات أدبية بليغة" (2)، أو هو: "علم يعرف به كيفية استنباط المعاني وتأليفها مع التعبير عنها" (3).

**أما الإنشاء في علم البلاغة فهو اصطلاحاً:** "الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته. وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه.

### فالمعري مثلاً عندما يقول:

لا تظلموا الموتى وإن طال المدى      إني أخاف عليكم أن تلتقوا

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (1/ 15)، وينظر: أدب الكتاب للصولي (ص: 118).

(2) المعجم الوسيط (2/ 920).

(3) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (1/ 15).

قد استعمل أحد أساليب الإنشاء وهو أسلوب النهي في قوله: "لا تظلموا الموتى"، ونحن لا يمكننا هنا أن نقول: إن المعري صادق أو كاذب في نبيه عن ظلم الموتى؛ وذلك لأنه لا يعلمنا بحصول شيء أو عدم حصوله، وليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يمكن أن يقارن به؛ فإن طابقه قيل: إنه صادق، أو خالفه قيل: إنه كاذب.

ومثل هذا القول ينطبق على سائر أساليب الإنشاء من أمر واستفهام وتمن ونداء، فليس لمدلول أي لفظ منها قبل النطق به وجود خارجي يعرض عليه مدلوله ويقارن به، فإن طابقه قيل: إنه صادق، أو خالفه قيل: إنه كاذب.

وعدم احتمال الأسلوب الإنشائي للصدق والكذب إنما هو بالنظر إلى ذات الأسلوب، بغض النظر عما يستلزمه، وإلا فإن كل أسلوب إنشائي يستلزم خبراً يحتمل الصدق والكذب.

فقول القائل: اجتهد يستلزم خبراً هو أنا طالب منك الاجتهاد، وقوله: لا تكسل يستلزم خبراً هو: أنا طالب منك عدم الكسل وهكذا... فالخبر الذي يستلزمه الأسلوب الإنشائي ليس مقصوداً ولا منظوراً إليه، وإنما المقصود والمنظور إليه هو ذات الأسلوب الإنشائي، وبذلك يكون عدم احتمال الإنشاء الصدق والكذب إنما هو بالنظر إلى ذات الإنشاء<sup>(1)</sup>؛ ولهذا زيد في الحد قيد "لذاته"، وهو - كما ترى - ذو أهمية في تمام معنى المحدود.

(1) علم المعاني، لعتيق (ص: 69).

## أقسام الإنشاء:

ينقسم الإنشاء إلى قسمين: الإنشاء الطلبي، والإنشاء غير الطلبي.

فأما الإنشاء الطلبي فهو: ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب.

وأنواعه هي: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء.

وبعضهم يزيد: الترجي والدعاء والإغراء والتحذير.

وأما الإنشاء غير الطلبي فهو: ما لا يستدعي مطلوبًا.

وأنواعه هي: صيغ المدح والذم، والتعجب، والقسم، والرجاء، وصيغ

العقود، وغيرها<sup>(1)</sup>.

وهذا القسم - أعني: الإنشاء غير الطلبي - لا يبحثه أهل البلاغة؛ لقلّة المعاني

المتعلقة به عندهم.



(1) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 249)، علم المعاني (ص: 70)،

البلاغة العربية (1/ 221).





## شرح الأبيات

58. يَسْتَدْعِي الْإِنشَاءَ إِذَا كَانَ طَلِبٌ مَا هُوَ غَيْرُ حَاصِلٍ.....

في هذا البيت يعرف الناظم الإنشاء الطلبي فيقول: يطلب الإنشاء إذا كان طلبياً مطلوباً غير حاصل، **يعني**: وقت الطلب؛ لامتناع طلب الحاصل عقلاً؛ "كقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، وقول عمر يوصي ابنه عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: "يا بني، اتق الله؛ فإن من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده"، كذا قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 24]، وقوله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قَبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: 142] إلى غير ذلك.

فإن هذه الشواهد قد اشتملت على أساليب إنشائية يطلب بها أمر غير حاصل وقت الطلب، فالله عز وجل يأمر نبيه: ﴿فَاصْدَعْ﴾، ﴿وَأَعْرِضْ﴾، والأمر: طلب للفعل. وينهاه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾، **والنهي**: طلب الكف عن الفعل. وعمر ينادي عبد الله: "يا بني"، في النداء طلب الإقبال. والكافر يتمنى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾، والتمنى: هو طلب المحبوب الذي لا طمع فيه. والسفهاء يسألون: ﴿مَا وَلَاهُمْ عَن﴾، والاستفهام: طلب الفهم.

فهذه الأساليب قد طُلب بها - كما ترى - أمور غير حاصلة أثناء الطلب؛ ولذا كان الإنشاء فيها إنشاءً طلبياً.

فإذا استعملت تلك الأساليب - الأمر والنهي والتمني والاستفهام والنداء - في أمور حاصلة وقت الطلب وجب تأويلها بالطلب بحسب القرائن وما يناسب المقام؛ فقوله تعالى مثلاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: 1]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: 136] وقول عمر السابق: "يا بني، اتق الله"؛ تجد بتأمل هذه الأساليب أن التقوى والإيمان المأمور بهما حاصلان وقت الطلب، فالمعنى فيهما على طلب دوام الإيمان، واستمرار التقوى<sup>(1)</sup>.

**وقول الناظم: (إِذَا كَانَ طَلْبٌ) طلب:** خبر كان، منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون العروض، أو اشتغال المحل بسكون الوقف، أو اشتغال المحل بالسكون العارض لأجل الوقف.

### أولاً: التمني:

.....  
.....  
59. فِيهِ التَّمْنِي وَلَهُ الْمَوْضُوعُ لَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْوَقُوعُ

**(والمُتَّخَبُ):** والمختار في الإنشاء الطلبي - كما ذكر الناظم - خمسة، أولها التمني.

**التمني لغة:** يقال: تمنى الشيء: قدره وأحب أن يصير إليه، **والأمنية:** البغية،

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 350).



وهي كذلك: الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء، وجمعه: أمان، والمُنية: الأمنية، وجمعها مُنى.

**والتَّمَنِّيُّ:** تقدير شيء في النفس وتصويره فيها، وذلك قد يكون عن تخمين وظن، ويكون عن روية وبناء على أصل، وهو أيضاً: محبة حصول الشيء، سواء كان ينتظره ويتربح حصوله أو لا<sup>(1)</sup>.

**والتمني والترجي من باب واحد، والفرق بينهما:** أن الترجي لا يكون إلا في الممكنات؛ نحو: لعلني أحج، ولعلني أكرمك، والتمني يكون في الممكنات والمستحيلات، فإن الإنسان لا يترجى الطيران وقد يتمناه، تقول: ليت لي مالاً أنفق منه، و:

لَيْتَ هَذَا اللَّيْلَ شَهْرٌ لَا نَرَى فِيهِ غَرِيباً<sup>(2)</sup>

**اصطلاحاً:** التمني: طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً<sup>(3)</sup>.

**(وله الموضوع... ليت)** أي: الموضوع له، يعني: واللفظ الموضوع لغةً للتمني وضماً حقيقياً هو لفظ: ليت **(وإن لم يكن الوقوع)** يعني: يكون التمني وإن لم يمكن وجود المتمنى؛ لأن التمني يكون في الممكن؛ نحو: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا

(1) ينظر: المعجم الوسيط (2/889)، الكليات (ص: 468) (ص: 582)، شرح المفصل لابن يعيش (5/124)، المفردات في غريب القرآن (ص: 779).

(2) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي = المقاصد الشافية (6/83)، الكناش في فني النحو والصرف (101/2).

(3) التعريفات (ص: 66).

أُوتِي قَارُونَ ﴿[القصص: 79]، ويكون في غير الممكن، نحو: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: 27]، وقوله: (يَكُنْ): تامة وفاعلها: (الوقوع).

60. ولو وهل مثل لعل الداخلة فيه.....

وقد يأتي التمني بأحرف غير حرف ليت، ويكون التمني بها مجازاً لا حقيقة؛ لأنها موضوعة لمعان أخرى غير التمني، وإنما تكون مصروفة للتمني بالقرائن الدالة على ذلك، فمن تلك الأحرف:

1- لو، وهو: حرف موضوع للشرط، ولكن قد يفيد التمني بالقرينة.

"والغرض البلاغي من استعمال "لو" في التمني هو: الإشعار بعزة المتمنى وندرته؛ لأن المتكلم يظهره في صورة الممنوع، أو ما لا يوجد؛ إذ إن "لو" تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 102]، وقول جرير:

ولّى الشباب حميدة أيامه لو كان ذلك يشتري أو يرجع<sup>(1)</sup>

وقال ابن السبكي: "وقد يتمنى ب لو كقولك: لو تأتيني فتحدثني، وإنما يتعين لذلك إذا كان بالنصب، فإن لم يكن احتمال، ومجيء لو بمعنى التمني مذهب سيبويه، وأنكره كثير من النحاة، والاستدلال على جوازه بقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بنصب نكون فيه نظر؛ لجواز أن يكون معطوفاً على

(1) ينظر: علم المعاني (ص: 113)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 62).



## ﴿كِرَّةٌ﴾ كقول الشاعر:

للبس عباءة وتقرّ عيني أحبّ إلىّ من لبس الشفوف<sup>(1)</sup>

وفيما ذكره نظر<sup>(2)</sup>؛ قال شيخ زاده: "الرابع من وجوه استعمالها [يعني: لو]: أن تكون للتمني عند أكثر النحاة، ومنهم الزمخشري، وهو مذهب سيبويه، ووافقه أهل التحقيق في صناعة المعاني"<sup>(3)</sup>.

## 2- هل، وهو: حرف موضوع للاستفهام، ويكون للتمني بالقرينة كذلك.

ويكون التمني بها "عندما يطلب السائل الأمور المحالة أو البعيدة الحصول؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: 53]، ﴿هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 44]، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [غافر: 47]، وكأنهم لفرط ما هم فيه من هول العذاب صاروا يسألون غير الممكن، كما يسأل عن الشيء الذي لا محالة في وجوده، إلى غير ذلك من الأغراض البلاغية التي يفيدها الاستفهام.

وهي أكثر من أن يحاط بها؛ لأنها معان تستنبط من السياق وتأمل أحواله، والمعول عليه في ذلك هو سلامة الذوق وتتبع التراكيب الجيدة، ولا ينبغي لك أن

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 422).

(2) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب (ص: 443)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد

(2/ 772)، شرح التسهيل لابن مالك (4/ 33)، شرح المفصل لابن يعيش (4/ 258)

(5/ 124).

(3) شرح قواعد الإعراب (1/ 139).

تقتصر أنت في ذلك على معنى سمعته أو مثال وجدته من غير أن تتخطاه إلى غيره، بل عليك التصرف واستعمال الروية لمعرفة هذه الأسرار والنكات" (1).

وفي آية الأعراف جاء التمني بحرف هل "على معنى: ليس لنا شفعاء، ونكته التمني بها: إبراز التمني الذي لا طماعية في حصوله في صورة المستفهم عنه، الممكن الوجود، المطموع في حصوله؛ إظهاراً لكمال العناية به، وشدة الرغبة فيه، وإنما لم تحمل على معناها الحقيقي، "وهو الاستفهام" للعلم بأن لا شفعاء لهم، ولا شفاعة" (2).

"والنكته في التمني بـهل، والعدول عن ليت هي: إبراز التمني لكمال العناية به في صورة الممكن الذي لا جزم بانتفائه" (3).

**3- لعل:** يتمنى ب لعل فتعطي حكم ليت، نحو: لعلي أحج فأزورك، بالنصب؛ لبعد المرجو عن الحصول، وذلك يُشبه معنى التمني، وعليه قراءة عاصم في رواية حفص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ \* أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى﴾ [غافر: 36-37]، بالنصب. **ومنه قول الشاعر:**

أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ يَعِيرِ جَنَاحَهُ      لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتَ أُطِيرُ

**على معنى:** ليتني أطيّر، ولم تحمل على معناها الحقيقي الذي هو "الرجاء"؛

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 392).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 109).

(3) المطول (403).



لاستحالة بلوغ الأسباب في الأول، والطيران في الثاني. ونكتة التمني بها: إبراز التمني البعيد الحصول في صورة القريب المترقب حصوله؛ إشعاراً بكمال العناية به، والشوق إليه<sup>(1)</sup>.

ومعنى قول الناظم: **(ولو وهل مثل لعل الداخله\*\*\*)** يعني: لو وهل في التمني مثل لعل التي تدخل فيه.

### ثانياً: الاستفهام:

..... والاستفهام والموضوع له

61. هل همزة من ما وأي أيناً كم كيف أيان متى أم أنى

**(والاستفهام):** معطوف على التمني، وهو مرفوع مثله.

**والاستفهام لغة:** طلب الفهم، **واستفهامه:** سأله أن يفهمه، ويقال: استفهم من فلان عن الأمر: طلب منه أن يكشف عنه، **والفهم:** حسن تصور المعنى، وجودة استعداد الذهن للاستنباط.

وكل استفهام استخبار بلا عكس؛ لأن قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾ [المائدة: 116] إلى آخره استخبار، وليس باستفهام، **وقيل:** الاستفهام في الآية على حقيقته؛ لأن طلب الفهم كان مصروفاً إلى غيره ممن يطلب فهمه فلا يستحيل. وكل استعلام استفهام بلا عكس؛ لأن الاستعلام طلب العلم وهو أخص من

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 54)، المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 109)، تحقيق

الفوائد الغيائية (2/ 569).

الإِسْتِفْهَام؛ إِذْ كَيْسَ كُلُّ مَا يَفْهَمُ يَعْلَمُ، بَلْ قَدْ يَظُنُّ وَيَخْمَنُ (1).

**اصطلاحًا:** الاستفهام: استعمال ما في ضمير المخاطب.

**وقيل:** هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن (2).

**وقيل:** طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، بأدوات خاصة (3).

وقد ذكر الناظم للاستفهام إحدى عشرة أداة في بيت واحد؛ منها تسعة أسماء، وحر فان وهما الهمزة وهل.

**1- الهمزة:** ويطلب بها أحد أمرين:

**أ- التصور، وهو:** إدراك المفرد أي: معنى الماهية من غير أن يحكم عليها بنفي أو إثبات (4).

**أو هو:** "إدراك أحد أجزاء الجملة: المسند أو المسند إليه أو أحد المتعلقات" (5) لتعيينه، ويكون الجواب بتعيين المسؤول عنه، مُسنداً كان أو مُسنداً إليه (6).

"وفي هذه الحال تأتي الهمزة متلوّة بالمسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادل

(1) ينظر: المعجم الوسيط (2/ 704)، الكليات (ص: 83).

(2) التعريفات (ص: 18).

(3) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 373).

(4) المعجم الوسيط (1/ 528).

(5) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 373).

(6) البلاغة العربية (1/ 258).



بعد "أم" (1).

**مثل:** أأنت الناجح أم زيد؟.

فالسائل هنا يعرف النسبة-وهي الحكم بالناجح- لكنه يطلب تعيين الناجح من الشخصين؛ ليقضي على التردد الذي عنده، فهو لا يطلب النسبة؛ لأنها معلومة لديه، ولكنه يطلب التعيين فقط كما قلنا. وقد يحذف المعادل وما تلاه، فيقال: أأنت الناجح؟

**ب- التصديق، وهو:** "إدراك النسبة الحكمية بين المسند والمُسند إليه، موجبة كانت أو سالبة" (2)، وإدراك النسبة: "تعيينها، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل" (3)، وفي هذه الحال "يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته مصدقاً للجواب: إثباتاً ب (نعم)، أو نفيّاً ب (لا)" (4). **مثاله:** أتتحرك الأرض؟ فيجاب ب نعم، إن أريد الإثبات، وب لا، إن أريد النفي.

ولما كان يطلب بالهمزة التصور والتصديق صارت أم أدوات الاستفهام.

**2- هل:** ويطلب بها التصديق فقط-وهو: إدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها-، كما في الحالة الثانية للهمزة، ويمتنع مع هل ذكر المعادل.

(1) علم المعاني (ص: 91).

(2) البلاغة العربية (1/ 259).

(3) علم المعاني (ص: 91).

(4) علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني» (ص: 294).

**وتدخل على الجملتين:** الفعلية والاسمية نحو: هل أتى زيد؟ وهل أتى زيد؟  
تريد السؤال عن نسبة الإتيان إلى زيد، هل هي حاصلة في الواقع أم غير حاصلة؟  
ويجاب "بنعم" أو "لا".

"ولاختصاص "هل" بطلب التصديق يمتنع استعمالها في صورة، ويقبح في  
أخرى، كما تراه فيما يلي:

فيمتنع في مثل قولك: هل قدم محمد أم علي؟، من كل تركيب يذكر فيه  
المعادل.

**ووجه المنع:** هو أن ذكر المعادل يفيد بحسب السليقة العربية والذوق البلاغي:  
أن السائل عالم، ومصداق بأصل الحكم، وهو "القدوم" في هذا المثال، وإنما يسأل  
فقط عن الفاعل أهو محمد أم علي؟، و"هل" تفيد: أن السائل جاهل بأصل الحكم؛  
لأنها لطلب التصديق به، فيؤدي الجمع بينهما في تركيب واحد إلى التناقض.

ويقبح استعمالها في مثل قولك: هل عمراً قابلت؟، وهل بناديك نزل؟، وهل  
راكباً أتى إليك؟، وهل عندك أقام؟، ونحو ذلك من كل تركيب يتقدم فيه المعمول  
على العامل.

**ووجه القبح هو:** أن تقديم المعمول على العامل -كما في الأمثلة- يفيد غالباً:  
تخصيص العامل بالمعمول كما تقدم في باب القصر، فقولنا: عمراً قابلت، مثلاً  
يفيد اختصاص عمرو بهذه المقابلة دون سواه، وإذا فالقائل: هل عمراً قابلت؟  
مصداق بوقوع المقابلة من الفعل، وإنما يسأل فقط عن اختصاص هذه المقابلة دون



غيره -أهو عمرو وأم غير عمرو-، وحينئذ فتقديم المعمول على عامله يقتضي: التصديق بأصل الحكم، وهل لطلب التصديق بأصل الحكم فيؤدي ذلك إلى طلب حصول الحاصل، وهذا ضرب من العبث، ينبغي أن يسان عنه كلام البليغ.

وإنما قبح ذلك ولم يمتنع كسابقه - مع أن علة القبح تقتضي المنع - لاحتقال أن يكون تقديم المعمول لغير التخصيص كالاتمام بالمقدم مثلاً، فلا يقتضي تقديمه حينئذ التصديق بأصل الحكم، فلا يؤدي إلى هذا العبث<sup>(1)</sup>.

ولا تجتمع الهمزة وهل على الاستفهام متالتين، **وأما قول الشاعر:**

سائل فوارس يربوع بشدّتنا      أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم

فإن هل فيه بمعنى قد، والتقدير: أقدر رأونا.

هذا هو تفصيل الكلام عن الهمزة وهل، وهما الحرفان في أدوات الاستفهام، وأما بقية الأدوات -وهي الأسماء- فهي تفيد التصور فقط، **والكلام عنها في الآتي:**

1 - (ما): ومعناها: أي شيء؟ وهي للاستفهام عن غير العقلاء، والمطلوب

بها أحد أمور ثلاثة:

**الأمر الأول:** إيضاح الاسم وشرحه، مثل: ما النُّصار؟ وجوابه: الذهب. أو الخالص من كل شيء.

**الأمر الثاني:** بيان حقيقة المُسمّى، مثل: ما الحَسَد؟ وجوابه مثلاً: تَمَنِّي زَوَالِ النعمة عن المحسود.

(1) علوم البلاغة «البدیع والبیان والمعانی» (ص: 294).

**الأمر الثالث:** بيان صفات المسؤول عنه وأحواله الخاصة أو العامة، مثل:  
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي  
وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: 17-18] (1).

2- (من): ويطلب بها تعيين أحد العقلاء؛ كقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ  
مَرْقَدِنَا﴾ [يس: 52].

3- (متى): يطلب بها تعيين الزمان ماضياً أو مستقبلاً، نحو: متى وصلت؟  
ومتى ستسافر؟.

4- (أيان): مثل متى، ومعناها: أي حين؟ وتختص بالاستفهام عن الزمان  
المستقبل، وتُستخدَمُ في الموضع الذي يحسُنُ فيه التهويل والتعظيم، وتضخيم  
أمره؛ مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: 42] (2).

5- (كيف): يطلب بها تعيين الحال، نحو: كيف فهمك للبلاغة؟

6- (أنى): تأتي لعدة معان:

أ- بمعنى: من أين؛ نحو قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ  
عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ [آل عمران: 37].

ب- بمعنى: كيف؛ نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انِّي يُكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي  
الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: 40].

(1) البلاغة العربية (1/ 263).

(2) البلاغة العربية (1/ 266).



ج- بمعنى: متى؛ نحو قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223].

7- (كم): يطلب بها تعيين العدد، نحو: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: 112].

8- (أي): يُسْتَفْهَمُ بها لتعيين أحد المتشاركين في أمرٍ يَعْمَهُمَا، سواءً أكانا شخصين مِمَّنْ يَعْقِلُ، أم مِمَّا لَا يَعْقِلُ، أو زمانين، أو مكانين، أو حالين، أو عددين، أو غير ذلك، وتكون بحسب ما تُضَافُ إليه، نحو: أيّ الرجلين؟ - أيّ المرأتين؟ - أيّ الزمانين؟ - أيّ المكانين؟ - أيّ الحالين؟ - أيّ العددين؟.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19]، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 81]، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13] (1).

9- (أين): يطلب بها تعيين المكان، نحو: أين زيد؟.

### وقول الناظم:

62. فهل بها يُطلبُ تصديقٌ وما لا همزةٌ تصوّرٌ وهي هَمَا

يريد: أن يقول: إن أدوات الاستفهام تنقسم إلى ثلاثة أقسام في مسألة التصور

والتصديق:

(1) البلاغة العربية (1/ 269).

1- ما يفيد التصديق فقط، وهو: هل. وهذا معنى قوله: **(فهل بها يُطلبُ**

**تصديقٌ).**

2- ما يفيد التصور فقط، وهي أسماء الاستفهام التسعة. وهذا معنى قوله:

**(وما\*\* لا همزة تصوّر).**

3- ما يفيد التصور والتصديق، وهو: الهمزة. وهذا معنى قوله: **(وهي هُما)**

أي: التصور والتصديق.

**خروج الاستفهام عن أصل دلالاته إلى معانٍ أخرى:**

63. **وقد لِّلِاسْتِبْطَاءِ وَالتَّقْرِيرِ** **وغير ذاك تَكُونُ وَالتَّحْقِيرِ**

قد يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق،

وهذا ما أشار إليه الناظم في هذا البيت.

**فيقول:** وقد تكون هذه الأدوات الاستفهامية لإفادة الاستبطاء أو التقرير أو

التحقير، وغيرها.

**فالتقرير هو:** "حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه، إثباتاً ونفيًا لغرض من

الأغراض"<sup>(1)</sup>؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1].

**والتحقير: نحو قول الشاعر:**

يَقُولُونَ هَذَا عِنْدَنَا غَيْرُ جَائِزٍ      وَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ

(1) علم المعاني (ص: 99).



والاستبطاء؛ نحو قول الشاعر:

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَاهُ عَلَيَّ خُفٌّ وَلَا قَدَمِ

وهناك أغراض أخرى، منها: الأمر، التعجب، التهكم، التنبيه على الضلال، الاستبعاد، التشويق، الترهيب، الإنكار، النفي، التوبيخ، التعظيم والإجلال.

**ثالثاً: الأمر:**

64. والأمرُ وهو طلبُ استِعلاءٍ وقد لأنواعٍ يكونُ جائي

(والأمرُ): معطوف على التمني (جائي): أصلها جاء، وأشبعها بالياء لحرف

الروي.

هذا هو النوع الثالث من أنواع الإنشاء الطلبي الخمسة التي ذكرها الناظم، وقد ذكر في هذا البيت تعريف الأمر، وأنه قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى.

**فنقول:** الأمر هو: حقيقية في القول مجاز في غيره، هذا مذهب الجمهور<sup>(1)</sup>.

فالأمر يطلق على القول المخصوص؛ كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: 132]، وهو مجاز في الفعل، فقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]، معناه: افعِل المشورة. ويطلق الأمر على:

- الشان، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: 50].

(1) رفع النقاب عن تنقيح الشهاب (2/ 447).

- **الشيء، ومنه:** المثل العربي: "لأمر ما جدد قصير أنفه".

- **الفاعل، ومنه:** قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود:73]، يعني: من

فعل الله.

**اصطلاحاً:** طلب فعل غير كف على وجه الاستعلاء<sup>(1)</sup>.

والمسألة خلافية بينهم في قيد الاستعلاء؛ فمنهم من اشترط في الأمر الاستعلاء، ومنهم من اشترط العلو، ومنهم من اشترطهما معا.

**والاستعلاء:** صفة في الأمر نفسه؛ بأن يعرف من سياق الكلام أو طريقة التكلم أن المطلوب التنفيذ الحتمي.

**والعلو:** صفة في الأمر؛ وهو أن يكون الكلام صادراً من الأعلى رتبة لمن هو دونه فيها.

**صيغ الأمر:**

أ- فعل الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ [البقرة:43].

ب- المضارع المقرون بلام الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:7].

ودخول لام الأمر على خطاب الغائب هو الغالب، وأقل منه خطاب الحاضر؛

(1) المطول(422).



نحو: " لتكتبِ الدرس يا زيد"، وأقل منه خطاب التكلم، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: 12]، **قال الدرويش:** " في قوله: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ الأصل دخول لام الأمر ولا الناهية على فعل الغائب معلوماً ومجهولاً، وعلى المخاطب والمتكلم المجهولين، ويقل دخولها على المتكلم المفرد المعلوم، فإن كان المتكلم غيره فدخولها عليه أهون وأيسر كالأية المتقدمة، **وقول الشاعر:**

إِذَا مَا خَرَجْنَا مِنْ دِمَشْقَ فَلَا نَعُدُّ لَهَا أَبَدًا مَا دَامَ فِيهَا الْجِرَاضِمُ<sup>(1)</sup>

**ومنه:** قول رسول الله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** (قَوْمُوا فَلِأَصْلٍ لَكُمْ)<sup>(2)</sup>(3)، وهناك

كلام آخر عن هذه اللام في هذا الحديث<sup>(4)</sup>.

(1) إعراب القرآن وبيانه (7/ 412).

(2) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (4/ 59)، شرح الكافية الشافية (3/ 1566).

(3) رواه البخاري (380).

(4) **قال ابن حجر:** "قوله: "فَلِأَصْلِي لَكُمْ" كَذَا فِي رِوَايَتِنَا بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْيَاءِ، وَفِي رِوَايَةِ الْأَصِيلِيِّ بِحَذْفِ الْيَاءِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: رُوِيَ بِحَذْفِ الْيَاءِ وَثُبُوتِهَا مَفْتُوحَةً وَسَاكِنَةً، وَوَجْهُهُ: أَنَّ اللَّامَ عِنْدَ ثُبُوتِ الْيَاءِ مَفْتُوحَةٌ لَامٌ كَيٌّ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ بِأَنَّ مَضْمَرَهُ، وَاللَّامُ وَمَصْحُوبُهَا خَيْرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: قَوْمُوا فِقِيَامُكُمْ لِأَصْلِي لَكُمْ. وَيَجُوزُ -عَلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ- أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ زَائِدَةً وَاللَّامُ مُعَلِّقَةٌ بِ قَوْمُوا، وَعِنْدَ سُكُونِ الْيَاءِ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ أَيْضًا لَامٌ كَيٌّ، وَسُكِّنَتِ الْيَاءُ تَخْفِيفًا، أَوْ لَامٌ الْأَمْرُ، وَتَبَتَّتِ الْيَاءُ فِي الْجَزْمِ إِجْرَاءً لِلْمُعْتَلِّ مَجْرَى الصَّحِيحِ كَقِرَاءَةِ قُنْبُلٍ: قَقُقُ {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ} وَعِنْدَ حَذْفِ الْيَاءِ اللَّامُ لَامٌ الْأَمْرُ، وَأَمْرُ الْمُتَكَلِّمِ نَفْسُهُ بِفِعْلٍ مَقْرُونٍ بِاللَّامِ فَصِيحٌ قَلِيلٌ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾، فتح الباري لابن حجر (1/ 490).

وينظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (ص: 243).

ج- المصدر النائب عن فعل الأمر؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد:4].

د- الجملة الخبرية المراد بها الطلب؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:233].

### خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معان مجازية:

قد يخرج الأمر عن الطلب الواجب إلى معان أخرى تعرف من خلال القرائن، فمن تلك المعاني: الدعاء، الالتماس، الندب، الإباحة<sup>(1)</sup>، التهديد، الإرشاد، الإذن، الإنذار، التكوين والإيجاد، التهكم، التسوية، الاعتبار، التمني، وغير ذلك.

### رابعاً: النهي:

65. والنَّهْيُ وَهُوَ مِثْلُهُ بِأَبَدًا وَالشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ.....

(وَالنَّهْيُ): النهي: معطوف على التمني، أي: ومن أنواع الطلب: النهي (وهو **مِثْلُهُ**) أي: مثل الأمر في الاستعلاء؛ لأنه المتبادر إلى الفهم (**بِأَبَدًا**) أي: ظهر بـ لا الناهية الجازمة للفعل المضارع؛ نحو: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء:31].

(1) في نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين، أو تزوج هنداً أو أختها، ذكر لنا الشيخ إبراهيم الشنقيطي اختلاف النحاة والبيانين في هذه المسألة؛ فالنحاة يرون أن التخيير والإباحة مستفادان من حرف العطف "أو"، وأما البيانون فقالوا: إن "أو" قد وضعت للحكم إذا دار بين شيئين، وأما التخيير والإباحة فمستفادان من قرائن خارجية كالشرعية وغيرها.



**والنهي في اللغة:** الزجر والمنع، والتحرير، يقال: نهى عن الشيء: زجر عنه، وَيُقَالُ: نهى الله عَن كَذَا حَرَمَهُ (1).

**اصطلاحاً:** النهي: طلب الكف عن الفعل استعلاءً (2).

وللنهي حرف واحد وهو: لا الناهية؛ نحو: لا تفعل.

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى، منها:

**أ- الكراهة؛** نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 267].

**ب- الدعاء؛** نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286].

**ج- الإرشاد؛** نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: 101].

**د- الالتماس؛** كقول الشاعر:

فَلَا تُبْلِغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ      شُجَاعٌ مَتَى يُذَكِّرْ لَهُ الطَّعْنَ يُشْتَقِ

**ه- التمني؛** نحو قول الشاعر:

يَانَاقُ لَا تَسَامِي أَوْ تَبْلُغِي مَلَكًا      تَقْيِيلُ رَاحَتِهِ وَالرَّكْنَ سَيَّانِ

(1) المعجم الوسيط (2/ 960).

(2) المطول (426).

و- التوبيخ؛ كقول الشاعر:

لا تنه عن خُلُقِي وتأتي مثلهُ عازُّ عليك إذا فعلت عظيمُ

ز- التئيس؛ نحو قول الشاعر:

لا تعرِّضَنَّ لجعفر متشبهاً بندي يديه فلست من أنداده

وقول الناظم: (والشَّرْطُ بَعْدَهَا يَجُوزُ) يعني: الشرط بعد الأمور السابقة-

وهي: التمني والاستفهام والأمر والنهي- يجوز تقديره بعدها والإتيان عقبها بالجواب مجزوماً.

ففي التمني تقول: ليت لي ما لا أنفق منه، فهو على تقدير: إن أرزقه أنفق منه.

وفي الاستفهام تقول: أين بيتك أزرُك، على تقدير: إن تعرّفنيه أزرُك.

وفي الأمر: أكرمني أكرمك. أي: إن تكرمني أكرمك.

وفي النهي: لا تشتمني يكن خيراً لك. أي: إن لا تشتمني يكن خيراً لك<sup>(1)</sup>.

**خامساً: النداء:**

..... والنِّداءُ

66. وقد للاختصاص والإغراء يَجِيءُ.....

ومن أنواع الإنشاء الطلبي- وهو النوع الخامس-: النداء.

**والنداء لغة: الدعاء والصياح<sup>(1)</sup>.**

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/471).



اصطلاحاً: طلب الإقبال بحرف ناب مناب أدعو لفظاً أو تقديرًا<sup>(2)</sup>.

### وأدوات النداء ثمان:

1- الهمزة، أزيد.

2- أي، أي زيد.

3- يا، يا زيد.

4- أيا، أيا زيد.

5- آي، آي زيد.

6- آ، آ زيد.

7- هيا، هيا زيد.

8- وا، وتستعمل للندبة، نحو: وا زيدا.

فالهمزة وأي لنداء القريب، والباقي لنداء البعيد.

وقد ينزل البعيد منزلة القريب؛ إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن،

فينادي حينئذ بالهمزة وأي.

### قال أبو الطيب:

أمالك رقي ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد

(1) المعجم الوسيط (2/ 912).

(2) المطول (429).

وقد ينزل القريب منزلة البعيد؛ إشارة إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته أو شروده.

فمن علو المرتبة للمنادى: قول الشاعر:

يَارِبُّ إِنِّ عَظُمْتُ ذَنْبِي كَثْرَةً      فَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

ومن انحطاط منزلة المنادى عند المتكلم: قول الشاعر:

أَوْلَيْكَ أَبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ      إِذَا جَمَعْتَنِيَا جَرِيرُ الْمَجَامِعِ

ومن أمثلة النداء لغفلة المنادى وشروده: قول الشاعر:

أَيَا جَامِعِ الدُّنْيَا لَغْفَلَةٍ بِلَاغَةٍ      لَمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ؟!

وفي قول الناظم: (وقد للاختصاص والإغراء\*\*\*)يحيء) إشارة إلى خروج

النداء عن معناه الحقيقي إلى معان أخرى، فيقول: وقد يحيء النداء للاختصاص، نحو: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، ومنه حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ فِي قَوْلِهِ: "وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ".

ويحيء أيضًا للإغراء في نحو من جاء يتظلم فيقال له: يا مظلوم تكلم.

**وقوع الخبر موقع الإنشاء وعكسه:**

..... ثُمَّ مَوْقِعَ الْإِنشَاءِ

67. قَدْ يَتَعُ الْخَبْرُ لِلتَّأْوِيلِ      وَالْحَرْصِ أَوْ بَعَكْسِ ذَا تَأْمَلِ



(موقع) مفعول ل (يقع).

**يقول:** ثم بعد ذكر هذه الأنواع نقول: إنه قد يقع الخبر في موضوع الإنشاء مجازاً للتفاوت أو الحرص، وقد يقع العكس بأن يقع الإنشاء في موضع الخبر، فتأمل ذلك.

أ- وقوع الخبر موقع الإنشاء:

يقع الخبر في موقع الإنشاء لأغراض، منها:

أ- التفاؤل بتحقق المطلوب.

ولا يكون التفاؤل إلا بلفظ الماضي "على أنه من الأمور الحاصلة التي حقها أن يخبر عنها بأفعال ماضية؛ كقولك: وفقك الله للتعوى"<sup>(1)</sup>.

ب- إظهار الحرص في وقوع المطلوب.

لأن "الطالب إذا عظمت رغبته في شيء كثر تصويره إياه، فربما يحيل إليه حاصلاً فيورده بلفظ الماضي؛ كقولك: رزقني الله لقاءك"<sup>(2)</sup>.

ج- التأدب مع المخاطب بترك صيغة الأمر له.

نحو: أمير المؤمنين يقضي حاجتي أو يكتب لي أو يتتصف لي، بدل: اقض، اكتب، انتصف.

(1) المطول (432).

(2) المطول (432).

**ب- وقوع الإنشاء موقع الخبر:**

وقد يقع الإنشاء في موقع الخبر لأغراض، منها:

"الغرض الأول: إظهار العناية والاهتمام بالشيء.

ومنه قول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: 29].

كان مقتضى الظاهر أن يُقال: وبإقامة وُجُوهكم عند كلِّ مسجدٍ وبدُعائكم مُخْلِصِينَ له الدِّين، عطفًا على لفظ ﴿بالقسط﴾ وبأسلوب الخبر، لكن خولف هذا الظاهر فجاء التعبير بأسلوب الإنشاء في صيغة الأمر التكليفي؛ إشعاراً بالاهتمام بالمطلوب في أمر التكليف.

**الغرض الثاني:** التفريق في أسلوب الكلام بين المتقارنين في العبارة للإشعار بالفرق بينهما، وبأنهما لا يحسن الحديث عنهما بتعبيرين متماثلين، ولو في الصيغة الكلامية.

**ومن الأمثلة:** قول الله عز وجل: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: 54].

كان مقتضى الظاهر أن يقول لهم: إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.

لكن جاء التعبير على خلاف مقتضى الظاهر هذا؛ لئلا يكون التحدث عنهم وهم كفرة مشركون بعبارة مشابهة للعبارة التي جاء فيها إشهد الله عز وجل.



**الغرض الثالث:** الإشعار بأن ما هو مقررٌ حصوله هو أمرٌ مرغوبٌ فيه للمتحدث، فكأنه مطلوبٌ له.

**ومن أمثله:** قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

كان مقتضى الظاهر استدعي أن يقول: فإنه سيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، بأسلوب الخبر، لكن عدل الرسول عن ذلك وجاء بأسلوب الإنشاء "فَلْيَتَّبِعُوا" للإشعار بأن هذا التَّبَوُّءَ أمرٌ يَطْلُبُهُ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو ربه به <sup>(1)</sup>.



(1) البلاغة العربية (1/ 514).



## الباب السابع: الفصل والوصل

وقبل شرح أبيات هذا الباب نقدم له بما يأتي:

### 1- تعريف الفصل والوصل:

- الفصل لغة: القطع، وفي الاصطلاح: ترك عطف جملة على أخرى.  
والوصل لغة: الجمع، وفي الاصطلاح: عطف بعض الجمل على بعض.  
مثال الأول: عمراً أهنته، زيداً ضربته.  
ومثال الثاني: زيد قائم وعمرو جالس<sup>(1)</sup>.

### 2- صعوبة هذا الباب ودقته:

هذا الباب "دقيق المجرى، لطيف المغزى، جليل المقدار، كثير الفوائد، غزير الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة، فحدّثها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعاً له، ومفتقراً إليه. وقاعدته العظمى حروف العطف، وينعطف عليها حروف الجر، وتكون تابعة لها؛ فإنه يتعلق بكل واحد منهما أسرار ولطائف.." <sup>(2)</sup>.

(1) حلية اللب المصون (141).

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/20).



"قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل"<sup>(1)</sup>.

"وقد ذهب كثير من بلاغبي العرب إلى ما ذهب إليه الفارسي"<sup>(2)</sup>، حيث أبان "البلاغيون أهمية معرفة مواطن الفصل والوصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، واعتبروا إدراك ذلك من الأمور التي تحتاج بصيرةً نفاذةً قادرةً على إدراك مدى التلاقي والافتراق، والتقارب والتباعد بين المضامين الفكرية للجمل التي يتلو بعضها بعضاً في الكلام، وأن هذا مما يصعبُ على الكثيرين إدراكه، فلا يستطيعون دواماً تحديده ما يجبُ أو يحسنُ فصله، وما يجبُ أو يحسنُ وصله، وما يستوي فيه الأمران، فلا يرتقي ما يُشؤون من كلامٍ مؤلف من جملٍ كثيرةٍ في مراقبي البلاغية الرفيعة، وفي حُسنِ وضعِ كُلِّ من الفصل والوصل في موضعه.

ولا تُكتسبُ ملكةٌ وضعِ كُلِّ من الفصل والوصل في موضعه بالملائم بالتقائية إلاً بممارسةٍ طويلة، مع حسٍّ فطريٍّ مُرهِفٍ، وموهبةٍ بلاغيةٍ ممتازة.

**ويتفاوت الكلام** بالفصل والوصل تفاوتاً كبيراً ارتقاءً أو نزولاً من المراتب البلاغية، ويتفاضل في هذا المجال أيضاً الكتاب والشعراء والخطباء والمُحدِّثون"<sup>(3)</sup>.

وقد بين أرباب هذا الفن هذه الدقة لهذا الباب، وأبانوا عن علو منزلة من يدركه ويتقنه؛ قال عبد القاهر: "واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه: إنه خفيٌّ غامضٌ، ودقيقٌ صعبٌ إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقُّ

(1) البيان والتبيين (1/91).

(2) أساليب بلاغية (ص: 184).

(3) البلاغة العربية (1/571).

وأصعب. وقد قنع الناس فيه بأن يقولوا إذا رأوا جملة قد ترك فيها العطف: إن الكلام قد استؤنف وقطع عما قبله، لا تطلب أنفسهم منه زيادة على ذلك. ولقد غفلوا غفلة شديدة.

ومما هو أصل في هذا الباب أنك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله، ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمر عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها.

**مثال ذلك:** قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15]، الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن يعطف على ما قبله من قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: 14]، وذلك أنه ليس بأجنبي منه، بل هو نظير ما جاء معطوفاً من قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: 142]، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 54]، وما أشبه ذلك مما يردّ فيه العجز على الصدر، ثم إنك تجده قد جاء غير معطوف؛ وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف، وهو أن قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾، حكاية عنهم أنهم قالوا، وليس بخبر من الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم. وإذا كان كذلك، كان العطف ممتنعاً؛ لاستحالة أن يكون الذي هو خبر من الله تعالى معطوفاً على ما هو حكاية عنهم، ولا يجاب ذلك أن يخرج من كونه خبراً من الله تعالى، إلى كونه حكاية عنهم، وإلى أن يكونوا قد شهدوا على أنفسهم بأنهم مؤاخذون، وأن الله تعالى معاقبهم عليه، وليس كذلك الحال في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ و ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾؛ لأن



الأول من الكلامين فيهما كالثاني، في أنه خبر من الله تعالى وليس بحكاية. وهذا هو العلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾\* أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿البقرة: 11 - 12﴾، إنما جاء ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ الْمُفْسِدُونَ﴾ مستأنفاً مفتتحاً «بألا»؛ لأنه خبر من الله تعالى بأنهم كذلك، والذي قبله من قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾، حكاية عنهم. فلو عطف للزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في الحكاية، ولصار خبراً من اليهود ووصفاً منهم لأنفسهم بأنهم مفسدون<sup>(1)</sup>، ولصار كأنه قيل: قالوا: إنما نحن مصلحون، وقالوا: إنهم المفسدون، وذلك ما لا يشك في فساده<sup>(2)</sup>.

**وقال السكاكي:** "وأما توسط الواو بين جمل لا محل للمعطوف عليها من الإعراب فإنما بعد تعاطيه لكون الأصول الثلاثة في شأنه غير ممهدة لك، وهو السر في أن دق مسلكه، وبلغ من الغموض على حيث قصر بعض أئمة علم المعاني البلاغة على معرفة الفصل والوصل، وما قصرها عليه لا لأن الأمر كذلك، وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن، وأن أحداً لا يتجاوز هذه العقبة من البلاغة إلا إذا كان خلف سائر عقباتها خلفه"<sup>(3)</sup>.

**وقال القزويني:** "وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة فن منها عظيم الخطر، صعب المسلك دقيق المآخذ لا يعرفه على وجهه،

(1) المعروف عند المفسرين أن هذه الأوصاف في المنافقين، كما تقدم.

(2) دلائل الإعجاز (ص: 154).

(3) مفتاح العلوم (ص: 251).

ولا يحيط علمًا بكنهه، إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعًا سليمًا، ورزق في إدراك أسراره ذوقًا صحيحًا؛ ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل، وما قصرها عليه؛ لأن الأمر كذلك، إنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه وأن أحدًا لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان" (1).

### 3- اختيار الواو لهذا الباب دون غيرها من حروف العطف: إن "بلاغة الوصل

لا تتحقق إلا (بالواو) العاطفة فقط دون بقية حروف العطف؛ لأن (الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك؛ إذ لا تفيد إلا مجرد الربط، وتشريك ما بعدها لما قبلها في الحكم نحو: مضى وقت الكسل وجاء زمن العمل، وقم واسع في الخير. بخلاف العطف بغير (الواو) فيفيد مع التشريك معاني أخرى - كالترتيب مع التعقيب في (الفاء)، والترتيب مع التراخي في (ثم)، وهكذا باقي حروف العطف التي إذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة، ولا يقع اشتباه في استعماله.

وشرط العطف (بالواو) أن يكون بين الجملتين جامع؛ كالموافقة في نحو: يقرأ ويكتب، وكالمضادة في نحو: يضحك ويبكي، وإنما كانت المضادة في حكم الموافقة؛ لأنّ الذهن يتصور أحد الضدين عند تصور الآخر، فالعلم يخطر على الباب عند ذكر الجهل كما تخطر الكتابة عند ذكر القراءة، والجامع يجب أن يكون باعتبار المسند إليه والمسند جميعًا، فلا يقال: خليل قادم، والبعير ذاهب؛ لعدم

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 97).



الجامع بين المسند اليهما كما لا يقال: سعيد عالم، وخلييل قصير؛ لعدم الجامع بين المسندين" (1).

"و"الواو" العاطفة التي يدور البحث هنا حول استخدامها عاطفةً أو عدم استخدامها بين الجمل التي لا محلَّ لها من الإعراب، لها أَرْبَعُ صفات:

**الصفة الأولى:** أنها لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً ولا غير ذلك من معاني حروف العطف، سواءً أعطفت المفردات أم عطفت الجمل.

**الصفة الثانية:** أنها تُفيدُ الإِشْرَاقَ في الحكم في عطف المفردات وفي عطف الجمل التي لها محلُّ من الإعراب؛ لأنها مؤولة بالمفردات التي حلَّت محلَّها.

**الصفة الثالثة:** أنها تقتضي التغاير بين المعطوف بها والمعطوف عليه، فلا يُعْطَفُ بها المتَّحدان في المعنى.

**الصفة الرابعة:** أن الربط بها يتطلَّبُ مُنَاسَبَةً فِكْرِيَّةً بَيْنَ المعطوف والمعطوف عليه بها تُسَوِّغُ عند البلغاء هذا العطف.

فلا بُدَّ من ملاحظة هذه الصفات لدى العطف بالواو حتى يكون العطفُ مستقيماً نحوياً وبلاغياً، وما قد يراه النحويُّ جائزاً بحسب القواعد النحويَّة، قد لا يراه البلاغيُّ جائزاً إذا نظر إلى المعاني" (2).

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 179). وينظر أيضاً: علم المعاني (ص: 161).

(2) البلاغة العربية (1/ 578).

4- سبب تقديم الفصل على الوصل: قدم الفصل لأن الفصل هو الأصل والوصل عارض، والوصل عطف والفصل تركه، وجاء الوصل بحرف زائد وخلا عنه الفصل.

5- مواضع الفصل ومواضع الوصل<sup>(1)</sup>: ولصعوبة إتقان هذا الباب يحسن أن نذكر مواضع الفصل والوصل ونمثل عليها قبل الخوض في شرح الأبيات، حتى نصل إليها وقد اتضحت الصورة.

أولاً: مواضع الفصل:

يجب الفصل بين الجملتين في مواضع:

1- أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وهو " كمال الاتصال ". وذلك في صور:

أ- أن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى لزيادة التقرير، أو لدفع توهم المجاز، أو لدفع توهم الغلط.

والتوكيد توكيدان: لفظي، نحو: ﴿فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أُمَّهْلَهُمْ رُؤَيْدًا﴾ [الطارق: 17]، ومعنوي، نحو قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]، فجملة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ توكيد معنوي لجملة ﴿مَا هَذَا

(1) ينظر في هذه المواضع: البلاغة العربية (1/ 589)، علم المعاني (ص: 161)، أساليب بلاغية (ص: 188)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي (ص: 168)، المنهاج الواضح للبلاغة (2/ 120)، مفتاح العلوم (ص: 261)، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، للديب (ص: 349)، تحقيق الفوائد الغياثية (1/ 531).



بَشْرًا ﴿١﴾؛ لأنَّ إثبات كونه ملكاً كريماً تأكيدٌ وتحقيقٌ لنفي كونه بشراً.

### ومثل قول المتنبي:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي      إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

ب- أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الجملة الأولى.

**فقد تكون:** بدل كلِّ مِنْ كُلِّ؛ مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ \* قَالُوا أَنْذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتَا كَمَبْعُوثُونَ ﴿٨١-٨٢﴾. [المؤمنون: 81-82].

وقد تكون بدلاً بعضٍ مِنْ كُلِّ؛ كقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ \* وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ \* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ \* وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿الشعراء: 131-134﴾، فالأنعام والبنون والجنتات والعيون هي بعض ما أمدهم به مما يعلمون، وفائدة هذا البدل: ذكر بعض العناصر مفصلة لأهميتها عند المخاطبين، بعد ذكرها بشكل مجمل.

وقد تكون بدلاً اشتمال؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: 20-21].

**فجملة:** ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا...﴾ بدل من جملة: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ التي تشتمل بمفهومها العام على معنى الجملة التي جاءت بدلاً منها، والغرض: التنبيه على قضيةٍ مهمّةٍ فيهم، وهي إخلاصهم وعدم سعيهم لغرض دنيويٍّ من دعوتهم.

ج- أن تكون الجملة التالية معطوفة على الجملة السابقة عطف بيان.

مثل قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [طه:120].

فجملة: "قال يا آدم ... " عطف بيان على جملة: ﴿فَوَسْوَسَ ...﴾ وهي لبيان مضمون الوسوسة التي وسوس بها الشيطان.

2- **أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال.** وذلك بأن تكون الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى، وهذه الأسئلة أنواع:

**الأول:** أن يكون سؤالاً عن سبب الحكم الذي تضمنته الجملة السابقة بوجه عام.

مثل قول الشاعر:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ عَلِيلٌ      سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

فجملة "سَهْرٌ دَائِمٌ ... " جملة استئنافية جاءت بدون عطف بالواو؛ إذ وقعت جواب سؤالٍ تُثِيرُهُ جملة: "أنا عَلِيلٌ"؛ لأن من طبيعة المتلقي أن تتحرك نفسه بسؤالٍ مضمونه: ما سببُ كُونِكَ عَلِيلاً؟ وأسرع المتكلم فأجاب على السؤال دون أن يُطرح عليه، أي: أنا عاشقٌ بعيد عن محبوبه.

فالسؤال عن سبب حدوث العلة المرضية هو سؤال عن السبب بوجه عام، إذ عادة الناس أنهم إذا قيل لهم: فلانٌ مريضٌ، قالوا: ما سبب مرضه؟.



**الثاني:** أن يكون سؤالاً عن سبب خاص.

مثل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: 53].

**فجملته:** ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ جملة مستأنفة وقعت جواب سؤال تثيره جملة: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي﴾، لقد سبق هذه الآية بيان أن يوسف عليه السلام قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: 52].

فبعد أن أعلن براءته من الخيانة، واعترفت امرأة العزيز بأنها هي التي راودته عن نفسه، تتساءل النفس قائلة: ما الذي جعل يوسف عليه السلام يقول: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي﴾ بعد أن ثبتت براءته وثبتت طهارته وعفته، فما هو السبب الخاص الذي جعله يقول هذا القول؟ وقد أسرع عليه السلام فأجاب على السؤال بقوله: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾<sup>(1)</sup>. والسوء الذي حدثته نفسه به ولم يعمل به هو همها بضربها بعد أن همت بضربه لما استعصم بالله، متعففاً عن الفاحشة<sup>(2)</sup>.

**الثالث:** أن تثير الجملة السابقة سؤالاً ما، لا عن السبب العام للحكم فيها، ولا عن السبب الخاص.

(1) نسبة ما في هاتين الآيتين إلى يوسف عليه السلام قول مرجوح، وقد بينا أن القول الراجح فيهما: أنهما من قول امرأة العزيز في كتاب: "مقابلات قصة يوسف عليه السلام"، وهو مطبوع.

(2) وهذا قول غير صحيح، وقد بينا بطلانه في الكتاب المشار إليه في التعليق السابق.

مثل ما جاء في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69]، إِنَّ مِنْ طَبِيعَةِ أَيِّ مَتَلَقٍّ لِلْقِصَّةِ أَنْ يَتَسَاءَلَ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ أَنَّ الرَّسُلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ جَاءُوهُ وَقَالُوا لَهُ سَلَامًا، فيقول في نفسه: فماذا أجابهم إبراهيم عليه السلام؟ فجاءت جملة: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ جواباً على هذا السؤال.

### ومنه قول الشاعر:

زَعَمَ الْعَوَاذِلُ أَنَّنِي فِي عَمْرَةٍ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَمَّرْتِي لَا تَنْجَلِي

إِنَّ الشَّطْرَ الْأَوَّلَ يَثِيرُ فِي النَّفْسِ سُؤلاً وَهُوَ: إِذَا كَانَ الْعَوَاذِلُ قَدْ زَعَمُوا أَنَّكَ فِي عَمْرَةٍ فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟ فَأَجَابَ عَلَى هَذَا التَّسْأُولِ بِقَوْلِهِ: "صَدَقُوا" وَزَادَ عَلَى قَوْلِهِمْ تَأْكِيداً بِقَوْلِهِ: "وَلَكِنْ عَمَّرْتِي لَا تَنْجَلِي" وَهَذَا مِنْ تَأْكِيدِ الشَّيْءِ بِمَا يُوْهِمُ فِي بَدَأَتِهِ خِلَافَهُ.

### 3- أن يكون بين الجملتين تباين تام، وهو "كمال الانقطاع".

فيجب فصل الجملة التالية عن الجملة السابقة، وعدم وصلها بالواو العاطفة، بشرط أن لا يؤدِّي ذلك إلى إيهام غير المقصود.

### وهذه الصورة تظهر في ثلاثة وجوه:

**الوجه الأول:** أن تختلف الجملتان السابقة والتالية خبراً وإنشاءً في لفظيهما

وفي دلالتيهما.

مثل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:9].



فالجملـة السابـقة ﴿وَأَقْسَطُوا﴾ إنشائية، مصدرّة بفعل أمر. والجملـة التالـية:  
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ خبريّة في لفظها وفي معناها.

وظاهر أنّ بين هاتين الجملتين "كمال انقطاع" فوجب فصلهما.

**الوجه الثاني:** أن تختلف الجملتان السابـقة والتالـية خبراً وإنشاءً في دلّيتهما،  
ولو لم تختلفا في لفظيهما؛ كأن تكون الأولى خبراً في لفظها ومعناها، والثانية خبراً  
في لفظها إنشاءً في معناها.

كأن تقول: نَجَحَ ابْنِي فِي امْتِحَانَاتِهِ كُلِّهَا، وَفَقَّهُ اللَّهُ.

فالأولى خبريّة لفظاً ومعنى، والتالـية خبريّة لفظاً إنشائية دعائيّة معنى.

**الوجه الثالث:** أن لا يكون بين الجملتين مناسبة ما في المعنى، ولا يوجد  
ارتباط ما بين المسند إليه فيهما، ولا بين المُسند.

**ومنه قول الشاعر:**

إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ

ومثل أن تُعدّد حكماً في موضوعات مختلفات لا ترابط بينها؛ كأن تقول: "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ - لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ - أَرْضُ مَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَعْنَى النَّاسِ - كَفَى بِالْمَوْتِ وَعَظْماً".

**4- أن يكون بين الجملتين شبه كمال الانقطاع.**

وهذا يكون حين تكون الجملـة التالـية مسبوقةً بجملتين يصح عطفها على

إحداهما، ولا يصحّ عطفها على الأخرى؛ لأنه يُفَسِّدُ المعنى المقصود للمتكلم، فيتركّ العطف، ويجب حينئذٍ الفصل؛ دفعاً لما قد يحدث من إيهام بالوصل بالواو.

وذكروا من أمثلة هذا القسم قول الشاعر:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا      بَدَلًا أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمِ

حيث لم يعطف جملة "أراها" على "تظن"؛ لئلا يدور في خلد السامع أنها معطوفة على "أبغي"؛ لقربها منها، فتكون من مظنونات "سلمى"، ويصير المعنى حينئذٍ: أن سلمى تظن: أنني أبغي بها بدلاً، وتظن أيضاً: أنني أراها تهيم في الضلال، وليس هذا مراده أن يقول: إن "سلمى" أخطأت في زعمها أنني أبغي بها بدلاً، بدليل قوله بعد هذا البيت أو قبله:

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا      عنها طلال باللوى ورسوم

ثانياً: مواضع الوصل:

تعطف الجملة الثانية على الأولى في مواضع:

1- إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي.

ومنه قول الشاعر:

وحُبُّ العيشِ أعبَدَ كلِّ حَرٍ      وعَلَمٌ ساغِبًا أكلَ المُرَّارِ

فالجمله الأولى: (أعبد كل حَر) في محل رفع خبر للمبتدأ: (حُبّ)، وأراد



الشاعر إشراك الثانية: (وعلم ساغبًا..) لها في الحكم الإعرابي، فعطفها عليها بالواو، والجملتان خبريتان فعليتان فعلهما ماض.

2- إذا اتفقتا خبرًا أو إنشاءً، وكانت بينهما جهة جامعة، أي: مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

ومن الأمثلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ \* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 14].

وقول الشاعر:

يُشَمِّرُ لِللُّجِّ عَن سَاقِهِ وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ

وقولك: جاء زيد وذهب عمرو، اقعد عن المكاره وانهض للمكارم.

3- إذا اختلفتا خبرًا وإنشاءً، وأوهم الفصل خلاف المقصود.

وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤال أدواته هل أو همزة التصديق مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية. ومن أمثلة ذلك:

1- لا، ولطف الله به. تقول ذلك في جواب من سألك: هل تحسنت صحة صديقك؟.

2- لا، وحفظك الله. تقول ذلك في جواب من سألك: ألك حاجة أقضيها لك؟.

ف "لا" في هذا الموضوع قائمة مقام جملة خبرية تقديرها في المثال الأولي: لم تتحسن صحته، وتقديرها في المثال الثاني: لا حاجة لي، وكل من جملتي: لطف الله به وحفظك الله جملة دعائية إنشائية. وقد كان الأمر يقتضي هنا الفصل بين الجملتين؛ لاختلافهما خبراً وإنشاءً، فيقال في المثال الأول: لا لطف الله به، وفي الثاني لا حفظك الله. ولكن الفصل على هذه الصورة يجعل السامع يتوهم أنك تدعو عليه، في حين أنك تقصد الدعاء له؛ ولذلك وجب العدول هنا عن الفصل إلى الوصل. وكذلك الحال في كل جملتين اختلفتا خبراً وإنشاءً وكان العطف بينهما يُوهم خلاف المقصود.

**ومثل ذلك أيضاً:** لا، وكفيت شره، لمن قال: هل ذهب عنك الزكام؟

ولا، وجزاك الله خيراً، لمن قال: هل تحتاج إلى شيء؟.





## شرح الأبيات

### مواضع الفصل:

68. إِنْ نُزِّلَتْ تَأْلِيَةً مِنْ مَاضِيَةٍ كَنَفْسِهَا أَوْ نُزِّلَتْ كَالْعَارِيَةِ

69. أَفْصَلُ.....

**يقول:** إن نُزِّلَتْ جملة من جملة قبلها منزلة نفسها؛ لكمال اتصالها بها، أو نزلت كنفسها لشبه كمال اتصالها بها، أو كانت الجملة عارية عن الاتصال، أو عارية عن جملة معطوف عليها، كما إذا أريد كمال الانقطاع بينهما، أو شبه كمال الانقطاع؛ فالواجب في هذه الوجوه الأربعة الفصل.

ففي هذا البيت ذكر الناظم **رَحْمَةً لِلَّهِ** مواضع الفصل وهي: كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال، وكمال الانقطاع، وشبه كمال الانقطاع، وفي أول البيت الثاني ذكر الحكم فيها وهو وجوب الفصل.

وقد ذكرنا - فيما قدمنا - التفصيل في هذه المواضع الأربعة، لكن نضيف إليها هنا بعض الأمثلة؛ لتزداد وضوحًا.

### 1- كمال الاتصال:

أ- توكيد الجملة الثانية للأولى؛ نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:2]، ف" لَا رَيْبَ فِيهِ " مؤكدة لما قبلها.

ب-إبدال الثانية من الأولى؛ نحو قول الشاعر:

أَقُولُ لَهُ ارْحَلْ لَا تَقِيمَنَّ عِنْدَنَا      وَإِلَّا فَكُنْ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ مُسْلِمًا

فقوله: "لا تقيمَنَّ" بدل اشتمال من قوله: "ارحل"، وقوله: "لا تقيمَنَّ" أوفى بتأدية المراد؛ لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد؛ إذ المقصود إظهار شدة الكراهية لإقامته بسبب خلاف سره العلن، وقوله: "لا تقيمَنَّ"، يحقق ذلك؛ لأنك إذا قلت: لا تقم عندنا، لم تقصد كفه عن الإقامة فحسب، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته<sup>(1)</sup>.

ج-كون الثانية معطوفة عطف بيان على الأولى؛ نحو: رأيت أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر.

## 2- شبه كمال الاتصال.

نحو: زيد باكٍ فقير الحال، كأن سائلاً سأل: لم هو باكٍ؟.

## 3- كمال الانقطاع.

نحو: سافر صديقي وفقه الله.

## 4- شبه كمال الانقطاع.

نحو قول الشاعر:

يَقُولُونَ إِنِّي أَحْمَلُ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ      أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ يُضَامَ نَظِيرِي

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 462)، أساليب بلاغية (ص: 190).



فقد فصل الشاعر جملة "أعوذ بربي" عن جملة "يقولون" مع جواز عطفها عليها؛ حتى لا يُتوهم عطفها على جملة "أحمل الضيم"، فتكون من مقولهم، وهي ليست منه، بل هي من كلام الشاعر<sup>(1)</sup>.

### مواضع الوصل:

69..... وَإِنْ تَوَسَّطَتْ فَالْوَصْلُ بِجَامِعٍ أَرْجَحُ.....

**يقول الناظم:** وإن توسطت الجملتان بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فالوصل واجب إن وجد الجامع بينهما، وإلا انتفى الوصل.

**وقول الناظم: (أَرْجَحُ):** خير للمبتدأ: **(فالوصلُ).**

وهذه اللفظة: **(أَرْجَحُ)** تشعر بوجود خلاف، وأن الوصل كان على الأرجحية، والفصل على المرجوحية، وهذا غير صحيح، بل الوصل في هذا الموضع متعين، وربما أراد الناظم بـأرجح: متعين؛ لعدم ملائمة الوزن لمتعين، والله أعلم.

ومن الأمثلة على الوصل: قوله تعالى: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: 31]؛ فالجامع بين الجمل: الاتحاد، وفي قولك: الصالحون سعداء، والطالحون أشقياء، الجامع بينهما: التضاد.

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 482).

**مجيء الجملة الحالية بالواو ومجيئها بدونها :**

..... ثم الفصل

70. للحالِ أَصْلُهَا قَدْ سَلِمًا      أَصْلٌ وَإِنْ مَرَجَّحَ تَحْتَمًا

ذكر الناظم هنا حكم الجملة الحالية بالواو وبدونها، فيقول: الفصل للحال أصل حسب أصلها وهو الأفراد- قبل أن تصير جملة- حيث سلم من دخول الواو، فإن وجد مرجح للوصل تحتم الوصل. والألف في (سَلِمًا) و(تَحْتَمًا) للإطلاق.

لقد ألحق بعض البلاغيين- كالرازي وعبد القاهر والسكاكي والقزويني وغيرهم- بباب الفصل والوصل هذه المسألة، وتكلموا عنها، **وسنلخص ذلك في الآتي (1):**

تجيء الحال مع الواو تارة وبدونها تارة أخرى، ونعني بالحال هنا: الحال المؤسسة لا المؤكدة.

**فالمؤسسة** (وتسمى المبينة أيضاً؛ لأنها تُذكرُ للتبين والتوضيح) هي: التي لا يُستفادُ معناها بدونها، نحو: (جاء خالدٌ راكباً)، وأكثر ما تأتي الحال من هذا النوع.

**والمؤكدة هي:** التي يُستفادُ معناها بدونها، وإنما يُؤتى بها للتوكيد. وهي ثلاثة

**أنواع:**

(1) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 142)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 308)، المطول (469)، مفتاح العلوم (ص: 272)، أساليب بلاغية (ص: 197)، جامع الدروس العربية (3/ 99).



1- ما يؤتى بها لتوكيد عاملها، وهي التي توافقه معنى فقط، أو معنى ولفظاً؛  
**فالأول:** نحو: (تَبَسَّم ضَاحِكًا)، ومنه قوله تعالى: وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ  
 مُفْسِدِينَ ﴿[الأعراف: 74].

**والثاني:** كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: 79].

2- ما يؤتى بها لتوكيد صاحبها، نحو: (جاء التلاميذ كلهم جميعاً)، قال  
 تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99].

3- ما يؤتى بها لتوكيد مضمون جملة معقودة من اسمين معرفتين جامدين؛  
 نحو: "هو الحق بيناً، أو صريحاً"، ومنه قول الشاعر:

أنا ابنُ دارةٍ معروفًا بها نسبي      وهلِ بدارةٍ يا للناسِ من عارِ

**وتوضيح ذلك في هذا الباب:**

أ- أن الجملة إذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها أن تجيء مع الواو، مثل:  
 جاء محمد وعمر وأمامه. ومنه: قول امرئ القيس:

أَيُّقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي      وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَثِيَابِ أَعْوَالِ

ومثال خلوها من الواو: قولهم: "كلمته فوه إلى في".

ب- إن كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال لم يصلح بغير الواو؛ مثل:  
 جاء محمد وهو راكب".

ج- إن كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفاً ثم كان قد قدم على

المبتدأ؛ مثل: عليه معطف؛ كثر فيها أن تجيء بغير واو. ومنه قول بشار:

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بَلَدَةً أَوْ نَكَرْتَهَا      خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِيِّ عَلَيَّ سَوَادٌ

فقوله: "على سواد" حال ترك فيها الواو؛ لأن جعل الاسم مرتفعاً بالظرف لاعتماده على ما قبله تكون الحال عليه مفردة لا جملة اسمية وحينئذ فلا يستنكر ترك الواو.

د- وإن كانت الجملة من فعل وفاعل، والفعل مضارع مثبت غير منفي لم يكذب يجيء بالواو مثل: جاء محمد يسعى أخوه بين يديه، أو جاء محمد يسعى، وعليه التنزيل والكلام، ومثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُنُّنَّ تَسْتَكْثِرُنَّ﴾ [المدثر: 6]، وقوله: ﴿وَسَيَجْنِبُهَا الْأَتَقَى \* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 17-18].

هـ- فإن دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم، فجاء بالواو، وبتركها كثيراً.

فمن مجيئه بالواو: قول مسكين الدارمي:

أَكْسَبْتَهُ الْوَرِقَ الْبَيْضَ أَبَا      وَلَقَدْ كَانَ وَلَا يَدْعَى لِأَبٍ

ومن مجيئه بغير الواو: قول الشاعر:

مَضُوا لَا يَرِيدُونَ الرُّوْحَ وَغَالَهُمْ      مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابُ جَرِينٍ عَلَى قَدَرٍ

- ومما يجيء بالواو وغير الواو: الماضي، وهو لا يقع حالاً إلا مع "قد"

مظهرة أو مقدرة.



مثل: "أتاني وقد جهده السير.

ومثال ما جاء بغير واو:

فأبوا بالرماح مكسّرات وأبنا بالسيفِ قد انحنينا





## الباب الثامن: الإيجاز والإطناب

هذا الباب الثامن هو الباب الأخير من أبواب المعاني، وهو باب ذو أهمية كبيرة في الكلام، بل لا يخلو الكلام عن أحد أقسامه الثلاثة.

والكلام ينقسم بالنظر إلى ألفاظه ومعانيه من جهة الكمية في الألفاظ إلى ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** الكلام المتّصف بالمساواة بين ألفاظه ومعانيه مع مطابقته لمقتضى الحال.

**القسم الثاني:** الكلام المتّصف بالإيجاز غير المُخِلِّ، مع مطابقته لمقتضى الحال.

**القسم الثالث:** الكلام المتّصف بالإطناب؛ لاشتماله على زيادة ذات فائدة، مع مطابقته لمقتضى الحال<sup>(1)</sup>.

و"مقام المساواة هو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنه. ومقام الإيجاز هو مقام حذف أحد المسندين أو المتعلقات. ومقام الإطناب هو مقام ذكر ما لا يحتاج إليه في أصل المعنى؛ كقصد البسط حيث الإصغاء مطلوب

(1) البلاغة العربية (2/7).



وكرعاية الفاصلة" (1).

**والبليغ هو الذي يضع كل قسم من هذه الأقسام في موضعه الصحيح.**

**وأما المعيب فهو:** الإيجاز المخل بالمقصود، ومجيء الإطناب بزيادة غير ذات فائدة لدى البلغاء؛ مثل الإسهاب والتطويل، ويكون ذلك بأن توجد ألفاظ مكررة مترادفة يمكن الاكتفاء بواحد منها، وكذلك الحشو؛ بأن يكون الكلام ليس فيه فائدة للمخاطب.

ومن ينظر في كلام العرب الأوائل يرى أنهم كانوا يفضلون الكلام الذي يناسب مقتضى الحال: إيجازاً أو إطناباً:

**فقد روي أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قال:** "يُخْتَصَرُ الْكِتَابُ لِيُحْفَظَ، وَيُبَسَّطُ لِيُفْهَمَ".

**وقيل لأبي عمرو بن العلاء:** "هل كانت العربُ تُطِيلُ؟ قال: "نعم، كانت تُطِيلُ لِيُسْمَعَ مِنْهَا، وَتُوجِزُ لِيُحْفَظَ عَنْهَا".

**وروي أن جعفر بن يحيى البرمكي قال:** "متى كان الإيجاز أبْلَغَ كانَ الإِكْثَارُ عِيًّا، وَمتى كانت الكِفَايَةُ بالإِكْثَارِ كانَ الإِيجازُ تَقْصِيرًا".

**وقال أحد الشعراء** يثني على خطباء إياد - كما ذكر الجاحظ -:

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطُّوَالَ وَتَارَةً      وَحَيِّ الْمَلَا حِظِّ خَشِيَةِ الرُّقَبَاءِ

**أي:** يخطبون تارةً خُطْبًا طَوَالًا، إِذَا كَانَتْ حَالُ الْمَخَاطِبِينَ تَقْتَضِي الإِطَالَةَ،

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 171).

ويوزون خطبهم تارةً أخرى إيجازاً يشبه وحي الملاحظ، والوحي: الكلام الخفي السريع، والملاحظ: جمع "ملحظ" وهو اللحظ أو موضعه من العين، واللحظ هو: النظر بطرف العين مما يلي الصدغ، ومن المعروف أن الناس قد يتفاهمون عن طريق اللحظ، وإشاراته خشية الرقباء<sup>(1)</sup>.

ولا يصل الواصلون إلى القدرة على هذه المطابقة إلا إذا اجتمعت لديهم عدة

### صفات منها:

**الأولى:** الاستعداد الفطري للتحكم بما يقولون.

**الثانية:** الثروة اللغوية الواسعة.

**الثالثة:** القدرة على حُسن الاختيار والانتقاء من الكلمات وأساليب التعبير.

**الرابعة:** الحكمة في ضبط مسيرة القول على منهج التوسع دون وكسٍ وشطط.

**الخامسة:** التدرُّب الطويل والممارسة، مع مُتَابَعَةِ النظر الناقد، والتمحيص

والتحسين<sup>(2)</sup>.

### تعريفات المقامات الثلاثة:

**أولاً: المساواة: لغة:** المماثلة والمعادلة، **يقال:** ساوى فلان فلاناً: ماثله

وعادله، وتساوى في كذا: تماثلا وتعادلا<sup>(3)</sup>.

(1) البلاغة العربية (2/ 8-9).

(2) البلاغة العربية (2/ 17).

(3) المعجم الوسيط (1/ 466)، القاموس المحيط (ص: 1297).



**اصطلاحًا:** أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض<sup>(1)</sup>.

**أو هي:** التطابق التام بين المنطوق من الكلام وبين المراد منه دون زيادة ولا نقصان<sup>(2)</sup>.

**ثانيًا: الإيجاز: لغة:** هو الاختصار، **وقولهم:** كلام موجز وخطبة موجزة، يراد به الاختصار. **والإيجاز في الكلام:** هو ضد العي فيه والإكثار، **وأوجز الكلام:** قل في بلاغة، **وأوجز في الأمر:** أسرع فيه ولم يطل، **وأوجز كلامه وفي كلامه:** قلله واختصره، **وأوجز العطية قللها وعجلها**<sup>(3)</sup>.

**اصطلاحًا:** اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل، مع الإبانة والإفصاح<sup>(4)</sup>.

**ثالثًا: الإطناب: لغة:** الإكثار والإطالة والمبالغة والزيادة، **يُقَال:** أطنب في الكلام أو الوصف أو الأمر: بالغ وأكثر، **وأطنب النهار:** طال مجراه، **وأطنبت الرياح:** اشتدت في غبار، **وأطنبت الدواب:** تبع بعضها بعضًا في السير<sup>(5)</sup>.

(1) علم المعاني (ص: 202).

(2) البلاغة العربية (2/7).

(3) الإبانة في اللغة العربية (1/142)، المعجم الوسيط (2/1014).

(4) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/49)، البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 498).

(5) المعجم الوسيط (2/567).

**اصطلاحًا:** أداء المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة<sup>(1)</sup>.

**وعرفه ابن الأثير بقوله:** زيادة اللفظ على المعنى، لفائدة.

فهذا حدّه الذي يميزه عن التطويل؛ إذ التطويل هو: زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأما التكرير فإنه دلالة على المعنى مرّدًا، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع؛ فإن المعنى مرّدٌ واللفظ واحد<sup>(2)</sup>.

**مجالات استعمال الأقسام الثلاثة<sup>(3)</sup>:**

**المساواة تستعمل في:**

- (1) مُتُونُ الْعُلُومِ الْمَحْرَّرَةِ.
  - (2) نُصُوصُ الْمَوَادِّ الْقَانُونِيَّةِ وَالتَّشْرِيْعِيَّةِ.
  - (3) نُصُوصُ الْمَعَاهِدَاتِ بَيْنَ الدُّوَلِ.
  - (4) الْقَرَارَاتِ وَالْمَرَامِيمِ.
  - (5) بَيَانَاتِ أَحْكَامِ الدِّينِ، وَمَطَالِبِ الشَّرِيعَةِ الْمَحْدَّدَةِ.
  - (6) بَيَانَاتِ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ.
- وغير ذلك مما يشبه هذه المجالات.

(1) التعريفات (ص: 29).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 120).

(3) ينظر: البلاغة العربية (2/ 13).



## استعمالات الإيجاز:

واستحسن الأدباء والبلغاء والعلماء الإيجاز في طائفة من مجالات القول،

منها:

- (1) الكتب الصادرة عن الملوك والرؤساء إلى الولاة والعمّال، ولا سيما في أوقات الحروب، وفي الشدائد والأزمات.
- (2) الأوامر والنواهي السلطانية.
- (3) كتب السلاطين بطلب الخراج وجباية الأموال وتدبير الأعمال.
- (4) كتب الوعد والوعد.
- (5) الشكر على النعم التي تُهدى، والعوارف التي تُسدى.
- (6) الاستعطاف وشكوى الحال.
- (7) استجداء حُسن النظر وشمول العناية.
- (8) الاعتذار، والتنصل من تُهمة الذنب وتبعاته.
- (9) العتاب بين المحبين والأصحاب.
- (10) مخاطبة الأذكى الذين يكفيهم اللّمح، وتُقنعهم الإشارة.
- (11) المواطن التي يحسن فيها الرّمز لإخفاء المقاصد عن غير من يوجّه له القول، من رقباء أو ذوي فضول.

استعمالات الإطناب: واستحسن الأدباء والبلغاء وذوو التجارب الإطناب

وبسط الكلام والإسهاب فيه، في عدّة مجالات من القول، منها ما يلي:

- (1) الحاجة إلى الإقناع في مشكلات القضايا الفكرية، وفي تعليم مسائل العلوم الدقيقة الخفية الصعبة الفهم.
- (2) الوعظ بالترغيب والترهيب، والتحسين والتزيين، والتنفير، والتقبيح، وسوق الأمثال والقصص.
- (3) الخطب في الحماسة، وفي إثارة مشاعر الحب أو الكراهية، وفي استجلاب الرضا، أو استثارة الغضب؛ وذلك لأنَّ تحريك العواطف واستثارتها يحتاج إطناباً، وبياناً مفصلاً مبسوطاً.
- (4) كتابة التاريخ وتدوين الحوادث.
- (5) الخطب في الصلح بين المتخاصمين، لإصلاح ذات البين، وتهديم ما في النفوس من ضغائن.
- (6) بعض مجالات المدح لمستحقِّيه؛ بغية دفع الممدوح للاستزادة من الخير، والالتزام بالبعد عما يُوجَّه لفاعله أو تاركه الذم بسببه.
- (7) تعبيرات العشاق والمحبين عن مشاعرهم وأشواقهم.
- (8) تعبيرات ذوي الأحزان والآلام عن مشاعرهم.
- (9) كتب الصكوك والعقود في البيوع والمداينات ونحوها؛ إذ ينبغي فيها التفصيل الدقيق، لأمن الخلاف والتلاعب.





## شرح الأبيات

**اقتصر الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ** على مبحثي الإيجاز والإطناب، ولم يذكر مبحث المساواة، ولعل سبب ذلك: العلم بها مما ذكر في حدي الإيجاز والإطناب، وأيضاً لقلة الأبحاث المتعلقة بها.

ولعل هناك سبباً آخر مشهوراً هو رأي ابن الأثير والسكاكي والطبي وجماعة خالفوا فيه الجمهور في التقسيم الثلاثي؛ حيث رأوا أن القسمة ثنائية، وهي: الإيجاز والإطناب فقط، وليس بينهما واسطة تسمى المساواة، فما سماه الجمهور عندهم مساواة أدخلوه في الإيجاز. **وقد سماه ابن الأثير: الإيجاز بالتقدير**، حيث قال: "فأما الإيجاز بالتقدير، فإنه الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها" (1).

**قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:**

71. تَوْفِيَةُ الْمَقْصُودِ بِالنَّقْصِ مِنْ لَفْظِ لَهُ الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ إِنَّ

72. بَزَائِدٍ عَنْهُ.....

(1) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 260)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 579)، علم المعاني (ص: 202)، البلاغة العربية (2/ 18)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 182)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 509).

عرف الناظم الإيجاز والإطناب؛ فقال في الإيجاز: توفية المقصود بلفظ ناقص

عنه.

فقوله: **(تَوْفِيَةٌ)**: من أوفى فلاناً حقه توفية: أعطاه إياه وافيّاً تامّاً، وأوفاه: أكمله، وتَوَفَّيْتُ الْمَالَ مِنْهُ وَاسْتَوْفَيْتَهُ إِذَا أَخَذْتَهُ كُلَّهُ. **ووفى الشيء**: أداه، وَهَذَا الشَّيْءُ لَا يَفِي بِذَلِكَ أَي: يقصر عنه وَلَا يوازيه<sup>(1)</sup>، و**(تَوْفِيَةٌ)** هنا: خبر مقدم، والمبتدأ هو قوله: **(الإيجاز)**.

**(المَقْصُود)** يعني: المعنى المراد **(بالناقص)**: صفة لموصوف محذوف أي: اللفظ الناقص **(لَهُ)** الضمير يعود على المقصود، فيكون الإيجاز بعد هذا هو: التعبير عن المعنى المراد بلفظ ناقص عنه وافٍ به لفائدة.

وأما الإطناب فقال فيه: **(والإطنابُ إنْ بزائدٍ عنه)** يعني: الإطناب هو: التعبير عن المعنى المراد بلفظ زائد عنه لفائدة.

فقوله: **(إن)**: شرطية، وفعالها محذوف تقديره: إن أدّى **(بزائدٍ)** الجار والمجرور متعلق بفعل الشرط المحذوف، والباء داخلة على موصوف محذوف تقديره: بلفظ، أي: بلفظ زائد **(عنه)** الضمير يعود على المعنى المراد.

فإذا أدى المعنى المراد بلفظ زائد عنه لأجل فائدة مقصودة فهو إطناب، وإن كان لغير فائدة فهو حشو وتطويل.

(1) تاج العروس (220 / 40)، لسان العرب (400 / 15)، المعجم الوسيط (2 / 1047).



## أنواع الإيجاز:

72. ..... وَضَرْبًا الْأَوَّلِ قَصْرٌ وَحذفُ جُمْلَةٍ أَوْ جَمَلٍ

73. أَوْ جُزْءِ جُمْلَةٍ .....

(وَضَرْبًا) مثنى ضَرْبٍ، وهو الصنف والنوع (الأوَّل) يعني: الإيجاز.

فقد قسم الناظم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، وقسم إيجاز الحذف إلى ثلاثة أقسام: حذف جملة، حذف جمل، حذف جزء جملة.

## وبيان ذلك في الآتي:

أولاً: إيجاز القصر: وهو: ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف<sup>(1)</sup>.

وعرفه القزويني بقوله: "وهو ما ليس بحذف".

ومثل عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: 179]؛ فإنه لا حذف فيه مع أن معناه كثير يزيد على لفظه؛ لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قتل قُتِلَ كان ذلك داعياً له قوياً إلى أن لا يقدم على القتال، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، فكان ارتفاع القتل حياة لهم.

وفضل هذا اللفظ القرآني على المثل المشهور عند العرب: "القتل أنفى للقتل" من وجوه عديدة..<sup>(2)</sup>.

(1) علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 188).

(2) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 181).

**ولإيجاز القصر أسباب منها:** اختيار الألفاظ والتعبيرات الكليّة، ذوات الدلالات العامّة الشاملات. **السبب الثاني:** الاستغناء عن التفصيلات الكثيرات بالأمثال والتشبيهات التي تدلّ فيها الأشباه والنظائر على مقابلاتها؛ إذ يدلّ الممثل به الجامع لصورٍ وصفاتٍ ومعانٍ كثيرة على صورٍ وصفاتٍ ومعانٍ موجودةٍ في الممثل له. **السبب الثالث:** الاستغناء بما تعطيه اللّوازم الفكرية لعبارة، عن ذكر كلامٍ ذي دلالاتٍ مباشراتٍ تدلّ بالمطابقة على هذه اللّوازم<sup>(1)</sup>.

**ثانيًا: إيجاز الحذف<sup>(2)</sup>:** وهو: "التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني. ولا بد في كل حذف من وجود أمرين: داع يدعو إليه، وقرينة تدل على المحذوف وترشد إليه وتعيّنه"<sup>(3)</sup>.

**قال ابن الأثير:** "والأصل في المحذوفات جميعها -على اختلاف ضروبها-: أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه، ولا سبب. ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة: أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث، لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن"<sup>(4)</sup>.

**والفرق بين إيجاز الحذف وإيجاز القصر:** أن إيجاز الحذف هو "ما يكون

(1) البلاغة العربية (2/32)، وقد فصل الشيخ جبنكة هذه الأسباب الثلاثة قبل أن يذكر هذا الملخص.

(2) وللحذف فوائد وشروط، تنظر في: البلاغة العربية (2/40) وما بعدها.

(3) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 501).

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/220).



بحذف شيء من أصل الكلام. لا يقال: إيجاز القصر فيه أيضًا حذف لكلام كثير؛ لأن إيجاز القصر يؤتى فيه بلفظ قليل، يؤدي معنى لفظ كثير غيره. وإيجاز الحذف يُترك فيه شيء من ألفاظ التركيب الواحد، مع إبقاء غيره بحاله<sup>(1)</sup>.

### وإيجاز الحذف ثلاثة أقسام:

**الأول: حذف جملة؛** كقوله تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: 8]. "أي: فعل ما فعل"<sup>(2)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء: 63]، **التقدير:** فضرب موسى فانفلق.

**الثاني: حذف جمل،** وهذا كثير في القصص القرآني؛ كقوله تعالى: ﴿أَنَا أُنبئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ...﴾ [يوسف: 45-46] "أي: فأرسلوني إلى يوسف؛ لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه وقال له: يا يوسف"<sup>(3)</sup>.

**الثالث: حذف جزء جملة،** وهذا قد يأتي في حذف حرف، أو فعل، أو اسم:

ففي حذف الحرف: حذف حرف النداء؛ نحو: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: 46].

**وفي حذف الفعل:** -وهو كثير جداً-<sup>(4)</sup>؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: 13]. أي: احذروا.

وفي حذف الاسم يحذف: المبتدأ أو الخبر، والمضاف أو المضاف إليه،

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (591/1).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (191/3).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (192/3).

(4) وقد فصل ابن الأثير حذف الفعل، فينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/233).

والصفة أو الموصوف، والمفعول، والتمييز، والحال، والمستثنى، والمعطوف عليه، والمبدل منه، وغير ذلك.

### ما يدل على الحذف:

73..... وما يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنْوَاعٌ وَمِنْهَا الْعُقْلُ

**يعني:** والذي يدل على الحذف أو المحذوف أنواع كثيرة منها العقل.

**فمن أمثلة دليل العقل:** قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء:23]، وقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة:3]؛ فإن العقل يدل على الحذف، والمقصود الأظهر يرشد إلى أن التقدير: حرم عليكم تناول الميتة، وحرم عليكم نكاح أمهاتكم؛ لأن الغرض الأظهر من هذه الأشياء تناولها، ومن النساء نكاحهن.

**ومن ذلك أيضاً:** أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين، ومنه: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ﴾ [يوسف:32]؛ فقد دل العقل على الحذف؛ لأن الإنسان إنما يلام على كسبه، فيحتمل أن يكون التقدير: في حبه؛ لقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:30]، وأن يكون: في مرادته؛ لقوله: ﴿تَرَاوَدُّ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف:30]، وأن يكون في شأنه وأمره فيشملهما، والعادة دلت على تعيين: المرادة؛ لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلبته، وإنما يلام على المرادة الداخلة تحت كسبه التي يقدر أن يدفعها عن نفسه.

**ومن ذلك أيضاً:** أن تدل العادة على الحذف والتعيين؛ كقوله تعالى: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ﴾ [آل عمران:167]، مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحروب، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها؟! فلا بد من حذف قدره مجاهد **رَحِمَهُ اللَّهُ:** مكان قتال،



أي: أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال، ويخشى عليكم منه، ويدل عليه أنهم أشاروا إلى رسول الله أن لا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء.

**ومن ذلك أيضاً:** الشروع في الفعل؛ كقول المؤمن: "بسم الله الرحمن الرحيم"، كما إذا قلت عند الشروع في القراءة: "بسم الله"؛ فإنه يفيد أن المراد بسم الله أقرأ، وكذا عند الشروع في القيام والقعود أو أي فعل كان؛ فإن المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبدأ له.

**ومن ذلك أيضاً:** اقتران الكلام بالفعل؛ فإنه يفيد تقديره؛ كقولك لمن أعرس: بالرفاء والبنين<sup>(1)</sup>؛ فإنه يفيد: بالرفاء والبنين أعرست<sup>(2)</sup>.

(1) **والحكم الشرعي لهذه العبارة:** أنها عبارة متهنتة جاهلية؛ لذلك لا يجوز قولها؛ فعن الحسن قال: تَزَوَّجَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جَثْمٍ، فَقِيلَ لَهُ: بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ، قَالَ: قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، وَبَارَكَ لَكُمْ)، رواه أحمد (1738)، وابن أبي شيبه (17212)، وعبد الرزاق (10457)، والبزار (2172)، والدارمي (2219)، والنسائي (3371)، والطبراني في الكبير (512)، والحاكم (6468)، وصححه الألباني والأرناؤوط.

**قال ابن القيم:** "وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ يَقُولُونَ فِي تَهْنِئَتِهِمْ بِالنِّكَاحِ: بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ. وَالرِّفَاءُ: الْإِلْتِحَامُ وَالْإِتِّفَاقُ، أَي: تَزَوَّجْتَ زَوْجًا يَحْصُلُ بِهِ الْإِتِّفَاقُ وَالْإِلْتِحَامُ بَيْنَكُمَا، وَالْبَيْنُونَ فِيهِنُونَ بِالْبَيْنِ سَلْفًا وَتَعْجِيلًا. وَلَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْنِيَ بِالابْنِ وَلَا يَهْنِيَ بِالْبِنْتِ، بَلْ يَهْنِيُ بِهِمَا، أَوْ يَتْرِكُ التَّهْنِئَةَ؛ لِيَتَخَلَّصَ مِنْ سُنَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ كَانُوا يَهْنِئُونَ بِالابْنِ، وَبَوَفَاةِ الْبِنْتِ، دُونَ وَوَلَادَتِهَا. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمُنْذِرِ فِي الْأَوْسَطِ: رَوَيْنَا عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ قَدْ وُلِدَ لَهُ غُلَامٌ فَقَالَ لَهُ: يَهْنِكِ الْفَارِسُ. فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: مَا يَدْرِيكَ: فَارِسٌ هُوَ أَوْ حِمَارٌ! قَالَ: فَكَيْفَ نَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ: يَبْرُكُ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ، وَشَكَرْتَ الْوَاهِبِ، وَبَلَغَ رَشْدَهُ، وَرَزَقْتَ بَرَّهُ"، تحفة المودود بأحكام المولود (ص: 29).

(2) الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 194).

## من صور الإطناب:

74. وَجَاءَ لِلتَّوَشِيْعِ بِالتَّفْصِيْلِ ثَانٍ وَالاعْتِرَاضِ وَالتَّذْيِيلِ

قوله: (ثَانٍ) أي: الإطناب؛ لأن الأول الذي ذكره هو الإيجاز. و"ثَانٍ" هنا: فاعل  
قوله: "وَجَاءَ" مرفوع به، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة المعوض  
عنها التنوين (بِالتَّفْصِيْلِ) تقديره: وجاء ثان وهو الإطناب بالتفصيل للتوشيع.

وفي هذا البيت ذكر الناظم أن الإطناب يأتي بأمر، ذكر منها ثلاثة، وهي:

1- التوشيع، وهو: أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين: أحدهما  
معطوف على الآخر كما جاء في الخبر: "يشيب ابن آدم، ويشب فيه خصلتان:  
الحرص، وطول الأمل<sup>(1)</sup>.

## وقول الشاعر:

وَلَا يُقِيمُ عَلَيَّ ضَمِيمٌ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ: عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ

قال ابن السبكي: "التوشيع) هو في اللغة: لف القطن بعد الندف"<sup>(2)</sup>.

وقال التفتازاني: "ويسمى هذا توشيعاً؛ لأن التوشيع: لف القطن المندوف،  
وكأنه يجعل التعبير عن المعنى الواحد بالمثنى المفسر باسمين بمنزلة لف القطن  
بعد الندف"<sup>(3)</sup>.

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 199).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (1/ 606).

(3) المطول (494).



2- **الاعتراض**، وهو: أن يوتى في أثناء الكلام الواحد أو بين كلامين متصلين في المعنى، بأن يكون ثانيهما تأكيداً لأولهما، أو بياناً له أو بدلاً أو معطوفاً بجمله أو أكثر، لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى دفع الإيهام؛ وذلك كالتنزيه في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: 57]، فجملة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ جملة اعتراضية، الغرض منها تنزيهه تعالى عن اتخاذ البنات، و"سبحان" جملة؛ لأنها واقعة موقع المصدر الذي هو التنزيه، والمعنى: أنزهه تنزيهاً<sup>(1)</sup>.

ومنه: قول النابغة:

أَلَا زَعَمْتَ بِنُوعِ عَيْسٍ بَائِيٍّ - أَلَا كَذَبُوا - كَيْبُرُ السِّنِّ فَانِي

فقوله: "أَلَا كَذَبُوا": اعتراض بين أول الكلام وآخره، وفيه زيادة مبالغة كما أرادته<sup>(2)</sup>.

3- **التذييل**، وهو: تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها تأكيداً لمنطوقها، أو لمفهومها، وينقسم إلى قسمين:

**القسم الأول:** ما يجري مجرى المثل، وهو ما استقل معناه واستغنى عما قبله؛ مثل قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

**فجملة:** ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ تتضمن معنى الجملة التي جاءت قبلها،

(1) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 519).

(2) الدر الفريد وبيت القصيد (1/220).

فهي إطناب على طريقة التذييل، وعبارتها ممّا يجري مجرى المثل، وهي تُؤكّد منطوق الجملة التي جاءت قبلها.

**القسم الثاني:** ما لا يجري من التذييل مجرى المثل، وهو ما لا يستقلّ معناه عمّا قبله؛ كقول ابن بُبَاة السَّعْدِي:

لَمْ يُتَّقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أُمَّلُهُ تَرَكَتْنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

فالشرط الثاني من هذا البيت تذييل أكّد مفهوم الشرط الأول، وهو ليس ممّا يجري مجرى المثل (1).

ويختلف "التذييل عن الإيغال: أن الإيغال يكون بالجملة وبغير الجملة، أما التذييل فلا يكون إلا بالجملة، والإيغال يفيد التوكيد وغيره من الأغراض التي يأتي لها، أما التذييل فهو للتوكيد خاصة" (2).

هذا ما ذكره الناظم ممّا يأتي به الإطناب، وهنا أمور أخرى، منها:

1- ذكر الخاص بعد العام؛ كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ

الْوُسْطَى﴾ [البقرة: 238].

2- ذكر العام بعد الخاص؛ لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص لتقديمه؛

كقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: 28].

(1) البلاغة العربية (2/ 86).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 517).



3- التكرار لداعٍ. كالتقرير لمعنى في النفس؛ كما في الخطب.

ومثل التحسر؛ كقول الشاعر:

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ      مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَوْضِعًا  
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ      وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا

4- الإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن المخاطب؛ كقوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 66].

"ففي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له" (1) "فسر ذلك الأمر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾، وفي إبهامه أولاً، وتفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر، وتعظيم لشأنه؛ فإنه لو قال: وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع، لما كان بهذه المكانة من الفخامة؛ فإن الإبهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكير، واستعظام لما قرع سمعه، وتشوف إلى معرفته، والاطلاع على كنهه" (2).

5- طول الفصل؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ

أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [آل عمران: 188].

فكر "لا تحسبن" لطول الفصل بين الأول ومتعلقه وهو ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ من العذاب، وخشية أن يكون الذهن قد غفل عما ذكر أولاً.

وقول الشاعر:

(1) الإيضاح في علوم البلاغة (3/ 197).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 160).

لقد علم الحي اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أني خطيها

ففي البيت كررت "أنى" لطول الفصل بين اسم "أننى" الأولى وخبره<sup>(1)</sup>.

6- التكميل، ويسمى الاحتراس أيضًا، وهو: أن يؤتى في كلام يوهم خلاف

المقصود بما يدفعه، وهو ضربان:

**ضرب يتوسط الكلام؛ كقول طرفة:**

فسقى ديارك - غير مفسدها - صوب الريع وديمة تهمي

**وقول الآخر:**

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن - عند موفق - لقضى لها

**إذ التقدير:** "عند حاكم موفق"؛ فقوله: "موفق" تكميل.

**وقول ابن المعتز:**

صبينا عليها - ظالمين - سيطنا فطارت بها أيدٍ سراعٍ وأرجلُ

**وضرب يقع في آخر الكلام؛** كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54]؛ فإنه لو اقتصر على

وصفهم بالذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلتهم لضعفهم، فلما قيل: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى

الْكَافِرِينَ﴾ علم أنها منهم تواضع لهم؛ ولذا عدي "الذل" بـ "على" لتضمينه معنى

العطف، كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، ويجوز أن تكون

(1) علم المعاني (ص: 192).



التعدية بـ "على"؛ لأن المعنى أنهم - مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين - خافضون لهم أجنتهم<sup>(1)</sup>.

7- "الإيغال، وهو: ختم الكلام شعراً أو نثراً بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونه،

كما في قول الخنساء:

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقولها: "في رأسه نار" إطناب؛ لأنها شبيهت أخاها صخرًا بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف، ووجه الشبه هو الاهتداء في كل، وقد تم التشبيه عند قولها: "كأنه علم" فختمت البيت بما يفيد قوة المبالغة في التشبيه؛ إذ النار في رأس الجبل تزيده وضوحًا وانكشافًا، وهذا ادعى لتمام الهداية وكمالها<sup>(2)</sup>.



(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 355).

(2) البلاغة 2 - المعاني - جامعة المدينة (ص: 516).





## علم البيان

### فصل تمهيدي

#### التعريف:

**البيان لغة:** الكشف والفصاحة والوضوح والظهور، يقال لغة: بَانَ الشيءُ بيانًا إذا اتَّضَحَ وظهر؛ قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 4]<sup>(1)</sup>.

**اصطلاحًا:** هو: علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال<sup>(2)</sup>.

**وبمعنى آخر هو:** علم يبحث في كَيْفِيَّاتِ تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الْوَاحِدِ بِطُرُقٍ تَخْتَلِفُ فِي وَضُوحِ دَلَالَاتِهَا، وَتَخْتَلِفُ فِي صُورِهَا وَأَشْكَالِهَا وَمَا تَتَّصِفُ بِهِ مِنْ إِبْدَاعٍ وَجَمَالٍ، أَوْ قُبْحٍ وَابْتِدَالٍ<sup>(3)</sup>.

**وكانه يريد القول بأن البيان هو:** إيراد المعنى مرّة بطريق التشبيه، وإيراده ثانية بطريق المجاز، وثالثة بطريق الكناية، وهكذا.

**"فالبيان بداءة:** الإفصاح والوضوح والقدرة على التّصرّف في الكلام وتصريفه

(1) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 70)، مختار الصحاح (ص: 43)، البلاغة

1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 21)، البلاغة العربية (2/ 125)، علوم البلاغة

«البديع والبيان والمعاني» (ص: 138).

(2) الإفصاح في علوم البلاغة (1/ 52).

(3) البلاغة العربية (2/ 125).

في وجوه شتى؛ ولهذا أضيف إلى الإفصاح شرط الذكاء والذائقة الفنيّة لاكتشاف المعنى أو لتحليل الصورة. فالبيان إذاً لا يكتفي بإظهار المعنى المباشر، بل يطلب من المتذوّق أن يكتشف بذكائه معنى المعنى.

ومن هنا كان للتخييل دور أساسي في صنع الصورة البيانيّة التي تخاطب بدورها ذكاء المتلقّي وثقافته وذائقته الفنيّة. والبيان من الكلام العالي، أي: أنّه لا يبحث عن الفصيح فحسب، بل هو يتوخّى الأفصح والأعلى؛ ففيه التفنّن في إلباس الصورة الشعرية لباس الغموض الفنّي ببعدها عن المباشرة، ومطالبتها المتلقّي بتحليل عناصرها؛ تمهيداً لاكتشاف كنهها وجوهرها<sup>(1)</sup>.

### موضوعه ووضعه وثمرته :

#### موضوعه :

موضوع هذا العلم: الألفاظ العربية، من حيث: التشبيه، والمجاز والكناية.

#### وضعه :

وضعه: "أبو عبيدة، الذي دونّ مسائل هذا العلم في كتابه المُسمّى "مجاز القرآن"، وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر، فأحكم أساسه، وشيّد بناءه، ورتّب قواعده، وتبعه الجاحظ، وابن المعتز، وقدامة، وأبو هلال العسكري"<sup>(2)</sup>.

(1) علوم البلاغة «البدیع والبیان والمعانی» (ص: 138).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع (ص: 217).



**ثمرته:**

**وثمرته:** "الوقوف على أسرار كلام العرب مشوره ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم الذي حار الجن والإنس في محاكاته وعجزوا عن الإتيان بمثله"<sup>(1)</sup>.

**موضوعات هذه العلم:****تتلخص في ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول:** التشبيه. **الفصل الثاني:** المجاز. **الفصل الثالث:** الكناية.

**نقول:** ينبغي أن يُعلم أن الله آتى الإنسان قُدْرَةً فَائِقَةً عَلَى التَّعْبِيرِ عَمَّا يَرِيدُ مِنْ مَعَانٍ ذَهْنِيَّةٍ، وَمَشَاعِرِ نَفْسِيَّةٍ عَنْ طُرُقٍ أُخْرَى غَيْرِ طَرِيقِ الْأَوْضَاعِ اللَّغْوِيَّةِ الَّتِي وُضِعَتْ بِهَا الْمَفْرَدَاتِ وَالْعِبَارَاتِ لِتُدَلَّ دَلَالَةً مُبَاشِرَةً عَلَيْهَا، فَهُوَ يَحْتَالُ لِلتَّعْبِيرِ عَمَّا يَرِيدُ التَّعْبِيرِ عَنْهُ مِنْ خِلَالِ مَا تُسَعِّفُهُ بِهِ ذَاكِرْتُهُ مِنْ مَفْرَدَاتٍ وَعِبَارَاتٍ بِوَاحِدٍ فَأَكْثَرَ مِنَ الطُّرُقِ التَّالِيَةِ:

**الطريق الأول:** طريق التَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ، وَاسْتِخْدَامِ النَّظِيرِ لِيَدُلَّ عَلَى نَظِيرِهِ.

**الطريق الثاني:** طريق اللُّوْازِمِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تُدْرِكُهَا الْأَذْهَانُ لَدَى إِدْرَاكِ أَشْيَاءٍ تَسْتَدْعِيهَا بِاللُّزُومِ الذَّهْنِيِّ، فَيَذْكُرُ الْأَلْفَاظَ الدَّالَّةَ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مُشِيرًا بِهَا إِلَى لَوَازِمِهَا الذَّهْنِيَّةِ؛ كَطَوْلِ الثَّوْبِ الَّذِي يَسْتَدْعِي بِاللُّزُومِ الذَّهْنِيِّ طَوْلَ لَابِسِهِ، وَكَرُؤِيَّةِ النُّجُومِ رُؤِيَّةً وَاضِحَةً الَّتِي تَسْتَدْعِي بِاللُّزُومِ الذَّهْنِيِّ كَوْنِ هَذِهِ الرُّؤْيَا حَاصِلَةً فِي اللَّيْلِ، وَهَذَا مَا يُسَمَّى بِالْكِنَايَةِ.

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 217).

**الطريق الثالث:** طريق ذكر أشياء يُنبه ذِكْرُهَا عَلَى أشباهها، أو أضدادها، أو ما يخالفها، فيكون ذِكْرُهَا مشيراً بتعريض إلى تِلْكَ الأشباه أو الأضداد أو المخالفات، وهذا ما يُسَمَّى بالتعريض.

**الطريق الرابع:** طريق استخدام لفظٍ مكان لفظ آخر صالح لأن يَدُلَّ على معناه لعلاقة بينهما، وهذا ما يُسَمَّى بالمجاز.

وفتحت هذه الحيل التعبيرية آفاقاً واسعة جداً لانتقاء صورٍ جماليةٍ لا تُحصى، يتحقق بها الغرضان المهمان من أغراض الكلام وهما:

**الغرض الأول:** إفهام المتلقي ما يريد المتكلم التعبير عنه.

**الغرض الثاني:** إمتاعه بصورٍ جماليةٍ يشتمل عليها الكلام؛ ولهذا الإمتاع تأثيرٌ في النفوس، وقد يكون وسيلة لقبول المضمون الفكري الذي دلَّ عليه الكلام، ولاعتقاده، وللعمل بمقتضاه.

وقد اهتم علماء البلاغة بشرح وتفصيل هذه الطرق الأربعة، في دراسة واسعة وضعوها ضمن إطار علم أسموه "علم البيان" إذ تبرز في هذه الطرق مهارات المتكلمين في الإبانة عما يريدون التعبير عنه، مقرونةً هذه الإبانة بصورٍ جماليةٍ ذات تأثير في النفوس، وإمتاع للأذهان، ورياضةٍ بديعة للأفكار<sup>(1)</sup>.



(1) البلاغة العربية (2/ 123).





## الفصل الأول: التشبيه

**التشبيه لغة:** التمثيل، وهو مصدر مشتق من الفعل شبّه بتضعيف الباء، يقال: شبّهت هذا بهذا تشبيهاً، أي: مثلته به<sup>(1)</sup>.

**اصطلاحاً:** "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه"<sup>(2)</sup>.

**يقول ابن رشيق:** "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه؛ ألا ترى أن قولهم: "خذ كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه، وخضرة كوائمه، وكذلك قولهم: "فلان كالبحر، أو كالليث" إنما يريدون كالبحر سماحة وعلماً.. ففوق التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت"<sup>(3)</sup>.

(1) الكليات (ص: 270)، المعجم الوسيط (1/ 471)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر

(2) علم البيان (ص: 61).

(3) علم البيان (ص: 62).

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (1/ 286).

## قيمة التشبيه:

"التشبيه فنٌ جميل من فنون القول، وهو يدلُّ على دقَّة ملاحظة الأشياء والنظائر في الأشياء، سواءً أكانت مادّيات تدرك بالحواس الظاهرة، أو معنويات، حتى الفكريات المحضّة؛ إذ ينتزع منها لمّا حو عناصر التشابه بين الأشياء التي تدخل في حدود ما يُعلّم ولو لم يكن له وجودٌ خارج الأذهان، فيجدون بينها أجزاء يشبه بعضها بعضاً، على سبيل التطابق أو التقارب، فيعبّرون عمّا لاحظوه من تشابه يشبه بعضها بعضاً، على سبيل التطابق أو التقارب، فيعبّرون عمّا لاحظوه من تشابهٍ بعبارات التشبيه، ويحسّن في ذوقهم الأدبي أن يشبّهوا ذا الصفة الخفيّة بذي الصفة الجليّة؛ نظراً إلى وجود جنس هذه الصفة أو نوعها فيهما، وأن يشبّهوا ذا الصفة الجليّة بذي الصفة الأجلي، وأن يشبّهوا ذا الصفة الأقل أو الأضعف أو الأدنى بذي الصفة الأكثر، أو الأقوى، أو الأعلى؛ نظراً إلى التشابه في عين هذه الصفة أو نوعها أو جنسها فيهما.

ويُقصد التشبيه لتحقيق غرض بيانيّ فكريّ أو جماليّ، أو فكريّ وجماليّ معاً.

ونزوع الأنفس إلى التشبيه هو إحدى فطرها التي فطرها الله عليها، مع قصور التعبيرات ذوات الدلالات المباشرة عن أداء المعاني المرادة أحياناً كثيرة. لهذا نجد التشبيه موجوداً لدى كلّ الأمم والشعوب، وفي كلّ لغات الناس فصيحها وعامّيها.



**قال المبرّد:** "التشبيه جارٍ كثيراً في كلام العرب، حتّى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يُعِدْ"<sup>(1)</sup>.

### دواعي التشبيه:

يرجع اختيار أسلوب التشبيه في الكلام إلى الدواعي **الرئيسة التالية:**

**الداعي الأوّل:** استخدام الأسلوب غير المباشر للتعبير عن المراد؛ إذ هو أكثر تأثيراً في النفوس من الأسلوب المباشر غالباً، وذلك في المجالات الأدبيّة، وفي الموعظة، وفي كثير من صُور الإقناع، وفي نحو ذلك.

**الداعي الثاني:** ما في التشبيه من طُرُق متعدّدة، وصورٍ كثيرة، تُعطي المعبرّ البليغ مجالاً واسعاً لانتقاء ما يراه أكثر تأثيراً فيمن يوجّه له الكلام، أو أكثر إبداعاً، وهذا أمرٌ يشعر فيه المتكلّم بلذّة الإبداع والابتكار وإيجاد ما لم يُسبَق إليه، وهي نزعة موجودة في طبائع الناس الفطريّة، تنمو عند الأذكياء والعباقرة، وتضمّر عند غيرهم.

**الداعي الثالث:** ما في كثير من الصُّور التشبيهيّة من جمالٍ يُرضي أذواق المتلقّين ويُمْتِعهم؛ إذ يُقدّم لهم لوحاتٍ جماليّة مختلفة:

فمنها ما تنتزعه الذاكرة اللَّمّاحة من الطبيعة الجميلة في المدركات الحسيّة كما هو، فيقيس الفكر عليه، ويشبه به.

ومنها ما يجمع الفكر عناصره من الطبيعة، ويؤلّف الخيال بين هذه العناصر

(1) البلاغة العربية (2/ 165).

تأليفاً مبتكراً في صورة، ثم يقيس الفكر عليها ويشبه بها<sup>(1)</sup>.

### أركان التشبيه :

#### تواضع البلاغيون على أن للتشبيه أربعة أركان هي :

1 - **المشبه**: وهو الركن الرئيس في التشبيه، تخدمه الأركان الأخرى، ويغلب ظهوره، لكنّه قد يضمّر للعلم به على أن يكون مقدّراً في الإعراب، وهذا التقدير بمنزلة وجوده. مثاله قول عمران بن حطان مخاطباً الحجاج:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر

فلفظ "أسد" خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنت، وعليه يكون المشبه ضميراً مقدّراً في الإعراب، وهو مائل في المعنى وإن لم يظهر بلفظه.

2 - **المشبه به**: تتضح به صورة المشبه، ولا بدّ من ظهوره في التشبيه.

يشارك مع المشبه في صفة أو أكثر إلا أنّها تكون بارزة فيه أكثر من بروزها في المشبه.

ويسمّى المشبه والمشبه به طرفي التشبيه.

3 - **وجه الشبه**: هو: الصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به، وتكون في المشبه به أقوى وأظهر مما هي عليه في المشبه.

4 - **أداة التشبيه**: هي: كل لفظ دلّ على المشابهة، وقد تكون:

(1) البلاغة العربية (2/ 167).



حرفاً: كالكاف.

اسماً: شبه، مثل.

فعالاً: يشابه، يماثل، يحاكي، وماضيها<sup>(1)</sup>.

### أقسام التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه:

أولاً: باعتبار الأداة: يقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى:

1- التشبيه المرسل، وهو: التشبيه الذي ذكرت فيه أداة من أدوات التشبيه.

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَيْتٍ نَسَجَهُ مِنْ عَنكَبُوتٍ

2- التشبيه المؤكّد، وهو: التشبيه الذي لم تُذكر فيه أداة من أدوات التشبيه.

نحو:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغرباً

ثانياً: باعتبار وجه الشبه: يقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

1- التشبيه المفصل، وهو: التشبيه الذي ذُكر فيه وجه الشبه. نحو:

أنا كالماء إن رضيت صفاء وإذا ما سخطت كنت لهيأ

2- التشبيه المجمل، وهو: التشبيه الذي لم يُذكر فيه وجه الشبه. نحو:

فكان لذة صوتها وديبها سِنَّةٌ تَمْشِي فِي مَفَاصِلِ نَعَسٍ

(1) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 145).

ثالثاً: باعتبار الأداة ووجه الشّبه معا: يقسم التشبيه باجتماعهما وافتراقهما إلى:

1 - مؤكّد مفصّل، وهو: ما حذف منه الأداة، وذكر فيه وجه الشّبه. نحو:

أنت نجم في رفعة وضياء      تجتليك العيون شرقاً وغرباً

2 - مرسل مجمل، وهو: ما ذكرت فيه الأداة وحذف وجه الشّبه. نحو:

وكأنّ البنفسج الغصّ يحكي      أثر اللّطم في حدود الغيد

3 - تشبيه بليغ، وهو: ما حذف منه الأداة ووجه الشّبه معا، فهو مؤكّد

مجمل.

وهو أعلى التشابيه بلاغة ومبالغة في آن. ويأتي على صور متعدّدة تبعاً لموقع

المشبه به من الإعراب<sup>(1)</sup>.

### أنواع التشبيه:

1- التشبيه التمثيلي: وهو: التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة

من متعدد. قال الشاعر:

وتراه في ظلّم الوغى فتخاله      قمراً يكر على الرجال بكوكبٍ

2- التشبيه الضمني: هو: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من

صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب. وهذا الضرب من التشبيه يؤتى به

ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن. قال الشاعر:

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 238)، علوم البلاغة «البديع والبيان

والمعاني» (ص: 158).



سيزكرني قومي إذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

3- التشبيه المقلوب: هو: جعل المشبه مشبهاً به بادعاء أن وجه الشبه فيه

أقوى وأظهر.

وأبو الفتح عثمان بن جني في كتابه "الخصائص" يسمي هذا النوع من التشبيه : غلبة الفروع على الأصول، ويقول: "هذا فصل من فصول العربية طريف، تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الأعراب. ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة"<sup>(1)</sup>.

#### قال الشاعر:

أَحِنُّ لَهُمْ وَدُونَهُمْ فَالَاءُ      كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ

"فالشاعر في هذا البيت شبه فسيح الفلاة بصدر الحليم، فالتشبيه كما ترى مقلوب؛ إذ المعهود تشبيه صدر الحليم بالفلاة. ولكن الشاعر -رغبة منه في المبالغة بادعاء أن صدر الحليم أفسح من الصحراء- عكس التشبيه"<sup>(2)</sup>.

#### أغراض التشبيه:

أغراض التشبيه: هي: البواعث التي تحمل المتكلم على أن يعقد شبيهاً بين

شيئين.

وهي سبعة في المشبه وهي:

(1) الخصائص (1/ 301).

(2) علم البيان (ص: 99).

**الأول: بيان حال المشبه،** إذا كان المخاطب يجهل حال ذلك المشبه، ويريد أن يعرف حاله أي: وصفه الذي هو عليه، فيلحق بمشبهه به معروف لدى المخاطب بياناً لهذه الحال؛ كقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً      لدى وكرها العناب والحشف البالي

**الثاني: بيان مقدار حال المشبه من القوة والضعف؛** وذلك إذا كان المخاطب يعلم حال المشبه ويجهل مقدار الحال، ويريد الوقوف على مقدارها، فيلحق حينئذ بشيء يعلم المخاطب مقدار حاله؛ كقول الشاعر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة      سوداً كخافية الغراب الأسحم

**الثالث: بيان إمكان المشبه،** أي: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود؛ وذلك إذا كان أمراً غريباً من شأنه أن ينازع فيه؛ ويدعى امتناعه، فيمثل حينئذ بشيء مسلم الوقوع؛ ليكون دليلاً على إمكان وجوده؛ كما في قول أبي الطيب من قصيدة يرثي بها والده سيف الدولة:

فإن تفق الأنام وأنت منهم      فإن المسك بعض دم الغزال

**الرابع: تقرير حال المشبه،** وتمكينها في نفس السامع بإبرازها في صورة هي فيها أوضح وأقوى؛ وذلك فيما إذا كان المشبه به مما يدرك بالحس؛ إذ التمثيل بالمحسوس يفيد زيادة قوة وتمكين، كما في قول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها      مثل الزجاجه كسرهما لا يجبر

**الخامس: تزيين المشبه للسامع،** أي: تصويره له بصورة جميلة بأن يلحق



بمشبه به قد استقر في النفس حسنه و حبه؛ ليتخيله السامع كذلك فيرغب فيه، كما في قول الشاعر:

سوداء واضحة الجبين كمقلّة الظبي الغريـر

**السادس: تقبيح المشبه للسامع، أي:** تصويره بصورة قبيحة بأن يلحق بمشبه

به تتقزز منه النفس؛ ليتخيله السامع كذلك فينفر منه، كما في قول الشاعر:

وإذا أشار محدثاً فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

**السابع: استطراف المشبه، أي:** جعله طريفاً بديعاً في خيال السامع

ومنه قول عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال:

تُرْجِي أَغْنَّ كَأَنَّ إِيرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا<sup>(1)</sup>



(1) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 170). البيت لعدي بن الرقاع أنشده مع غيره أمام جرير، كما قال عبد القاهر: "فلما بلغ إلى قوله: "تُرْجِي أَغْنَّ كَأَنَّ إِيرَةَ رَوْقِهِ". رَحِمْتُهُ، وَقَلْتُ قَدْ وَقَعَ، مَا عَسَاهُ يَقُولُ، وَهُوَ أَعْرَابِيٌّ جِلْفٌ جَافٍ؟ فَلَمَّا قَالَ: "قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا" اسْتَحَالَتِ الرَّحْمَةُ حَسِدًا. فَهَلْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ فِي الْأُولَى، وَالْحَسِدُ فِي الثَّانِيَةِ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَاهُ حِينَ افْتَتَحَ التَّشْبِيهَ قَدْ ذَكَرَ مَا لَا يَحْضُرُ لَهُ فِي أَوَّلِ الْفِكْرِ وَبَدِيهَةِ الْخَاطِرِ، وَفِي الْقَرِيبِ مِنْ مَحَلِّ الظَّنِّ شَبَهُ، وَحِينَ أَتَمَّ التَّشْبِيهَ وَأَدَّاهُ صَادَفَهُ قَدْ ظَفَرَ بِأَقْرَبِ صِفَةٍ مِنْ أْبَعَدِ مَوْصُوفٍ، وَعَثَرَ عَلَى خَبِيءٍ مَكَانَهُ غَيْرُ مَعْرُوفٍ"، أسرار البلاغة (ص: 154).



## الفصل الثاني: المجاز

### 1- التعريف:

قبل أن نعرف المجاز نعرف الحقيقة التي هي ضد المجاز والأصل في الكلام؛ فالحقيقة في اللغة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه، والمجاز ما كان بضد ذلك، وإنما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عُد هذه الأوصاف؛ كانت الحقيقة ألبتة<sup>(1)</sup>.

**وقال الجرجاني: "الحقيقة: اسم أريد به ما وضع له. فعيلةٌ من: حَقَّ الشيء،** إذا ثبت، بمعنى فاعلة، أي: حقيق، والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية كما في العلامة، لا للتأنيث. **وفي الاصطلاح:** هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب. احترز به عن المجاز، الذي استعمل فيما وضع له في اصطلاح آخر غير اصطلاح التخاطب؛ كالصلاة إذا استعملها المخاطب بعرف الشرع في الدعاء؛ فإنها تكون مجازاً؛ لكون الدعاء غير ما وضعت هي له في اصطلاح الشرع؛ لأنها في اصطلاح الشرع وضعت للأركان والأذكار المخصوصة، مع أنها موضوعة للدعاء في اصطلاح اللغة.

(1) الخصائص (2/ 444).



**وقيل: الحقيقة:** كل لفظ يبقى على موضوعه، وقيل: ما اصطاح الناس على التخاطب به <sup>(1)</sup>.

**أما المجاز:** فهو إن كان بمعنى الجواز والتعدية من: جاز المكان يجوزه إذا تعدّاه وقطعه؛ فالكلمة تكون مصدرًا ميميًا على وزن مَفْعَل، وقد سميت به الكلمة التي جازت مكانها الأصلي، وتعدته لغيره، أو التي جاز بها المتكلم معناها الأصلي إلى غيره.

أما إن كان بمعنى مكان الجواز والتعدية من قولهم: "جعلت هذا مجازًا إلى حاجتي" أي: طريقًا إليها، فهو من جاز المكان أي: سار فيه وسلكه إلى كذا، لا من جازه إذا تعداه، فيكون لفظ المجاز اسم مكان، وقد أطلق على الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له باعتبار أنها طريق إلى تصور المعنى المراد منها.

**والمجاز اللغوي في اصطلاح البلاغيين:** هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي <sup>(2)</sup>.

## 2- فنُّ المجاز ودواعيه وأغراضه:

المجاز طريق من طُرُق الإبداع البيانيِّ في كلِّ اللُّغات، تدفع إليه الفطرة

(1) التعريفات (ص: 89).

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/ 114)، المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 211)،

البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 128).

الإنسانية المزودة بالقدرة على البيان، واستخدام الحيل المختلفة للتعبير عما في النفس من معانٍ تُريدُ التعبيرَ عنها.

وقد استخدمه الناطق العربي في عصوره المختلفة، في حواضره وبواديه استخداماً بارعاً وواسعاً جداً، حتى بلغت اللغة العربية في مجازاتها مبلغاً مثيراً للإعجاب بعبقريّة الناطقين بها في العصور الجاهليّة، وفي العصور الإسلاميّة، وكان لفحول الشعراء، وأساطين البلغاء - من كتّابٍ وخطباء - أفانينٌ بديعة، عجيبة ومُعجبة من المجاز، لا يتصيّدها إلا الأذكياء والفظنّاء، المتمرسون بأساليب التعبير غير المباشر عن أغراضهم.

وليس المجاز مُجرّد تلاعبٍ بالكلام في قفزاتٍ اعتباطيّة من استعمال كلمة أو عبارة موضوعيّة لمعنى، إلى استعمال الكلمة أو العبارة بمعنى كلمة أو عبارة أخرى موضوعيّة لمعنى آخر، ووضع هذه بدل هذه للدلالة بها على معنى اللفظ المتروك المستبدل به اللفظ الآخر.

بل المجازُ حركاتٌ ذهنيّة تصلُّ بين المعاني، وتعتدُّ بينها روابطٍ وعلاقاتٍ فكريّة تسمح للمعبّر الذكيّ اللّماح بأن يستخدم العبارة التي تدلُّ في اصطلاح التخاطب على معنى من المعاني ليُدلَّ بها على معنى آخر، يمكن أن يفهمه المتلقّي بالقرينة اللفظيّة أو الحاليّة، أو الفكريّة البحث<sup>(1)</sup>.

**ودواعي المجاز وأغراضه يمكن ذكر أهمها فيما يلي:**

(1) البلاغة العربية (2/ 225).



**أولاً:** أن المجاز في الكلام هو من أساليب التعبير غير المباشر، الذي يكون في معظم الأحيان أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً من التعبير المباشر.

**ثانياً:** يشتمل المجاز غالباً على مبالغة في التعبير لا توجد في الحقيقة، والمبالغة ذات دواعٍ بلاغية متعددة، منها: "التأكيد - التوضيح - الإمتاع بالجمال - الترغيب عن طريق التزيين والتحسين - التنفير عن طريق التشويه والتبجح -" إلى غير ذلك.

**ثالثاً:** يُتَّيْحُ استخدام المجاز فرصاً كثيرة لابتكار صورة جمالية بيانية لا يُتَّيْحُ استعمال الحقيقة، فمعظم أمثلة التصوير الفني الرائع مشحونةً بالمجاز.

**رابعاً:** استخدام المجاز يُمَكِّنُ المتكلم من بالغ الإيجاز مع الوفاء بالمراد ووفرة إضافية من المعاني والصّور البديعة.

**خامساً:** المجاز بالاستعارة أبلغ من التشبيه، وأغراضه موجودة في الاستعارة مع أمور أخرى لا تُوجَدُ في التشبيه.

**سادساً:** المجاز المرسل أبلغ من استعمال الحقيقة في كثير من الأحيان إذا كان حالٌ مُتَلَقِّيَ البيان ممّن يلائمهم استخدام المجاز، ويشدُّ انتباههم لتدبرِ المضمون وفهمه<sup>(1)</sup>.

### ثالثاً: أقسام المجاز:

يقسم علماء البلاغة المجاز قسمين:

(1) البلاغة العربية (2/ 227).

1- **المجاز العقلي**، ويكون في الإسناد، أي: في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له. ويسمى المجاز الحكمي، والإسناد المجازي، ولا يكون إلا في التركيب.

2- **المجاز اللغوي**، ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة. وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له

**والمجاز اللغوي ينقسم إلى قسمين:**

أ- **الاستعارة**، وهي مجاز لغويّ تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة.

ب- **المجاز المرسل**، وهو مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة.

**وستحدث عن هذه الأقسام باختصار في العناوين الآتية:**

**أولاً: المجاز العقلي**، وهو: إسناد الفعل، أو ما يدل على معنى الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه لعلاقة، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له أي: على حقيقته.

**أشهر علاقات المجاز العقلي:**

(1) **الإسناد إلى الزمان**؛ نحو: من سره زمن ساءته أزمان، أسند الإساءة والسرور إلى الزمن، وهو لم يفعلهما، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

(2) **الإسناد إلى المكان**؛ نحو: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾



[الأنعام:6]، فقد أسند الجري إلى الانهار، وهي أمكنة للمياه، وليست جارية بل الجاري ماؤها.

### (3) الإسناد إلى السبب؛ نحو:

إِنِّي لَمَنْ مَعِشَرَ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ قِيلُ الْكِمَاةِ أَلَا أَيْنَ الْمُحَامُونَا؟

فقد نسب الإفناء إلى قول الشجعان: هل من مبارز؟ وليس ذلك القول بفاعل له، ومؤثر فيه، وإنما هو سبب فقط.

### (4) الإسناد إلى المصدر؛ كقول أبي فراس الحمداني:

سِيذَكْرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدَّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يَفْتَقِدُ الْبَدْرَ

فقد أسند الجد إلى الجد، أي: الاجتهاد، وهو ليس بفاعل له، بل فاعله الجاد، فأصله جد الجاد جدًّا، أي: اجتهد اجتهدًا، فحذف الفاعل الأصلي وهو الجاد، واسند الفعل إلى الجد.

### (5) إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول؛ نحو: سرني حديث الوامق؛ فقد

استعمل اسم الفاعل، وهو الوامق، أي: (المُحِبُّ) بدل الموموق، أي: المحبوب؛ فإن المراد: سررت بمحادثة المحبوب.

### (6) إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل؛ نحو: جعلت بيني وبينك حجابًا

مستورا أي: ساترًا، فقد جعل الحجاب مستورًا، مع أنه هو الساتر<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: علم البيان (ص: 143)، المنهاج الواضح للبلاغة (1/100)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 255).

**ثانيًا: المجاز المرسل:**

**تعريفه:** المجاز المرسل هو: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة غير المشابهة بين المعنيين، وإنما سمي مرسلًا؛ لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتمدة في الاستعارة؛ إذ ليست العلاقة بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما، أو لأنه أرسل أي أطلق عن التقييد بعلاقة واحدة.

وعلاقة المجاز المرسل معناها: أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين، ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر<sup>(1)</sup>.

**علاقته:** أحصى البيانيون ما يزيد على عشرين علاقة من العلاقات التي يَسْمَحُ كل واحد منها باستعمال المجاز المرسل لدى وجوده بين المعنى الأصلي لفظ والمعنى الآخر الذي يطلق عليه اللفظ مجازًا.

**وهي على النحو الآتي:**

**1- علاقة السببية،** وهي: أن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سببًا في المعنى المراد فيطلق السبب على المسبب، والمجاز بهذه العلاقة كثير في استعمالات العرب، فمن ذلك: قولهم: رعينا الغيث؛ فالغيث مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المعنى الحقيقي للغيث سبب في المعنى المراد الذي هو النبات، وقرينة المجاز قولهم: رعينا؛ إذ الغيث لا يُرعى. والسر البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز في مثل هذا التعبير هو: إبراز أهمية الغيث وفرحهم به، وأثره في

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 201).



نفوسهم حتى كأنه هو المرعي لا النبات.

**2- المسببية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سبباً عن المعنى المراد، كقولك: "أمطرت السماء نباتاً" أي: ماء "فالنبات" مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأن المعنى الأصلي "للنبات" مسبب عن المعنى المراد الذي هو "الماء"، والقرينة: قوله: "أمطرت"؛ إذ إن النبات لا يمطر.

**3- اللازمة،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور لازماً للمعنى المراد، أي: يلزم من وجود المعنى المراد وجوده، كما تقول: بزغ الضوء، تريد "الشمس" فالضوء مجاز مرسل علاقته اللازمة؛ لأن المعنى الأصلي للضوء لازم للمعنى المراد الذي هو "الشمس"؛ إذ يلزم من وجود الشمس وجود الضوء، والقرينة قوله: "بزغ"؛ إذ إن البزوغ وصف لجرم الشمس، لا للضوء.

**4- الملزومية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور ملزوماً للمعنى المراد أي: يلزم من وجوده وجود المعنى المراد كما تقول: ملأت الشمس المكان، "فالشمس" مجاز مرسل علاقته الملزومية؛ لأن المعنى الأصلي للشمس ملزوم للمعنى المراد الذي هو "الضوء"، والقرينة قوله: "ملأت" فهو وصف للضوء لا للجرم المعروف كما لا يخفى.

**5- الكلية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور كلياً متضمناً للمعنى المراد؛ كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ [البقرة: 19]، أي: أناملهم، ففي ﴿أَصَابِعَهُمْ﴾ مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأن

المعنى الأصلي للأصابع - كل الأناامل - متضمن لها، والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة.

**6- الجزئية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور جزءاً من المعنى المراد؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:92]، أي: عبد مؤمن ففي ﴿رَقَبَةٍ﴾ مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للرقبة جزء من العبد، والقرينة أن التحرير إنما يكون للذات كلها، لا لجزء منها.

**7- الحالية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور حالاً في المعنى المراد؛ كقول الشاعر:

قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنية ناجي؟

**يريد:** إذا تأخر فرسه، أي: تقاعس ورجع إلى خلف خوفاً وجبنًا، ف سرجه مجاز مرسل علاقته الحالية؛ لأنه حال فوق ظهر الفرس.

**8- المحلية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلاً للمعنى المراد؛ كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق:17]، أي: أهل النادي، ففي ﴿نَادِيَهُ﴾ مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن المعنى الأصلي للفظ "النادي" محل للمعنى المراد الذي هو الأهل، والقرينة استحالة دعاء النادي بمعناه الحقيقي.

**9- الآلية،** وهي: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور آلة، ووسيلة للمعنى المراد؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء:84]، أي: ذكرًا صادقًا وثناءً عطرًا فيمن يأتي بعدي من الأمم، ففي ﴿لِسَانَ



صِدْقٍ ﴿ مجاز مرسل علاقته الآلية؛ لأن اللسان بمعناه الأصلي آلة وواسطة للذكر الحسن الذي هو المعنى المراد، والقرينة: استحالة بقاء هذه الجارحة بمعناها الحقيقي فيمن يأتي من الأمم بعد.

**10 - اعتبار ما كان،** وهو: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سابق الحصول على المعنى المراد؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء:2]، يريد البالغين، ففي لفظ ﴿الْيَتَامَىٰ﴾ مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان؛ لأن المعنى الحقيقي "للتييم" سابق الوجود على المعنى المراد، وهو "البالغ"، والقرينة على أن المراد باليتامى البالغون منهم: الأمر بدفع الأموال لهم أي: تمكينهم منها بالتصرف فيها، ولا يكون ذلك إلا بعد البلوغ.

**11 - اعتبار ما يكون،** وهو: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور مستقبل الحصول ظناً أو يقيناً؛ فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف:36]. يريد: عنباً يؤول عصيره إلى خمر، ففي قوله: ﴿خَمْرًا﴾ مجاز مرسل علاقته: اعتبار ما يكون، أي: ما يؤول إليه عصيره فيما بعد من الاختمار، فالمعنى الحقيقي للخمر مستقبل الوقوع وإنما كان هذا المآل مظنوناً؛ لاحتمال أن يقوم حائل دون الاختمار، والقرينة على أن المراد العنب لفظ الخمر؛ لأنها عصير والعصير لا يعصر.

**12 - المجاورة،** وهي: أن يكون الشيء مجاوراً لآخر في مكانه كإطلاق "الراوية" على القربة في قولك: "خلت الراوية من الماء" تريد: القربة، ومعنى الراوية في الأصل: "الدابة" التي يستقى عليها، فالراوية حينئذ مجاز مرسل علاقته

المجاورة؛ لمجاورة الدابة للقربة عند حملها، والقرينة لفظ "خلت"؛ لأن الذي يخلو من الماء هو الوعاء، لا الحيوان. ومما علاقته المجاورة: إطلاق العلم على الظن، أو العكس؛ لتقاربهما في المعنى فهما متجاوران.

**13 - البدلية،** وهي: أن يكون الشيء بدلاً عن آخر؛ كإطلاق القضاء على الأداء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ﴾ [النساء: 103]، يريد: "فإذا أديتم"؛ لأن الإتيان بالصلاة في وقتها يسمى أداء لا قضاء، فالتعبير بالقضاء بدلاً عن الأداء مجاز مرسل علاقته "البدلية" والقرينة مقام الخطاب؛ إذ إن الخطاب مع من يوفون الصلاة في أوقاتها، ومثل هذا يسمى عندهم أداء.

**14 - المبدلية،** وهي: أن يكون الشيء مبدلاً عنه آخر؛ كإطلاق الدم على الدية في قول شاعر يتبرم بعشرة زوجه ويتوعدّها بالزواج عليها:

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أَرَعُكَ بَضْرَةً      بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

يريد: أكلت "دية"، ففي قوله: "دمًا" مجاز مرسل علاقته "المبدلية"

فإن الدم مبدل منه الدية، والدية يأخذها ولي الدم بدلاً عنه، والقرينة قوله: "أكلت"؛ لأن الدم المسفوك لا يؤكل.

**15 - العموم،** وهو: أن يكون اللفظ المذكور دالاً على العموم، شاملاً لكثيرين؛ كإطلاق لفظ ﴿النَّاسِ﴾ على محمد ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: 54]، ففي ﴿النَّاسِ﴾ مجاز مرسل علاقته العموم، والقرينة حالية.



16- **الخصوص**، وهو: أن يكون اللفظ المذكور دالاً على الخصوص؛

كإطلاق اسم أبي القبيلة "كتميم أو تغلب" على القبيلة قبل أن يغلب عليها.

17- **التعلق الاشتقائي**، وهو: أن يكون اللفظ مشتقاً منه غيره؛ كإطلاق

المصدر على اسم المفعول في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 11]، أي: مخلوقه، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: 255]، أي: معلومه، فكل من الخلق والعلم مجاز مرسل علاقته ما بين المصدر واسم المفعول من الربط الاشتقائي.

18- **التقييد والإطلاق**، وهو: أن يكون الشيء مقيداً، ثم يطلق عن قيده كما

في إطلاق "المشفر" على شفة "زيد" مثلاً في قولك: "مشفر زيد يسيل دمًا" تريد: شفته، فالمشفر "في الأصل" للبعير خاصة، ثم أطلق عن هذا القيد، وأريد به مطلق شفة، فصح إطلاقه على شفة زيد باعتبارها فرداً من أفراد هذا المطلق، فيكون مجازاً مرسلًا علاقته التقييد والإطلاق. ومثله إطلاق "المرسن" على أنف المرأة في قول الشاعر: "وفاحمًا ومرسنًا مرسجًا" فالمرسن في الأصل أنف البعير؛ لأنه موضع الرسن منه، ثم أطلق على قيده وأريد به مطلق أنف، فصح إطلاقه على أنف المرأة باعتباره أحد أفراد هذا المطلق، فهو مجاز مرسل علاقته التقييد والإطلاق<sup>(1)</sup>.

(1) البلاغة العربية (2/ 274)، البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 201)، المنهاج

الواضح للبلاغة (1/ 134).

**الاستعارة وأقسامها:****التعريف:**

**الاستعارة لغة:** رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال: استعار فلان سهماً من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده، وعلى هذا يصح أن يقال: استعار إنسان من آخر شيئاً، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به.

وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر (1).

**واصطلاحاً:** هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (2).

**الاستعارة والتشبيه:**

الاستعارة ليست إلاً تشبيهاً مختصراً، لكنها أبلغ منه؛ كقولك: رأيت اسداً في المدرسة، فأصل هذه الاستعارة رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة، فحذفت المشبه لفظ رجل وحذفت الأداة الكاف، وحذفت وجه التشبيه الشجاعة،

(1) علم البيان (ص: 167).

(2) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 258)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 259).



وَأَلْحَقْتَهُ بِقَرِينَةِ الْمَدْرَسَةِ لِتَدُلَّ عَلَى أَنَّكَ تَرِيدُ بِالْأَسَدِ شَجَاعاً<sup>(1)</sup>.

وهي من قبيل المجاز في الاستعمال اللغوي للكلام، وأصلها تشبيهٌ حُذِفَ منه المشبّه وأداة التشبه ووجه الشبّه، ولم يبق منه إلا ما يدلُّ على المشبّه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدالُّ على المشبّه به، أو استعارة بعض مشتقاته، أو بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلاً عن ذكر لفظ المشبّه، مُلَاخَظاً في هذا الاستعمال ادّعاءً أنّ المشبّه داخل في جنس أو نوع أو صنف المشبّه به؛ بسبب مشاركته له في الصفة التي هي وجه الشبّه بينهما، في رؤية صاحب التعبير.

ومن لطائف التعبيرات: قولُهُمْ في الاستعارة: تزوّج المجاز التشبيه فتولّد منهما الاستعارة.

فلاستعارة مجازٌ علاقته المشابهة<sup>(2)</sup>.

### والفرق بين الاستعارة والتشبيه:

قالوا في التفريق بين الاستعارة والتشبيه: أنه يشترط في الاستعارة تناسي التشبيه، وادّعاء أنّ المشبّه فردٌ من أفراد المشبّه به، ولا يُجمَعُ فيها بين المشبّه والمشبّه به على وجه يُنبئ عن التشبيه، ولا يُذكرُ فيها وجه الشبّه، ولا أداة التشبيه لا لفظاً ولا تقديراً<sup>(3)</sup>.

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 258).

(2) البلاغة العربية (2/ 229).

(3) البلاغة العربية (2/ 231).

**قيمة الاستعارة في البيان ومراقبها:**

تحتلُّ الاستعارة في البيان مرتبةً أعلى من مرتبة التشبيه بحسب الأصل، **لعدة**

**أسباب:**

**السبب الأول:** أنها أكثر من التشبيه توغُّلاً في أساليب البيان غير المباشر.

**السبب الثاني:** ما فيها من تجاهل التشبيه الذي هو أصلها؛ إذ الاستعارة تُشعرُ بادعاء اتحاد المشبه بالمشبه به.

**السبب الثالث:** ما فيها من استثارةٍ لإعجاب أذكياء ذواقِي الأدب، وتَمَلُّكٍ لانتباههم وتأثير فيهم، ولا سيما حين تكون استعارةً غريبة غير متداولة، ولا يتنبه لاصطيادها إلا فطناء البلغاء.

لكن لا يُشترط أن تكون كُلُّ استعارة أبلغ من التشبيه؛ إذ قد تقتضي حال المتلقي، أو يقتضي الموضوع المطروح للبيان أن يُستخدَم التشبيه، فيكون التشبيه عندئذٍ هو الأبلغ.

وتكون الاستعارة حَسَنَةً جميلة إذا كان التشبيه الذي هو أساسها حَسَنًا جميلاً، **مستوفياً الصفات الآتية:**

**الصفة الأولى:** دَقَّةُ التصوير، مع إبراز العناصر المهمة التي هي مقصود التشبيه.

**الصفة الثانية:** الابتكار، والابتعاد عن الاجترار والتكرار للتشبيبات المستعملة كثيراً في أقوال الشعراء والأدباء.



**الصفة الثالثة:** التنوع في أساليب التشبيهات والأمثال ضمن الكلام المتتابع، والابتعاد عن التزام الوتيرة الواحدة، والمتابعة على نمطٍ واحد.

**الصفة الرابعة:** صدق المشابهة بين المشبّه، والمشبّه به، ويكفي لتحقيق صدق المشابهة ما يسمّى "الصّدق الفني" أي: الصدق في إحساس صاحب الكلام ومشاعره.

**الصفة الخامسة:** ممّا يَرْتَقِي بالتمثيل إلى مستوى الذروة التصوير المتحرّك الحيّ الناطق، ذو الأبعاد المكانية والزّمانية، والذي تبرز فيه المشاعر النفسيّة والوجدانية، والحركات الفكرية للعناصر الحيّة في الصورة.

**الصفة السادسة:** الابتعاد عن الإسفاف والابتذال والتشبيه ما يَحْسُن في غير الكلام ستره، من العورات والمستقذرات.

**الصفة السابعة:** عدم التصريح بما يمكن أن يُدْرَك ذهنًا من القرائن.

**الصفة الثامنة:** البناء على المشبّه به كأنّه عَيْنُ المشبّه؛ إذ يُنَزَلُ المشبّه به منزلة المشبّه، بعد أن سبق لإحضار المقصود من المشبّه عن طريقه.

وكلّما قوي الشّبّه بين المشبّه والمشبّه به كان اللّجوء إلى الاستعارة أكثر فنيّة، وأرقى بيانًا، وأبعد عن الإطناب، وأرضى للأذواق الأدبيّة<sup>(1)</sup>.

**أركان الاستعارة على هذا أربعة:**

(1) اللفظ المستعار.

(1) البلاغة العربية (2/ 263).

(2) المعنى المستعار منه، وهو المشبّه به.

(3) المعنى المستعار له، وهو المشبّه.

(4) القرينة الصارفة عن إرادة ما وُضِعَ له اللَّفْظُ في اصطلاح به التخاطب.

والقرينة دليلٌ من المقال، أو من الحال، أو عقليٌّ صرفٌ.

ولم يذكر البيانيون هذا الركن وقد حسنت إضافته؛ لأنه إذا فقدت القرينة لم

تصح الاستعارة<sup>(1)</sup>.

**أقسام الاستعارة:** تنقسم الاستعارة انقسامًا أوليًا إلى قسمين:

**القسم الأول:** الاستعارة في اللَّفْظِ المفرد: وهي التي يكون المستعارُ فيها لفظًا مفردًا، مثل: لفظ: "الليث" في نحو جملة: "أَقْبَلَ اللَّيْثُ مُدَجَّجًا بِلَأْمَةِ الْحَرْبِ فَاخْتَرَقَ جَيْشَ الْعَدُوِّ"، أي: أقبل الفارس الشجاع الذي هو كالليث.

**القسم الثاني:** الاستعارة في اللَّفْظِ المركَّب: وهي التي يكون اللَّفْظُ المستعار فيها كلامًا مركبًا من عدّة ألفاظ مفردة:

**مثل:** "لكلِّ جوادٍ كِبُوءَةٌ - ولكلِّ صارمٍ نَبُوءَةٌ".

هذان مُرَكَّبَانِ من عدّة ألفاظ، يستعاران لمن يخطئ أحيانًا، وليس من شأنه ولا من عادته أن يخطئ.

و"أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا"؛ هذا لفظ مركَّب يستعار للدلالة به على أنه ينبغي

(1) البلاغة العربية (2/ 230).



إِسْنَادُ الْعَمَلِ إِلَى مَنْ يُحْسِنُهُ وَيُتَّقِنُهُ لِسَابِقِ خَبْرَتِهِ بِهِ (1).

### تقسيمات الاستعارة في المفرد:

تنقسم الاستعارة في المفرد إلى تقسيمات متعددة باعتبارات مختلفات،  
وفيما يلي تفصيلٌ وبيانٌ للمهمّ منها:

#### 1- التقسيم الأوّل: باعتبار اللفظ.

إلى:

أ- أصلية؛ وذلك إذا كان اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً جامداً.

قال الشاعر:

أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ      وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشُّهَا وَالْفَرَاقِدُ

فالشمس والبدر اسمان جامدان.

ب- تبعية؛ وذلك إذا كان اللفظ الذي جرت فيه مشتقاً أو فعلاً.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ﴾ [الأعراف: 154].

ف"سكت" المضاف إلى الغضب: فعل.

#### 2- التقسيم الثاني باعتبار التصريح وعدمه:

تنقسم إلى:

(1) البلاغة العربية (2/ 235).

**أ- تصرّحية:** وهي: ما صرح فيه بلفظ المشبه به.

قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم:1]؛ فقد استعير ﴿الظلمات﴾ للضلال؛ لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبهما. كذلك استعير ﴿النور﴾ للهدى والإيمان؛ لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية.

**ب- مكنية:** وهي: ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.

قال تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:4]؛ حيث استعير شواظ النار للشيب بجامع البياض والإنارة، ثم حُذف المستعار منه أي: المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه، وهو الاشتعال على طريق الاستعارة المكنية.

### 3- التقسم الثالث: باعتبار الملائم في الطرفين أو عدمه:

**تنقسم إلى:**

**أ- مرشحة،** وهي: ما ذكر معها ملائم المشبه به.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:16]؛ استعير الاشتراء للاختيار، واشتق منه ﴿اشْتَرَوْا﴾ بمعنى: اختاروا، ثم فرع عليه بما يلائم المستعار له من نفي الربح والتجارة؛ ترشيحا للاستعارة.

**ب- مجردة،** وهي: ما ذكر فيها ملائم المشبه.

نحو: رأيت أسداً يرمي؛ فالرمي من ملائمت المشبه وهو الرجل الشجاع.



**ج-مطلقة؛** وهي: ما خلت من ملائمتا المشبه أو المشبه به.

نحو: رأيت أسداً، إذا كانت القرينة حالية.

**التقسيم الرابع باعتبار الطرفين-المستعار منه والمستعار له:**

**تنقسم إلى:**

**أ- وفاقية؛** وهي: الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها: المستعار منه والمستعار له في شيء واحد.

**ب-عنادية؛** وهي: الاستعارة التي لا يجتمع طرفاها المستعار منه والمستعار له في شيء واحد؛ كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 122]، **ففي هذه الآية استعارتان:**

**الأولى:** في قوله: ﴿مَيْتًا﴾ شبه الضلال بالموت، بجامع ترتب نفى الانتفاع في كل، واستعير الموت للضلال، واشتق من الموت بمعنى الضلال ميتاً، بمعنى: ضالاً، وهي عنادية؛ لأنه لا يمكن اجتماع الموت والضلال في شيء واحد.

**والثانية:** استعارة الإحياء، للهداية، وهي: (وفاقية)؛ لإمكان اجتماع الإحياء والهداية في الله تعالى، فهو محي وهادٍ.

**القسم الثاني: الاستعارة في اللفظ المركب:**

وهي "الاستعارة التمثيلية.

**وهي:** استعارة يكون اللفظ المستعار فيها لفظاً مُرَكَّباً، وهذا اللفظ المركب يستعمل في غير ما وُضِعَ له في اصطلاح به التخاطب، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي، ويسمى "الاستعارة التمثيلية"، وقد يطلق عليه "الاستعارة على سبيل التمثيل" أو نحو ذلك من عبارات.

وهذه الاستعارة يستعملها الناس في مخاطباتهم وأمثالهم الدارجة، في فصيح الكلام العربي، وفي اللسان العامي الذي يتخاطبُ عامَّةُ الناس به، ويُستعمل أيضاً في غير العربيَّة من اللُّغات الإنسانيَّة الأخرى.

**فمن العامي:** قول الناس إذا رأوا صاحب صنعه أو مهنة يُهْمَلُ أشياءه الخاصة التي يصنع مثلها لغيره بإتقان: "بابُ النَجَّارِ مَخْلَعٌ".

وهذه الاستعارة قائمة على تشبيه حال هذا المُهْمَلِ لأشياءه الخاصة بحال النَجَّارِ الذي يصنع الأبواب المتقنة للناس مقابل ما يناله من أجر، ويُهْمَلُ باب داره إهمالاً مثيراً للانتقاد والتلويح.

**ومن الأمثلة من الفصيح:** قول المتنبي يصف الذي يعيب الشعر الرائع بسبب خَلَلٍ ذوقِيٍّ لَدَيْهِ، يَجْعَلُهُ يَرَى الْجَمِيلَ قَبِيحًا، وَالْكَامِلَ نَاقِصًا، وَالْحَسَنَ سَيِّئًا:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرِّ مَرِيضٍ يَحِدُّ مُرَّابِهِ الْمَاءَ الزُّلَالَا

هذا الكلام الذي يدلُّ معناه الأصلي على أَنَّ المَرِيضَ الَّذِي يُفِرِّزُ فَمَهُ مُفْرَزَاتٍ مُرَّةً، يَجِدُّ الْمَاءَ الزُّلَالُ مُرَّاً فِي فَمِهِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ مَرَارَةِ الْمَاءِ، بَلْ مِنْ الْأَشْيَاءِ الْمُرَّةِ الَّتِي يُفِرِّزُهَا فَمُهُ.



لكنَّ المتنبِّي استعار هذا الكلام على طولهِ للدلالة به على حال من ليس لديه ملكة إدراك الشعر الرائع النفيس، فهو بسبب ذلك يَعِيبُ الحَسَنَ الجيِّدَ منه، وَيَتَّقِدُهُ بغير فهم، ولا حُسْنِ تَدْوُقٍ<sup>(1)</sup>.



(1) ينظر: البلاغة العربية (2/ 237)، البلاغة الواضحة (82)، علم البيان (ص: 183)، شرح الجواهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون (13/ 38)، البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 179)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 268).



### الفصل الثالث: الكناية

#### التعريف:

**الكناية في عرف أهل اللغة:** اسم لما يتكلم به الإنسان ويريد غيره، وسميت كناية لما في بنيتها من معنى الستر، يقال: كنيت الشيء إذا سترته، ويقال: كنى يكني، إذا ستر مراده ولم يفصح عنه.

أما في عرف أهل البيان: فهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وفي هذا التعريف صبغة التحديد العلمي المعتمد على الفكر البحت، ولكن الإمام عبد القاهر **رحمه الله** يسوق لها تعريفاً عليه طلاوة التعبير الأدبي فيقول: هي: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه<sup>(1)</sup>.

**نقول:** أصل الكناية: ترك التصريح بالشيء، وستره بحجاب ما، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما بحجاب غير ساتر سترًا كاملاً.

وبهذا نلاحظ أن المعنى الاصطلاحي للكناية قريب من المعنى اللغوي لها<sup>(2)</sup>.

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 249).

(2) البلاغة العربية (2/ 135).



## قيمة الاستعارة:

لها من الخطر ما يسامي الاستعارة، بل ربما كانت أبعد أثراً منها؛ لأنها لا تقوم على المباشرة في المعنى، وإنما تلف المعنى بشيء من الخفاء، وهذا هو سر تسميتها بهذا المصطلح<sup>(1)</sup>.

## الفرق بين الكناية والمجاز:

أسلوب المجاز يختلف عن أسلوب الكناية؛ في أن أسلوب المجاز يشتمل على قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، فقولنا: عجبت من الجيفة كيف يطغى، مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيؤول إليه الإنسان بعد موته، حيث أطلق لفظ الجيفة وأريد بها الإنسان الحي، والقرينة أن الجيفة يستحيل أن تطغى، وتلك القرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي للجيفة.

وكذلك الاستعارة في قوله تعالى مثلاً: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11]، وفي قوله عز وجل: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]؛ فالقرينة فيهما تمنع إرادة المعنى الأصلي للطغيان كما تمنع إرادة المعنى الحقيقي للذل.

أما القرينة بأسلوب الكناية فإنه لا تمنع إرادة المعنى الأصلي للفظ؛ فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27]، لا تمنع القرينة من أن يعض الظالم المتندم على يديه يوم القيامة.

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 249).

إلا إذا عرض عارض خارجي يمنع إرادة المعنى الأصلي في الكناية، فعندئذٍ يمتنع إرادته بسبب هذا العارض.

**وقيل:** إن إرادة المعنى الأصلي للفظ مع إرادة المعنى الآخر الذي يُكْنَى باللفظ عنه جائزة ولكنها غير لازمة دائماً، فقد يُرادان معاً، وقد تُهْمَلُ إرادة المعنى الأصلي ويرادُ المعنى الآخر فقط؛ فقد يُقال: فلانٌ كثيرُ الرَّمَادِ، أي: مضيافٌ جواد، مع أنه لا يَطْبُخُ الطعامَ لضيوفه الكثيرين بنار الحطب الذي يُخَلَّفُ رماداً، إنّما يَطْبُخُ لهم بالأفران الكهربائية أو الغازية.

وبهذا يظهر الفرق بين الكناية والمجاز؛ فالمجاز لا يصحّ معه إرادة المعنى الحقيقي للفظ، بل يتعيّن فيه إرادة المعنى المجازي فقط، مثل: خطب الأسدُ المغوار حُطْبَةً عظيمة في الجيش ألهب بها المشاعر، واستثار الحماسة. فلفظ "الأسد" هنا مجاز عن الرجل الشجاع، ولا يصحّ أن يُرادَ به معناه الحقيقي، وهو الحيوان المفترس المعروف.

وتدخل الكناية في عموم التعبير عن المراد بأسلوب غير مباشر، فهي ممّا يتوارى، أو يختفي بساتر، ويُدلُّ على المقصود بلازم له، أو مقارن له، أو بطرفٍ من أطرافه، أو نحو ذلك<sup>(1)</sup>.

### أقسام الكناية:

قسّم البيانيون الكناية إلى كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 252)، البلاغة العربية (2/ 136).



نسبة حكمية بين المُسْنَدِ والمُسْنَدِ إليه (المحكوم به والمحكوم عليه).

**أ- كناية عن موصوف،** وهي: التي يصرح فيها بالصفة وبالنسبة ولا يصرح

بالموصوف. **قال الشاعر:**

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ      كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خَضَابٌ

فقد كنى عن المرأة بصفة هي كون الخضاب في يدها، وعن الرجل بصفة هي كون القناة في يده؛ فهو يريد بهذه الصفة المكنى بها عن الموصوف بلوغهم في الضعف غاية لا غاية بعدها، حيث صار الرجل منهم كالمرأة في العجز عن مواجهة الحروب.

**ب- كناية عن صفة،** وهي: أن يصرح بالموصوف وبالنسبة، ولا يصرح

بالصفة المرادة، بل يذكر مكانها صفة تومض إليها، وتدل عليها، ومن روائع هذا النوع: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27]، فقد ذكر الموصوف صراحة وهو الظالم، وذكرت النسبة كذلك، وهي نسبة العض إليه، ولكن الصفة المقصودة لم تذكر صراحة بل نراها في إيماءة العض على اليدين، ونتأمل صورة رجل أو امرأة أخذ يعض أو أخذت تعض على يديها، ولتحاول معي أن تدرك الحالة التي عليها أي منهما، عندئذ ستدرك أن الندم هو المسيطر، والعض على اليدين يومض بالندم إيماءً يوشك أن يكون ضوءاً قريباً قوياً كاشفاً عنه.

**ج- كناية عن نسبة،** وهي: ما صرح فيها بالموصوف وبالصفة ولم يصرح

بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزم نسبتها إليه.

كقولك: المجد بين ثوبيك، والكرم ملء برديك؛ فإنك أردت أن تنسب المجد والكرم إلى من تخاطبه فعدلت عن نسبتها مباشرة إلى ما له اتصال به وهو الثوبان والبردان.

ومن روائع هذه الكناية: قول أبي نواس يمدح الخصيب أمير مصر - وكان قد رحل إليها في عهده-:

إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رِكَابَنَا      فَأَيَّ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ  
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ  
فَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ      وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

ففي البيت الثالث كناية عن نسبة، حيث صرح بالموصوف وهو الخصيب، وصرح بالصفة وهي المجد، ولكنه لم يصرح بنسبة المجد إليه، وإنما ذكر نسبة أخرى تتطلبها، وهي صيرورة المجد في المكان الذي يصير فيه الممدوح، وهذا يعني أنه غاية في الكرم، ولا يخفى عليك ما في البيت من خيال بديع، حيث صور لك الجود في صورة حي متحرك، وأنه يلازم الممدوح أينما حل وكيفما صار<sup>(1)</sup>.



(1) ينظر: البلاغة العربية (2/ 136)، البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 256)، البلاغة الواضحة (124).





## تعريف علم البيان:

75. عِلْمُ الْبَيَانِ مَا بِهِ يُعْرَفُ إِيْرَادُ مَا طُرُقُهُ تُخْتَلِفُ

76. فِي كَوْنِهَا وَاضِحَةَ الدَّلَالَةِ .....

(مَا): موصولة بمعنى الذي (به) أي: الذي برعايته (يُعرَفُ): من التعريف، وهو: تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة له عن غيره (1)، وعرَّفَ الشيء: إذا بيَّنه ليُعرَفَ، قال الله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحریم: 3] (2)، ويمكن أن يكون (يُعرَفُ) من المعرفة، وإنما شددته ليستقيم الوزن (إيرَادُ): الإيراد هنا: الذكر والإتيان، وتقدير الكلام: علم البيان حده الذي به يعرف أنه هو: إيراد... الخ. (مَا): نكرة موصوفة، أو هي موصولة (طُرُقُهُ): جمع طريق، والطريق هو: الموصول إلى المقصود حسياً كان أو معنوياً. والمقصود بالطرق هنا: التراكيب والأساليب البيانية التي توصل إلى المعاني المرادة، فكما أن الطريق الحسي يوصل سالكه إلى هدفه ووجهته، وكذلك العبارات اللغوية توصل إلى هدف المتكلم ومقصده.

(تُخْتَلِفُ): من: تشبيه ومجاز واستعارة وكناية (كَوْنِهَا): الضمير يعود على

(1) ينظر: المعجم الوسيط (2 / 595).

(2) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (7 / 4502).

الطرق (واضحة الدلالة) يعني: أن تكون تلك الطرق بينة ظاهرة في إبراز المعنى المراد.

**والدلالة من:** دَلَلْتُ عَلَى الشَّيْءِ وَإِلَيْهِ وَأَدَلَلْتُ بِالْأَلْفِ لُغَةً، وَالْمُصَدَّرُ: دُلُّوْلَةٌ، وَالْإِسْمُ الدَّلَالَةُ - بِكَسْرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا - وَالْفَتْحُ أَعْلَى، وَهُوَ مَا يَمْتَضِيهِ اللَّفْظُ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ. والدلالة هي: كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، والدليل: لغة: المرشد وما به الإرشاد، وفي عرف أهل الأصول: ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري<sup>(1)</sup>.

**ويقال في الدلالة أيضًا:** "فهم أمر من أمر، والأول: المدلول، والثاني الدال؛ فإن كان [الدال] لفظًا دالاً على تمام ما وضع له، فالدلالة مطابقة؛ كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، أو على جزئه في ضمن كلفه فتضمنية؛ كدلالته على الحيوان في ضمن الحيوان الناطق، أو على أمر خارج عن معناه لازم له فالتزامية؛ كدلالته على قبول العلم"<sup>(2)</sup>.

وفي هذا البيت وصدر تاليه أراد الناظم رَحْمَةً أَللَّهُ تَعْرِيفَ عِلْمِ الْبَيَانِ، فيريد أن يقول: إنه: علم يُعْرَفُ به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة واضحة الدلالة.

(1) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (1/199)، التعريفات (ص: 104)، النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب (7/1)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 167).

(2) حلية اللب المصون (153).



## مباحث علم البيان:

فَمَا بِهِ لَازِمٌ مَا وُضِعَ لَهُ .....

77. إِمَّا مَجَازٌ مِنْهُ إِسْتِعَارَةٌ تُبَيِّنُ عَنِ التَّشْبِيهِ أَوْ كِنَايَةٌ

(فَمَا بِهِ لَازِمٌ مَا وُضِعَ لَهُ) يعني: اللفظ المراد به لازم معنى وضع له إما

المجاز... الخ.

(إِمَّا): حرف تفصيل، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا

كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

وهل يجب أن تكرر "إما" أو لا؟

قولان:

القول الأول: أنه يجب تكرارها. وهذا هو استعمال القرآن لها في المواضع

التي وردت فيه.

قال المبرد: "فإذا ذكرت (إِمَّا) فَلَا بُدَّ مِنْ تَكْرِيرِهَا" (1).

وقال الأخفش: "وأما "إِمَّا" في غير هذا الموضع الذي يكون للمجازاة فلا

تستغني حتى ترد "إِمَّا" مرتين نحو قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا

كَفُورًا﴾، ونحو قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ (2).

(1) المقتضب (28 / 3).

(2) معاني القرآن للأخفش (75 / 1).

**وقال ابن مالك:** "ويجب للحال إذا وقعت بعد إما أن تُردف بأخرى معادًا معها  
إمّا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]"<sup>(1)</sup>.

**القول الثاني:** يجوز أن يأتي بدل إما الثانية "أو" أو "إن" الشرطية مردفة  
بـ"لا".

**قال أبو حيان:** "ونص النحاس على أن البصريين لا يجيزون فيها إلا التكرار،  
وأجاز الفراء ألا تكرر، وأن تجري مجرى (أو)، وقال الفراء: يقولون: عبد الله يقوم  
وإما يقعد، وقال أحمد بن يحيى: وأجازوا أن تأتي (إما) بمعنى (أو) انتهى.

وجاءت (أو) معادلة لها في الشعر نحو قوله:

وَقَدْ شَفَّنِي أَلَا يَزَالَ يَرُوْعُنِي      خِيَالُكَ إِمَّا طَارِقًا أَوْ مُغَادِيَا

**وقال بعض أصحابنا:** الوجه فيها أن تستعمل مكررة، وقد تجيء غير مكررة  
إذا اعتاضوا عن تكرارها بـ إن الشرطية المدغمة في لا النافية أو بـ (أو)"<sup>(2)</sup>.

**وقال أيضًا-** في تعليقه على كلام ابن مالك السابق:- "وما ذكره من أنه يجب  
أن تردف بالأخر معادًا معها "إما" ليس كما ذكر، بل قد ينوب عن إما "أو" فلا  
يتعين إذ ذاك الإتيان بـ إما، تقول: ايتني إما راكبًا أو ماشيًا، وقد نص على ذلك  
النحويون"<sup>(3)</sup>.

(1) شرح التسهيل لابن مالك (2/ 350).

(2) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي (4/ 1992).

(3) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل (9/ 139).



ورأى بعض النحاة أن التكرار ليس بلازم، وإن كان هو الأولى الغالب؛ قال عباس حسن: "ليس من اللازم أن تتكرر "إمّا"، ولكن الأغلب تكرارها، فقد تحذف الثانية؛ لوجود ما يغني عنها. ويغلب أن يكون أحد شيئين: "وإلا" "أو"؛ فمثال الأول: إما أن يتكلم المرء ليُحْمَدَ وإلا فليسكت، ومنه: قول الشاعر:

فإمّا أن تكون أخي بصدق      فأعرف منك غثي من سميني  
وإلا فاطرٍ خني واتخذني      عدواً أتقيك وتتقيني

ومثال الثاني: قول الشاعر:

وقد شَفَّنِي...الييت (1)

وربما جوز بعضهم المجيء في الشعر لضرورة الوزن، وأما في الشرفهي مكررة؛ ف"قد جاءت "إمّا" غير مسبوقه ب إما أخرى في الشعر، لكنها تقدر؛ حملاً على الكثير الشائع" (2).

لهذا فالناظم في قوله: (أو كناية) تابع القول الثاني؛ إما لأخذه به، وإما لضرورة الوزن.

(مجاز) تقدم بيان معناه (منه) أي: من المجاز (استعارة) الاستعارة: مصدر الفعل السداسي: استعار. لكنها قُطعت الهمزة فيها؛ لكي يستقيم الوزن. وقد جاء في بعض النسخ: (منه الاستعارة) وقد أتت بهذا على الجادة والاستقامة.

(1) النحو الوافي (3/ 614).

(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (1/ 422).

والاستعارة مجاز علاقته المشابهة، وقد تقدم تعريفها.

**(تُنْبِي عَنِ التَّشْبِيهِ)** أي: تخبر عنه وتدل عليه **(أَوْ كِنَايَةً)** عطفت على المجاز.

وبهذا عرفنا أن البيان قد انحصرت أبوابه في ثلاثة: المجاز، التشبيه، الكناية، كما انحصرت أبواب المعاني في ثمانية.

### أولاً: التشبيه:

78. **وَطَرَفَا التَّشْبِيهِ حِسِّيَّانِ** **وَلَوْ حَيَالِيَّانِ وَعَقْلِيَّانِ**

#### 1- طرفا التشبيه:

**(وَطَرَفَا التَّشْبِيهِ)** طرفاه: المشبه والمشبه به **(حِسِّيَّانِ)**: نسبة إلى الحس، والحس هو: "القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة، فالحواس الخمسة الظاهرة كالجواسيس لها، فتطلع عليها النفس من ثمة فتدركها. ومحلّه مقدم التجويف الأول من الدماغ، كأنها عين تتشعب منها خمسة أنهار"<sup>(1)</sup>.

**"والمراد بالحسيّ:** ما يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة"، ومعنى هذا: أن طرفي التشبيه "قد يكونان من المبصرات، أو المسموعات، أو في المذوقات، أو المشمومات، أو الملموسات"<sup>(2)</sup>.

أ- فيكونان من المبصرات، أي: مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال، والمقادير والحركات، وما يتصل بها؛ كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ يَا قُوتٌ

(1) التعريفات (ص: 86).

(2) علم البيان (ص: 66).



وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ [الرحمن: 58]، فالجامع: البياض والحمرة، وكقول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء      تجتليك العيون شرقاً وغرباً

فالمخاطب الممدوح هنا شُبه بالنجم في الرفعة والضياء.

ونحو تشبيه الخد بالورد في البياض المشرب بحمرة، وتشبيه الوجه الحسن بالشمس والقمر في الضياء والبهاء، والشعر بالليل في السواد.

ب- ويكونان من المسموعات، أي: مما يدرك بالسمع من الأصوات الضعيفة والقوية التي بين بين؛ نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره؛ كتشبيه صوت المرأة الجميل بصوت البلبل، وصوت الغاضب الهائج بنباح الكلاب، وكقول امرئ القيس:

يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّ خَنَاقَهُ      لِيَقْتَلَنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَالِ

فامرؤ القيس يصور هنا غضب رجل أظهرت امرأته ميلاً نحو الشاعر، فيشبهه غطيط أو صوت هذا الزوج المغيظ المحنق بغطيط البكر وهو الفتى من الإبل الذي يُشدّ جبل في خناقه لترويضه وتذليله.

ج- ويكونان في المذوقات، أي: مما يدرك بالذوق من المطعوم؛ كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر، والريق بالشهد أو الخمر، وكقول الشاعر:

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْعَمَامِ      وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشَرَ الْقُطْرَ

يَعْلُ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا      إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ

د- ويكونان في المشمومات، أي: مما يدرك بحاسة الشم من الروائح، وهذا

نحو تشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك، وتشبيه النكهة بالعنبر، وتشبيه أنفاس الطفل بعطر الزهر، وتشبيه رائحة فم المرأة وأعطافها بعد النوم بالمسك؛ كقوله:

لها أرج بالعنبر الورد فاغم تطلّع رياه من الفترات

هـ- ويكونان في الملموسات، أي: في كل ما يدرك باللمس من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والخشونة والملاسة، واللين والصلابة، والخفة والثقيل وما يتصل بها؛ كتشبيه اللين الناعم بالخز، والجسم بالحريز، وكقول الشاعر:

لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَحِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءٌ وَلَا نَزْرٌ<sup>(1)</sup>

**(ولو خيالياً) خيالياً:** خبر لكان المحذوفة مع اسمها، والتقدير: ولو كان المدرك

بالحس خيالياً، ومع لو وإن تحذف كان واسمها ويبقى الخبر؛ قال ابن مالك:

وَيَحْذِفُونَهَا وَيَبْقُونَ الْخَبْرُ وَبَعْدَ إِذْ وَلَوْ كَثِيرًا إِذَا اشْتَهَرَ<sup>(2)</sup>

**والخيالي:** نسبة إلى الخيال، والخيال: "أصله: القوة المجردة كالصورة

المتصورة في المنام، وفي المرأة وفي القلب، ثم استعمل في صورة كل أمر متصور، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال"<sup>(3)</sup>.

(1) ينظر: علم البيان (ص: 67)، أخبار النساء لابن الجوزي (ص: 27)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 138)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/ 400)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 232).

(2) ألفية ابن مالك (ص: 19).

(3) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 161).



وهو أيضاً: "قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يشاهدها الحس المشترك كل ما التفت إليها، فهو خزانة للحس المشترك، ومحلّه مؤخر البطن الأول من الدماغ"<sup>(1)</sup>.

**والمعنى:** أن طرفي التشبيه قد يدركان بالحس - كما تقدم -، وقد يدركان بالخيال؛ كتشبيه شقائق النعمان<sup>(2)</sup> على أغصانها بأعلام ياقوت على رماح من زبرجد، في قول الصنوبري:

وَكَأَنَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيْقِ \_\_\_\_\_ قِي إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ  
أَعْلَامٌ يَاقُوتٍ نَشْرُ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبْرَجْدٍ<sup>(3)</sup>

(1) التعريفات (ص: 102).

(2) **شقائق النعمان:** نبات أحمر الزهر مبعق بنقط سود، وله أنواع وضروب بعضها يزرع وبعضها ينبت برياً في أواخر الشتاء وفي الربيع، وهو عشب حولي من الفصيلة الشقيقية. وإنما أضيفت إلى النعمان وهو ابن المُنذر ملك العرب؛ لأنه نزل على شقائق رمل قد أنبت هذا الزهر، فاستحسنه، فأمر أن يُحمى له، فأضيفت إليه، وسميت شقائق النعمان، وغلب اسم الشقائق عليها. وقيل: النعمان اسم الدم، وشقائقه: قطعه، فشبهت به لحماتها. المعجم الوسيط (488 / 1)، النهاية في غريب الحديث والأثر (2 / 492).

(3) (تصوب): مال إلى جهة الهبوط (تصعد): مال إلى الصعود بجهة العلو (وإذا) متعلق بما في (كأن) من معنى التشبيه. قوله: (محمر الشقيق) من إضافة الصفة إلى موصوفها، وأنه أبلغ من قولنا: الشقيق المحمر (الياقوت): حجر من الأحجار الكريمة، وهو أكثر المعادن صلابة بعد الماس ويتركب من أكسيد الألمنيوم ولونه في الغالب شفاف مشرب بالحمر أو الزرقة أو الصفرة ويستعمل للزينة، واحده أو القطعة منه ياقوته (الزبرجد): حجر كريم يشبه الزمرد، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصري والأصفر القبرصي. ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2 / 38)، المعجم الوسيط (1 / 388) (2 / 1065).

فقد "شبهه شقائق النعمان تحركها الرياح راحة ناهضة بأعلام من ياقوتٍ  
أحمر نُشِرْنَ على رِمَاحٍ من زبرجدٍ أخضر" (1).

"والشاهد: فيهما التشبيه الخيالي، وهو: المعدوم الذي فرض مجتمعاً من  
أُمور كل واحدٍ منها مما يدرك بالحس؛ فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح  
الزبرجدية مما لا يدركه الحس، إنما يدرك ما هو موجود في المادة حاضر عند  
المدرك على هيآت محسوسة مخصصة، لكن مادته التي تتركب منها كالأعلام  
والياقوت والرماح والزبرجد كل منها محسوس بالبصر" (2).

**والتشبيه الخيالي** الحاصل في هذا الشاهد قد جرى في المشبه به، وأما المشبه  
فهو محسوس؛ **قال ابن السبكي**: "واعلم أن الخيالي هنا إنما هو المشبه به،  
والمشبه حسي، فليس التشبيه هنا خيالياً فقط، بل يصدق عليه الخيالي باعتبار  
المشبه به، والحسي باعتبار المشبه" (3).

**(وعقليان)**: معطوف على قوله: **(حسيان)**، أي: طرفا التشبيه إما أن يكونا  
حسيين - ومنهما الخيالي -، وإما أن يكونا عقليين، "والمراد بالعقلي: ما لا يكون  
- هو ولا مادته - مدرگا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة. فدخل فيه الوهمي،  
أي: ما هو غير مدرک بها، ولكنه بحيث لو أدرك لكان مدرگا بها" (4).

(1) البلاغة العربية (2/ 212).

(2) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (2/ 4).

(3) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 38).

(4) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 400).



## 79. وَمِنْهُ بِالْوَهْمِ أَوْ الْوَجْدَانِ

(وَمِنْهُ) أي: من العقلي: ما هو مدرك بالوهم، و"الْوَهْم: مَا يَقَعُ فِي الذَّهْنِ مِنَ الْخَاطِرِ" (1).

**والوهمي هنا هو:** "ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها" (2)؛ كما في قول امرئ القيس:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرُقٍ كَأَنْيَابِ أَعْوَالٍ؟ (3)

فإن "أنياب الأعوال مما لا يدركه الحس؛ لعدم تحققها، مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر، وعليه قول تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: 65]" (4).

"فأنياب الأعوال، ورؤوس الشياطين لم توجد هي، ولا مادتها، وإنما هي من

(1) المعجم الوسيط (2/ 1060).

(2) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/ 393).

(3) والمشرفي: صفة السيف، نسبة إلى مشرف مفرد مشارف، وهي قرى من أراضي العرب، وإنما جعل ذلك من الوهميات؛ لأن الغول لا وجود له، كما ثبت في الصحيح قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ولا غول)، وما في الصحيح من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي هريرة رضي الله عنه: (إنك تكلم الغول منذ ثلاث) فهو الشيطان، و(الغول): تزعم العرب أنه نوع من الشياطين تظهر للناس في الفلاة فتتلون لهم في صور ستنى وتغولهم أي: تضللهم وتهلكهم. ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 41)، المعجم الوسيط (2/ 667).

(4) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 400).

اختراعات الوهم وافتراضاته" (1).

**قال ابن السبكي:** "وجعل رءوس الشياطين من الوهمي إشارة إلى أن الشيطان لا رأس له. وأصحابنا ذكروا في الطلاق لو قال لزوجته: إن لم تكوني أطول شعراً من إبليس، فأنت طالق، قالوا: لا يقع الطلاق؛ للشك" (2).

**"فالتخيالي** هيئته التركيبية لا وجود لها، ولكن أجزاء هذه الهيئة ومادتها موجودة ومدركة بالحواس. أما الوهمي فلا وجود له ولا لأجزائه البتة حتى تُدرك أو تُشاهد" (3).

**"أَوِ الْوَجْدَانِ):** "الوجدان) في الفلسفة: يُطلق أولاً على كل إحساس أولي باللذة أو الألم، وثانياً على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثيرها باللذة أو الألم، في مُقابل حالات أُخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة" (4).

**والمعنى:** ومن العقلي: "ما يدرك بالوجدان، يعني: ما يدرك بالقوى الباطنية، مثل: القوة التي يدرك بها الشبع، والتي يدرك بها الجوع، وكالقوة الغضبية التي يدرك بها الغضب، وكذلك القوة التي يدرك بها الفرح والخوف وغير ذلك من الغرائز.

فمثل هذه المعاني توجد بفعل قوى باطنية تدركها النفس بها، وتسمى تلك القوى

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 100).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 41).

(3) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 38). وينظر: عروس الأفراح في شرح

تلخيص المفتاح (2/ 42).

(4) المعجم الوسيط (2/ 1013).



وجداناً، والمدركات بها وجدانيات. وقد سميت عقلية لخفائها وعدم إدراكها بالحواس الظاهرة؛ كالألوان المدركة بالعين، والطعم المدرك بالذوق" (1).

"مثال ذلك: أن يشبه الجائع ما يحسه من ألم الجوع بالموت، أو أن يشبه الظامئ ما يشعر به من وهج العطش بالنار" (2).

وهذه التقسيمات الجديدة: الحسي والعقلي وأقسامهما استحدثها "السكاكي؛ متأثراً بكلام الفلاسفة وعلماء الكلام في صور الإدراك" (3).

(أَوْ فِيهِمَا يَخْتَلِفُ الْجُزْآنِ) أي: أو لا يكون كلا طرفي التشبيه حسيين، أو عقليين، بل يختلف الجزءان: يعني: المشبه والمشبه به؛ فيكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً؛ كتشبيه المنية بالسبع؛ كقول الشاعر:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا      أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وكتشبيه العطر بخلق الشخص الكريم؛ "فإن العطر - وهو الطيب - محسوس بالشم، والخلق - وهو: كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة - عقلي" (4).

روي عن القاضي أبي الحسن أنه قال: انصرفت عن دار الصاحب قبيل العيد،

(1) علم البيان (ص: 70).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 101).

(3) علم البيان (ص: 33).

(4) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 399).

فجاءني رسوله بعطر الفطر، ومعه رقعة فيها هذان البيتان:

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ مَعَ قُرْبِ عَهْدِ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ  
أَهْدِيْتُ عَطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْ لَهُ أَخْلَاقَهُ (1)

غير أن هذا القسم فيه كلام لبعض أهل البلاغة؛ قال ابن معصوم: "قال الزنجاني في المعيار: وهذا القسم -أعني: تشبيه المحسوس بالمعقول- غير جائز؛ لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتبهة إليها؛ ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً. وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول، فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً، والأصل فرعاً، وهو غير جائز؛ ولذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس في الظهور، والمسك في الطيب، فقال: الشمس كالحجة في الظهور، والمسك كخلق فلان في الطيب، كان سخفًا من القول. وأما ما جاء في الأشعار من تشبيه المحسوس بالمعقول، فوجهه: أن يقدر المعقول محسوسًا، فيجعل كالأصل في ذلك المحسوس على طريق المبالغة، فيصح التشبيه حينئذ" (2).

## 2- وجه الشبه:

80. وَوَجْهُهُ مَا اشْتَرَكَ فِيهِ ...

(وَوَجْهُهُ) أي: وجه التشبيه بين المشبه والمشبه به (اشْتَرَكَ فِيهِ) أي: المشبه والمشبه به، وهذا تعريف منه لوجه التشبيه، فهو إذن: "المعنى الذي اشترك

(1) أسرار البلاغة في علم البيان (ص: 171).

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 399).



الطرفان فيه؛ كما تقول: محمد كأخيه في الكرم، فوجه الشبه هو: "الكرم"؛ لأنه المعنى الذي اشترك فيه محمد وأخوه<sup>(1)</sup>. وسواء استوى المشبه والمشبه به في تلك الصفة أم تفاوتتا.

ذَافِي حَقِيقَتَيْهِمَا وَخَارِجًا  
..... وَجَاءَ .....  
81. وَضَفًّا فَحَسِّيٌّ وَعَقْلِيٌّ ... ..

**(وجأ)** حذفت الهمزة من جاء لأجل القافية **(ذأ)** أي: الاشتراك بين طرفي التشبيه في ذلك الوجه **(فِي حَقِيقَتَيْهِمَا وَخَارِجًا)** يعني: ويأتي وجه الشبه داخلياً في حقيقة الطرفين، ويأتي خارجاً عنها.

**فمثال الداخل في الحقيقة:** أن يقال: هذا الثوب مثل هذا الثوب. أي: في كونهما من قطن.

**ومثال الخارج عن الحقيقة:** زيد كالأسد، يعني: في الشجاعة.

**والخارج عن الحقيقة نوعان:** وصف حقيقي، ووصف إضافي.

**فالوصف الحقيقي قسمان:**

**الأول:** حسي "أي: مدرك بإحدى الحواس بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات، والسمع من الأصوات الضعيفة والقوية وما بينهما، والذوق من الطعوم، والشم من الروائح، واللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقيل"<sup>(2)</sup>.

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 59).

(2) حلية اللب المصون (158).

ومن الأمثلة على بعض ذلك حسب الترتيب: خد كالزهرة في الحمرة، طعام كالعسل في الحلاوة، سيرة كالورد في رائحتها، يوم كالنار في حرارته، وصوت كالرعد في دويّه.

**الثاني: عقلي** "الكيفيات النفسانية من الذكاء والعلم والغضب والحلم والكرم والبخل والشجاعة والعجب وسائر الغرائز" (1).

**وأما الإضافي فهو:** ما كان وجه الشبه متقراً في ذات المشبه ولا ذات المشبه به، وإنما هو معنى متعلق بهما، فإذا قلت: حجة كالشمس، فوجه الشبه هو: الظهور وعدم الاستتار بحجاب، فهذا الوجه ليست متقراً في ذات الحجة التي هي المشبه، ولا في ذات الشمس التي هي المشبه به.

### قال في الجوهر:

وَالْوَجْهُ مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ      وَدَاخِلًا وَخَارِجًا تُلْفِيهِ  
وَخَارِجٌ وَصَفٌ حَقِيقِيٌّ جَلَا      بِحَسِّ أَوْ عَقْلٍ وَنَسْبِيٍّ تَلَا (2)

**(وَذَا\*\*وَأَحَدٌ أَوْ فِي حُكْمِهِ أَوْ لَا كَذَا)** يعني: وجه الشبه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أ- مفرد. ب- في حكم المفرد "المتعدد". ج- مركب.

**فقوله: (أَوْ لَا كَذَا)** يعني: أو ليس كهذا الذي مر وهو المفرد أو ما في حكمه.

وكل من هذه الثلاثة: إما حسي وإما عقلي.

(1) حلية اللب المصون (158).

(2) الجوهر مع الحلية (157).



## وأمثلة ذلك على النحو الآتي:

1- **المفرد الحسي**، مثاله: هذا البيت مثل هذا البيت، يعني: في شكله.

2- **المفرد العقلي**، مثاله: العلم كالنور، في الاهتداء به.

3- **المركب الحسي**، مثاله: قول الشاعر:

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا كَمَا تَرَى كَعُنُقُودٍ مُلَاحِيَّةٍ حِينَ نَوْرًا<sup>(1)</sup>

فـ "وجه الشبه فيه هيئة اجتماع صور بيض مستديرة، صغار المقادير، في رأي العين، على وضع خاص. وهذه الهيئة حسية، والطرفان هنا "الثريا والعنقود" وهما مفردان روعي في كل منهما قيده الخاص؛ ففي الأول روعي كونه في وقت الصبح، وفي الثاني روعي كونه عنقود ملاحية حين تفتح نوره"<sup>(2)</sup>.

4- **المركب العقلي**، مثاله: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ

يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: 5]<sup>(3)</sup>.

"فإن وجه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم

(1) "كَعُنُقُودٍ مُلَاحِيَّةٍ": أي: كَعُنُقُودٍ عَنَبٍ مِنْ صِنْفٍ "مُلَاحِيَّةٍ" وَهُوَ عَنَبٌ أبيضٌ فِي حَبِّهِ طَوِيلٌ،

وَالأشْهُرُ فِي اسْمِ "مُلَاحِيَّةٍ" تَخْفِيفُ اللَّامِ، "البلاغة العربية" (2/ 184).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (3/ 132).

(3) قال ابن السبكي: "واعلم أن ظاهر كلام المصنف [يقصد الخطيب] أن الطرفين هنا حسيان،

وهما الكفار والحمار، وفي كتاب البلاغة لعبد اللطيف البغدادي أنه من تشبيه المعقول

بالمحسوس؛ لأن حملهم التوراة ليس كالحمل على العاتق، إنما هو القيام بما فيها"، عروس

الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 63).

يعملوا بذلك وبين الحمار الحامل للأسفار؛ هو حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه" (1).

فوجه الشبه "متنزع من أمور مجموعة قُرن بعضها إلى بعض؛ وذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم، وأن الحمار جاهل بما فيها، وكذا في جانب المشبه" (2).

**5- المتعدد الحسي،** ومثاله: "تشبيه فاكهة بأخرى في: الطعم والرائحة واللون؛ فوجه الشبه كل واحد من هذه الثلاثة، وجميعها حسي، يدرك الأول منها بحاسة الذوق، والثاني بحاسة الشم، والثالث بحاسة البصر" (3).

**6- المتعدد العقلي،** ومثاله: تشبيه رجل بآخر في علمه وكرمه وحلمه.

**7- المتعدد المختلف،** ومثاله: "كحُسن الطلعة، ونباهة الشأن، في تشبيه إنسان بالشمس" (4). فحسن الطلعة: حسي، ونباهة الشأن عقلي.

### 3- أداة الشبه:

82. وَالكَافُ أَوْ كَانَ أَوْ كَمِثْلٍ أَدَاتُهُ وَقَدْ بَدِيعِ فِعْلٍ

(1) مفتاح العلوم (ص: 349).

(2) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/ 408).

(3) المنهاج الواضح للبلاغة (5/ 43).

(4) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/ 411).



**يقول:** أدوات الشبه هي: الكاف، وكأن، ومثل.

وقد تأتي أداة التشبيه بالفعل نحو: يماثل، يحاكي، يشابه.

فأداة التشبيه إما حرف وهي الكاف، وإما فعل، نحو ما ذكرنا، وإما اسم نحو:

مثل، مشابه، وغير ذلك.

#### 4- غرض التشبيه:

83. وَغَرَضٌ مِنْهُ عَلَى الْمَشَبِّهِ يُعُودُ أَوْ عَلَى مُشَبِّهِ بِهِ

في هذا البيت يشير الناظم إلى أن التشبيه يأتي لأغراض تعود على المشبه أو على المشبه به، فيقول: وغرض من التشبيه يعود على المشبه وهو الكثير، وقد ذكرنا بعض ذلك فيما تقدم<sup>(1)</sup>، ومن تلك الأغراض: "بيان إمكان المشبه أي: بيان أن المشبه أمر ممكن الوجود، وذلك إذا كان أمراً غريباً من شأنه أن ينازع فيه؛ ويدعى امتناعه، فيمثل حيثئذ بشيء مسلم الوقوع ليكون دليلاً على إمكان وجوده"<sup>(2)</sup>.

#### كقول أبي الطيب:

فَإِنْ تَفَقَّحَ الْأَنْامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

"وذلك أنه أراد أنه فاق الأنام وفاتهم إلى حدّ بطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة ومقاربة، بل صار كأنه أصل بنفسه وجنس برأسه. وهذا أمر غريب، وهو أن يتناهى بعض أجزاء الجنس في الفضائل الخاصّة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك

(1) ص 261

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (1/79).

الجنس، وبالمدعي له حاجة إلى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجيء إلى وجوده في الممدوح. فإذا قال: فإن المسك بعض دم الغزال، فقد احتج لدعواه، وأبان أن لما ادّعاها أصلاً في الوجود، وبراً نفسه من ضعة الكذب، وباعدها من سفه المقدم على غير بصيرة، والمتوسّع في الدعوى من غير بينة؛ وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته، حتى لا يعدّ في جنسه؛ إذ لا يوجد في الدم شيء من أوصافه الشريفة الخاصة بوجه من الوجوه، لا ما قلّ ولا ما كثر، ولا في المسك شيء من الأوصاف التي كان لها الدم دماً البتة"<sup>(1)</sup>.

وقد تعود تلك الأغراض على المشبه به، على قلة؛ كبيان أنه أتم في وجه الشبه من المشبه، وهذا حاصل في التشبيه المقلوب؛ ك"قول البحري يصف برق السحابة بتبسم ممدوحه:

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيِّ لِصُبْحِهَا      تَبَسُّمُ عَيْسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

لقد قلب التشبيه ليشعر بأنه يرى تبسم ممدوحه عيسى أكثر ضياءً من برق السحابة التي استمرّ يتلامع طوال الليل، فتبسمه حين يلفظ بالوعد ينبعث منه سناً معنويٌّ يسرُّ القلوب سروراً لا يكون حين يتلامع سنا البرق"<sup>(2)</sup>.

"وقد يكون الغرض العائد على المشبه به بيان الاهتمام به؛ كتشبيه الجائع وجهًا كالبدر في الإشراق، والاستدارة بالرغيف؛ إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير"<sup>(3)</sup>.

(1) أسرار البلاغة في علم البيان (ص: 94).

(2) البلاغة العربية (2/ 201).

(3) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/ 420).



"رغم أن الأصل أن يُشبهه الرغيف بالبدر، لكنه عكس؛ لأن حاجته مأسّة إلى الرغيف فجعله مشبهاً به" (1).

### تقسيم التشبيه باعتبار كل ركن:

84. فَبِاعْتِبَارِ كُلِّ رُكْنٍ اِقْسِمِ أَنْوَاعُهُ.....

يعني: اقسام أنواع التشبيه باعتبار كل ركن؛ فله تقسيم باعتبار الأداة، وتقسيم باعتبار وجه الشبه، وتقسيم باعتبار الأداة ووجه الشبه معاً. وقد تقدم كل ذلك (2).

### ثانياً: المجاز:

..... ثُمَّ الْمَجَازُ فَافْهَمِ  
85. مُفْرَدٌ أَوْ مُرَكَّبٌ وَتَارَهُ يَكُونُ مُرْسَلًا.....

ثم بعد بيان التشبيه يأتي المجاز، فإذا أردت معرفة أقسامه فاعلم وافهم أنه مفرد، وهو: "الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

فخرج بـ"الكلمة المستعملة": الكلمة قبل الاستعمال؛ فإنها لا تسمى حقيقة، ولا تسمى مجازاً. وخرج بـ"غير ما وضعت له": الحقيقة؛ فإنها مستعملة فيما وضعت له.

وقولنا "في اصطلاح التخاطب": إشارة إلى أن المعبر في تحديد المجاز أو

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 97).

(2) ص 259

الحقيقة هو الاصطلاح الذي يقع به التخاطب؛ فالشرعي مثلاً إذا استعمل لفظ الصلاة في الدعاء كانت مجازاً، وإذا استعملها في الأركان الخاصة كانت حقيقة في عرفه، والبلاغي إذا استعمل الكناية في الستر والخفاء؛ كانت مجازاً، ولفظ الدابة إذا استعمل عند أرباب العرف العام في الدلالة على الإنسان كان مجازاً، وإن كانت مستعملة فيما وضعت له في اصطلاح أهل اللغة<sup>(1)</sup>.

"وأما المجاز المركب فهو: اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه؛ أي: تشبيه إحدى صورتين متزعتين من أمرين أو أمور أخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه؛ كما كتب الوليد بن يزيد -لما بويع- إلى مروان بن محمد، وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: "أما بعد، فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت، والسلام"، شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى"<sup>(2)</sup>.

**وقوله: (وتارة): التارة: المرة والحين، وأصلها: تارة، مهموز، فلما كثر استعمالهم لها تركوا همزها. وجمعها: تتر، ومنه يُقال: أتارت إليه النظر أي: أدمته تارة بعد تارة، والتائر: المداوم على العمل بعد فتور، وتاوره: عاوده تارة بعد أخرى<sup>(3)</sup>.**

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 128).

(2) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/ 512).

(3) المعجم الوسيط (1/ 90)، تاج العروس (10/ 275)، لسان العرب (4/ 88).



**\*\*\*يَكُونُ مُرْسَلًا** يعني: وحيناً يأتي المجاز مرسلًا، وهو: "المجاز الذي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي الذي استعمل اللفظ للدلالة به عليه أمراً غير المشابهة"<sup>(1)</sup>.

### الاستعارة:

..... أو استعاره

86. **بِجَعْلٍ ذَا ذَاكَ ادِّعَاءٌ أَوْلَهُ** .....

**(أو استعاره)** أي: وحيناً يكون المجاز استعارة، و"هي: اللفظ المستعمل في غير المعنى الذي وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من أن يكون المراد: المعنى الأصلي.

كما تراه في قول زهير بن أبي سلمى:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ      لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمِ

يريد: أنا عند أسد، أي: رجل جرى مقدام شبهة بالأسد في الجرأة، ثم استعار له اللفظ"<sup>(2)</sup>.

وقد بينها الناظم بقوله: **(بِجَعْلٍ ذَا ذَاكَ ادِّعَاءٌ أَوْلَهُ...)** يعني: الاستعارة: أن يجعل المستعير **(ذَاً)** المشبه **(ذَاكَ)** المشبه به **(ادِّعَاءٌ أَوْلَهُ)** أي: أن يدعي المستعير أن المشبه داخل في جنس المشبه به بطريق التأويل.

(1) البلاغة العربية (2/ 271).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (5/ 103).

## أقسام الاستعارة:

وَهِيَ إِنْ اسْمٌ جِنْسٍ اسْتُعِيرَ لَهُ .....  
87. أَصْلِيَّةٌ أَوْ لَأَفْتَابِعِيَّةٌ وَإِنْ تَكُنْ ضِدًّا تَهَكُّمِيَّةً

فقد قسم الاستعارة باعتبار اللفظ إلى قسمين:

أصلية، وتبعية.

وعرف الأصلية بقوله: (..... وَهِيَ إِنْ اسْمٌ جِنْسٍ اسْتُعِيرَ لَهُ أَصْلِيَّةٌ...) يعني:

إن استعير للفظ اسم جنس (1) فهي أصلية.

(1) اسم الجنس هو: الموضوع للحقيقة الذهنية من حيث هي هي. وهو أقسام:

أ- اسم الجنس الإفرادي؛ وهو: الذي يصدق على القليل والكثير من الماهية "أي: من الحقيقة الذهنية" من غير اعتبار للقلة أو الكثرة. "مثل: هواء، ضوء، دم، ماء" فكل واحد من هذه وأشباهاها يسمى بهذا الاسم؛ سواء أكان قليلاً أم كثيراً.

ب- اسم الجنس الجمعي، وهو: ما يُفَرِّقُ بينه وبين واحده بزيادة تاء التأنيث -غالباً- في آخره".

ومن أمثلته: تفاح وتفاحة -عنب وعنبه- تمر وتمرة -شجر وشجرة- وهذا هو النوع الغالب. وهناك نوع يُفَرِّقُ بينه وبين مفرده بالياء المشددة، مثل: عرب وعربي، جُند وجندي، رُوم ورومي، تُرك وتُرْكِي.

وقد يُفَرِّقُ بينه وبين واحده بالتاء في جمعه، لا في مفرده؛ مثل كَمأة، وكمء.

ج- اسم الجنس الأحادي؛ وهو: الذي يدل على الماهية "أي: الحقيقة الذهنية" ممثلة في فرد غير معين من أفرادها، ولا يمكن تصورها في العقل إلا بتخيل ذلك الفرد غير المعهود، واستحضار صورة له في الذهن؛ مثل: أسامة للأسد. ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح

ألفية ابن مالك (1/401)، النحو الوافي (1/21) (1/24).



(أَوْ لَا فَتَابِعِيَّةٌ) يعني: الاستعارة من جهة اللفظ: أصلية- كما تقدم-، فإذا لم تكن أصلية فهي تبعية، وهي الجارية في المشتقات، وقد سميت تبعية "لأن جريان الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابع لجريانها في مصادرها؛ إذ الأفعال والمشتقات لا تنفك معانيها عن معاني أصولها، وهي المصادر، وإذا تغير معنى الأصل بالاستعارة تغير تبعاً لذلك معنى الفرع المشتق منه" (1).

(وإِنْ تَكُنْ ضِدًّا تَهْكِمِيَّةً) أي: إذا كانت الاستعارة قد استعملت في ضد معناها فإنها تسمى تهكمية، وهي مأخوذة من التهكم، وهو الاستهزاء والاستخفاف، يقال: "تهكم بفلان: اسْتَهْزَأَ بِهِ واستخف" (2).

وقد تقدم أن الاستعارة تنقسم باعتبار المستعار منه والمستعار له إلى قسمين: وفاقية، وعنادية. وقد تقدم معنيهما (3).

وهذه العنادية منها التهكمية والتمليلية، "وهما: لفظ مستعمل في ضده، أي: ضد موضوعه، أو نقيضه، كما مر في التشبيه أن التشبيه قد ينتزع من نفس التضاد لاشتراك الضدين فيه، ثم ينزل منزلة التناسب بواسطة تمليح أو تهكم، فيقال للجبان: "ما أشبهه بالأسد!" وللبخيل: "هو كحاتم" ونحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: 24]؛ فالبشارة والإنذار لا يجتمعان، فالاستعارة عنادية،

(1) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 170)، وينظر: علم البيان (ص: 185)،

البلاغة العربية (2/ 238).

(2) المعجم الوسيط (2/ 990).

(3) ص 283.

ولك أن تقول: استعارة أحد النقيضين للآخر<sup>(1)</sup>.

**قال السكاكي:** "ومن الأمثلة: استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للآخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التمليح على ما سبق في باب التشبيه، ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر والإفراد بالذكر ونصب القرينة كقولك: إن فلاناً تواترت عليه البشارات بقتله ونهب أمواله وسبي أولاده، ويخص هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية أو التمليلية"<sup>(2)</sup>.

### ثالثاً: الكناية:

88. وَمَأْبِهِ لِأَزْمٍ مَعْنَى وَهُوَ لَا مُمْتَنِعًا كِنَايَةً.....

شرح الناظم الآن في الحديث عن تعريف الكناية وبيان أقسامها، فقال:

(وَمَا بِهِ لِأَزْمٍ مَعْنَى وَهُوَ لَا \*\*\* مُمْتَنِعًا كِنَايَةً) فعرف الكناية بأنها: اللفظ الذي

أريد به لازم معناه في حال كونه غير ممتنع من إرادة المعنى الأصلي.

"كما تقول: محمد طويل النجاد<sup>(3)</sup>، فالمعنى الحقيقي لهذا اللفظ: هو: أن

نجداد محمد طويلة وليس هذا مراداً، إنما المراد لازم هذا المعنى وهو: أن محمداً

طويل القامة؛ إذ يلزم عادة من طول النجاد أن تكون القامة طويلة، ويصح مع هذا

إرادة المعنى الحقيقي أيضاً بأن يراد المعنيان معاً - طول النجاد، وطول القامة -،

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 155).

(2) مفتاح العلوم (ص: 375).

(3) (النجاد): حمائل السيف. المعجم الوسيط (2/ 902).



وبهذا تخالف الكناية المجاز؛ ذلك أن قرينة المجاز مانعة من إرادة المعنى الحقيقي كما عرفت من أن نحو: "كلمني أسد" لا يجوز أن يراد منه الحيوان المفترس؛ لأن فيه قرينة تمنع من ذلك، وهو "كلمني"؛ إذ إن الكلام من شأن الإنسان لا من شأن الأسود، أما قرينة الكناية فغير مانعة<sup>(1)</sup>.

"ويقال للراعي: "إنه لضعيف العصا" إذا كان قليل الضرب بها للإبل، شديد الإشفاق عليها.

فإذا كان الراعي جلدًا قويًا عليها قالوا: صلب العصا؛ **ولذلك قال الراجز:**

صلب العصا باق على أذاتها"<sup>(2)</sup>

### وقال الشاعر:

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ      عَلَيْهَا إِذَا مَا أَمَحَلَ النَّاسُ أَصْبَعًا

**يريد:** أنه مشفق على غنمه، لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة، فهو يتخير ما لأن من العصا، فقوله: "ضعيف العصا" لفظ أطلق ولم يرد به حقيقة معناه، وإنما أراد معنى آخر، هو لازمه وتاليه في الوجود، وهو الرفق واللين"<sup>(3)</sup>.

(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 149)، وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (538/3).

(2) البيان والتبيين (3/ 35).

(3) البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 444).

وقول: "إِنَّ لَهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا، أَي: أَثْرًا حَسَنًا"<sup>(1)</sup>.

### أقسام الكناية:

ثم قال:

فأقسام

89. إِرَادَةُ النَّسْبَةِ أَوْ نَفْسِ الصِّفَةِ أَوْ غَيْرِ هَذَيْنِ اجْتِهَادٌ أَنْ تَعْرِفَهُ

بين هنا تقسيم الكناية، فقسمها إلى ثلاثة أقسام:

1- إِرَادَةُ النَّسْبَةِ. " ويراد بها: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه.

نحو قول الشاعر:

الْيَمْنُ يُتْبَعُ ظِلَّهُ      والمجدُ يمشي في ركابه

فالشاعر في هذا البيت بدل أن يصف الممدوح بأنه ميمون الطلعة، قال: إن

اليمن يتبعه أينما سار، واتباع اليمن ظله يستلزم نسبته إليه.

فكناية النسبة كما يتضح من الأمثلة السابقة تتمثل في العدول عن نسبة الصفة إلى

الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتصال به"<sup>(2)</sup>.

2- أن يراد صفة من الصفات. " وهي نوعان:

(أ) كناية قريبة، وهي: ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين

(1) أسرار البلاغة (ص: 353).

(2) علم البيان (ص: 217).



المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه؛ نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:  
رفيع العماد طويل النجا      دسادَ عشيرته أمردا

(ب) **كناية بعيدة**، وهي: ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو: "فلان كثير الرماد" كناية عن المضياف، والوسائط: هي الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب، وهو المضياف الكريم<sup>(1)</sup>.

### 3- أن يكون المطلوب بها موصوفاً.

وهذا معنى قوله: **(أَوْ غَيْرِ هَذَيْنِ اجْتَهَدُ أَنْ تَعْرِفَهُ)** أي: ابذل جهدك للوصول إلى معرفته.

و**"ضابطها"**: أن تصرح بالصفة وبالنسبة، ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة تختص به كما في قولك: "فلان صفا لي مجمع لبه" أي: قلبه فقد صرح في هذه الكناية بالصفة، وهي "مجمع اللب" وصرح بالنسبة، وهي إسناد الصفاء إليها، ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو "القلب" ولكن ذكر مكانه وصف خاص به وهو مجمع اللب؛ فإن القلب - كما يقولون - موضع العقل والتفكير، ومنه قول الشاعر:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أْبْيَضٍ مِخْذَمٍ      وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

يصف القوم بالبسالة، وحسن البلاء في الحروب، وأن سيوفهم لا تعرف غير

(1) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 288).

المقاتل جفوناً، وقد كنى الشاعر بمجامع الأضغان عن القلوب؛ لاختصاص الوصف المذكور بها؛ إذ إن الضغن لا يكون في غير القلب.

### وهذه الكناية أيضاً نوعان:

**الأول:** ما تكون الكناية فيه معنى واحداً، لا تعدد فيه كما تقدم في قولنا: "فلان صفا لبه"؛ فإن مجمع اللب الممكنى به عن القلب معنى واحد كما ترى. والمراد بوحدة المعنى هنا: ألا يكون من أجناس مختلفة، إن كان مثني أو جمعاً، فمجامع الأضغان في قول الشاعر السابق - وإن كان جمعاً - هو معنى واحد من حيث إن مدلوله جنس واحد هو القلب، لا أجناس مختلفة.

**الثاني:** ما تكون الكناية فيه مجموع معانٍ مختلفة؛ كما يقال في الكناية عن الإنسان: "زارني حي، مستوي القامة، عريض الأظافر" فالكناية مجموع هذه المعاني من الحياة، واستواء القامة، وعرض الأظافر، لا كل واحد منها، وهذه المعاني مجتمعة وصف خاص بالإنسان، لا يوجد في سواه<sup>(1)</sup>.

وقد تقدم في الفصل التمهيدي لعلم البيان التفصيل في التشبيه والمجاز والكناية تعريفاً وتقسيمًا وتمثيلاً<sup>(2)</sup>.



(1) المنهاج الواضح للبلاغة (1/152)، وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (3/540).

(2) ص255.





## علم البديع

### فصل تمهيدي

#### تعريفه ونشأته وأقسامه :

#### تعريف البديع لغةً واصطلاحاً :

**البديع في اللغة:** يقال: أبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:9]، **والبديع:** المبتدع، **والبديع:** المبتدع أيضاً، **وبدع** الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه، **والبديع:** المحدث العجيب، **والبديع:** الزق الجديد، والسقاء الجديد، **والبديع:** من أسماء الله عز وجل؛ لإبداعه الأشياء وإحداثه إيّاها، وفي التنزيل: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة:117]، قال أبو إسحاق: يعنني: انه أنشأهما على غير حذاء ولا مثال، **وبديعٌ** فعيلٌ بمعنى فاعل، مثل قديرٍ بمعنى قادرٍ، وهو صفةٌ من صفاته تعالى؛ لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثالٍ تقدمه، وأبدع الشاعر: أتى بالبديع من القولِ المُخترَعِ على غيرِ مثالٍ سابقٍ<sup>(1)</sup>.

**اصطلاحاً:** هو: علم يعرف به تحسين وجوه الكلام بعد رعاية المطابقة

ووضوح الدلالة.

فقوله: "علم يعرف به تحسين وجوه الكلام": أي: يتصور معانيها، ويعلم

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية (3/ 1183)، المحكم والمحيط الأعظم

(2/ 33)، تاج العروس (20/ 307)..

أعدادها وتفصيلها بقدر الطاقة، وقوله: "بعد رعاية المطابقة": أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وقوله: "ووضوح الدلالة" أي: رعاية وضوح الدلالة بالخلو عن التعقيد، للتنبية على أن هذه الوجوه إنما تعد محسنة للكلام بعد رعاية الأمرين<sup>(1)</sup>.

"ومن هنا نتبين أن المناسبة ظاهرة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ لأن من شأن الجديد والمخترع الحديث أن يكون فيه حسن وطرافة وروعة وإمتاع، وهذا مما سوغ التسمية وقرب الصلة بين المعنيين، إلا أنه قد تفرع من القول بأن هذه الألوان محسنات، تفرع من ذلك القول أنها ليست من مقومات البلاغة ولا الفصاحة، فالحسن الذي تحدثه في الكلام عرضي لا ذاتي.

هذا هو قول المتأخرين الذين فصلوا البديع عن علمي البلاغة: المعاني والبيان، إلا أن من رجال العصر الحاضر من له رأي غير هذا حول هذه الأصباغ البديعية، إذا جاءت فطرية كما وجدت في الأدب العربي القديم، واتفقت اتفاقاً واطردت كما هي في كلامهم حيث تأتي عفو الخاطر، وفيض الفطرة السليمة، من غير تكلف وإعمال فكر، فإن كانت بهذه الصورة فهو لا يرى أنها عرضية تابعة للبلاغة، أو أنها لا تأثير لها في فن القول"<sup>(2)</sup>.

يقول أبو هلال العسكري: "إن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة"<sup>(3)</sup>.

(1) المطول (652).

(2) البديع عند الحريري (ص: 295).

(3) الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 267)..



## نشأة علم البديع وتطوره:

**من المعلوم بالبداهة** أن الأدب العربي جاء منذ الجاهلية صورة حية لحياة العرب وصدقهم في نقل مشاعرهم وأحاسيسهم، كما جاء معبراً عن طبيعة القوم وميلهم إلى الاسترسال والطبع، والبعد عن التكلف والصنعة، فهو يصور البداوة وما فيها من خشونة وشظف ورعونة واضطراب، وما فيها من رقة المشاعر وإرهاف الملكات ودقة الحس، فأدبهم مرآة صادقة انعكست عليها أخلاقهم، وتمثلت فيها حقيقة حالهم؛ ولذا كان له سحر أخذ بالألباب وبالعقول، فهم إذا خطبوا أثاروا المشاعر، وأيقظوا الوجدان، وألهبوا النفوس، وإذا نظموا القصيد أخذوا بمجامع القلوب، وسحروا الألباب والأفئدة، سالكين أقرب السبل لا يتعملون ولا يتكلفون ولا يتأنقون.

**يقول الجاحظ:** وكلّ شيء للعرب فإنما هو بديهته وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجمالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتثال الألفاظ انثيالا.

وعلى الرغم من وجود طائفة من الشعراء عنوا بشعرهم وحرصوا على تجويده، فلا يخرج على الناس إلا بعد تثقيفه وتهذيبه، فإن حرص هؤلاء وعنايتهم ليست إلا إعادة نظر في الشعر بعد إنشائه، حتى إنهم كانوا يدعون القصيدة تمكث

عندهم حولاً كاملاً يرددون فيها النظر ويقلبون فيها الرأي، فلم يخرج صنيعهم هذا عن دائرة الطبع. وكان من هؤلاء زهير والنابعة والحطيئة وأطلق عليهم اسم عبيد الشعر.

وانسياق الشعراء مع الطبع ونبذهم التكلف جعلهم لا يهتمون بالصنعة البديعية، فلم يتعمدوا جناساً ولم يقصدوا إلى تورية ولم يتكلفوا طباقاً، ولم يقبوا عن سجع، عدا طائفة من الكهان اشتهرت بحرصها على نوع من السجع أطلق عليه "سجع الكهان".

ومع ذلك قد كثر في أدبهم ألوان البديع التي جاءت عفو الخطر من غير أن يعرفوا لها أسماءها التي أطلقت عليها فيما بعد؛ فقد جاء الطباق في قول امرئ القيس:

مِكْرٌ مَقْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا      كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلِ

وجاءت المشاكلة في قول عمرو بن كلثوم:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا      فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

كما جاء اللف والنشر في قول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

وجاء التقسيم في قول زهير:

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ:      يَمِينٌ أَوْ نَفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ



وجاء أيضًا في كلامهم تأكيد المدح بما يشبه الذم في قول النابغة مثلاً:  
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ      بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
 وغير ذلك من الألوان التي تناثرت بكثرة، وكثرت أمثلتها في الشعر الجاهلي،  
 ولم يقصد الشعراء إليها قصدًا وإنما جاءت عفوَ خاطر دون تعمل أو تكلف.  
 ولما جاء الإسلام ونزل القرآن الكريم كان للدين الجديد والقرآن الكريم  
 أثرهما الذي لا يجحد على عواطف العرب ومشاعرهم، وجميع مناحي حياتهم،  
 فهدأ عواطفهم الثائرة، وأرهم مشاعرهم، وتشربت جوانب حياتهم روح القرآن  
 ومعانيه، ولا عجب إذا ظهر أثر القرآن ومعانيه وروحه في أديهم، فهو الآية والغاية  
 وإليه المنتهى في بلاغة القول.

ومن آثاره في أدباء العرب: أن جاء شعرهم مهذبًا في لفظه وأساليبه، فرقت  
 الألفاظ وأحكمت الأساليب، فضلاً عن المعاني والأغراض التي دارت حول  
 الدعوة وصاحبها، وحول القرآن الكريم الذي أدهشهم ومَلَكَ عقولهم، وإن كان  
 الطابع العام للشعر الإسلامي بقي كما كان في العصر الجاهلي، فلم يبتكر شعراء  
 الإسلام مذهبًا جديدًا في الشعر، كما بقيت الصناعة اللفظية كما هي موضع اهتمام  
 القوم دون تعمل أو استكراه.

ولو فتشنا عن ألوان البديع في هذا العصر لوجدنا أن القرآن الكريم اشتملت  
 آياته على كثير من الألوان البديعية، التي جاءت في أعلى درجات الروعة والجمال.  
 فمن الطباقي: جاء قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُرْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ

عَوْنِ الْبَدِيعِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ مِائَةِ الْمَعَانِي وَالْيَبَانِ وَالْبَدِيعِ

وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ﴿آل عمران: 26﴾، ومن المقابلة: قوله: ﴿فَلْيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: 82]، ومن مراعاة النظير: جاء قوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ \* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: 5، 6]، ومن الإحصاء: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]، وغير ذلك كثير في القرآن الكريم.

**وفي أحاديث النبي ﷺ** جاء الجناس والسجع: (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا)، وجاء الجمع في قوله: (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مَعَاذِي فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا).

وهذا قليل من كثير من الألوان البديعية التي زخر بها الحديث النبوي الشريف.

كما جاء الأدب الإسلامي شعره ونثره وقد تناثرت فيه ألوان البديع التي جاءت على سجية القوم وفطرتهم، ولا غرابة أن تبقى الفطرة العربية الخالصة هي المسيطرة وهي الموجهة، فالقوم ما زالوا يعتزون بعروبتهم ويفخرون بها، ولا تزال الصحراء هي مقام الكثيرين منهم، ولم يكن قد بعد عهدهم بها، كما كانوا يأنفون من مخالطة غيرهم من الأعاجم.

فمن ألوان البديع: العكس والتبديل في قول عبد الله بن الزبير:

فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا      وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا

والطباق في قول الفرزدق:



لَعَنَ الْإِلَهَ بَيْيَ كَلِّبِ إِنَّهُمْ      لَا يَغْدُرُونَ وَلَا يَفُونَ لِحَارِ  
يستيقظون على نهيق حمارهم      وتنام أعينهم عن الأوتار

### وجاء الجناس في قول جرير:

وما زال معقولاً عقالٌ عن النَّدى      وما زال محبوساً عن المجدِ حابسُ

ومنه قول أعرابي وقف على مجلس الحسن البصري فقال: "رحم الله عبداً أعطى من سعة، أو آسى من كفاف، أو أثر من قلة"، فقال الحسن: ما ترك لأحد عذراً.

وغير ذلك من الألوان البديعية التي كثرت كثرة فائقة في الأدب الإسلامي، لكنها -كما أشرنا- لم تأت عن تعمل أو تكلف، ولكنها سايرت الطبع العربي السليم والفضيلة النقية المستقيمة.

ثم أخذت الحياة العربية تسير بخطى واسعة، وتقفز قفزات سريعة، فما أن جاءت الدولة العباسية حتى وجد العرب أمامهم أبواباً من الرفاهية والترف والحضارة صبغت حياتهم بصبغة جديدة، ووجدوا أمامهم علوم الأمم التي فتحوها وثقافات تلك الأمم، فانكبوا عليها يحصلونها جادين متلهفين، كما زالوا صناعات تلك الأمم ومهاراتهم ونقلوها عنهم، كل ذلك جعلهم في أسمى درجات الحضارة وفي أرفع قمم المدنية، فعم الأمن وكثر الخير وتعددت مناحي الرزق، فرتعوا في بحبوحة العيش، ورفلوا في أبهى أنواع الحلل، وارتدوا الخز والديباج، واستبدلوا بالعباءة المطارف والغلائل.

كما تغيرت أصول عاداتهم وأخلاقهم، فتعددت الحياة العربية، وغطت عليها أساليب المدنية والتحضر، والشعر كما هو معروف مرآة تنعكس عليها حياة الأمم، ولسان يترجم عن أحوالها وجوانب حياتها، ومن الطبيعي أن يتأثر الشعر بهذه الحياة الجديدة فيلبس حُللاً من الزخرف والزينة والتنميق، ونظر الشعراء في شعر أسلافهم الأقدمين، فوجدوا أن الأقدمين صرفوا همهم إلى المعاني، وكان لهم بها فضل عناية، فمعاني الفخر والمديح والغزل والرثاء وغيرها طُرقت منذ قرون، كما وجدوا أن الأقدمين سبقوا إلى الألفاظ القوية والعبارات الجزلة والأساليب المرضية؛ فصرفوا همهم إلى الصياغة ليلبسوها أبهى حلل البيان، وأسمى صفات الكلام، وذلك لا يتأتى إلا بالزخرف والزينة والبهرج والتوليد في المعاني، فكلفوا بها وتعمدوها.

وقصدوا إلى الشعر القديم يلتمسون منه هذه الألوان، ويتفننون فيها، فاجتمع لهم منها الكثير من طباق إلى جناس إلى تورية إلى مشاكلة وغير ذلك، وأطلقوا على كل ذلك اسم البديع، وشتان بين هذه الألوان في شعر الأقدمين وشعر المحدثين؛ فقد جاءت في شعر الأقدمين تسابير الطبع وتقع موقعها دون قصد لها أو تكلف، بينما جاءت في شعر المحدثين عن تعمد وقصد وتكلف.

**قال الجرجاني:** "فلما أفضى الشعر إلى المحدثين، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميَّزها عن أخواتها في الرشاقة واللفظ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسمَّوه البديع؛ فمن محسن ومسيء، ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفرط".

وأصبح البديع بذلك صنعة لها روادها من أمثال بشار بن برد، ومسلم بن



الوليد، والعتابي، ومنصور النمري، وأبي نواس، وأبي تمام، والبحثري، وعبد الله بن المعتز، فقد كان الواحد من هؤلاء يقصد إلى تلك الأصباغ ويكثر منها في شعره، ولكنهم لم يكونوا سواء في تلك الصنعة من حيث الإقلال والإكثار والتسهيل والتوعر والطابع والاتجاه.

وقد أدى هيام الشعراء بهذه الألوان وإفراطهم في تناولها إلى تركهم جانب المعاني، وعدم اكرائهم بجزالة الألفاظ واستقامتها. مما حداً بكثير من علماء اللغة والأدب أن ينتصروا للقديم، وأن يتعصبوا له، وأن يقفوا في وجه كل جديد موقفاً متشدداً، مقللين من شأن ما يأتي به المحدثون، منكرين عليهم إكثارهم من ألوان البديع وكلفهم بها. وقد بالغ كثير من النقاد وعلماء اللغة في التعصب للقديم والميل إليه، حتى إن بعضهم كان يستحسن القديم لقدمه، ويستهجى المحدث لحدثه، دون نظر لعناصر الجمال أو القبح في هذا أو ذاك.

وإلى جانب هذه الطائفة التي تعصبت للقديم طائفة أخرى من الشعراء والنقاد تعصبوا للمحدثين، وانتصروا للبديع وعدوا الإكثار منه في الشعر تفتناً في ضروب القول ودليلاً على شاعرية الشاعر.

وعلى أي حال، فإن هذه المعركة بين أنصار القديم وأنصار الحديث لم تذهب أدرج الرياح، بل أثمرت ثمرة طيبة كان لها قيمتها في تاريخ هذا الفن، ذلك أن أحد المولعين بالأصباغ البديعية وهو الشاعر الخليفة: عبد الله بن المعتز، المتوفى سنة 296، عن له أن يسجل ألوان البديع التي كثر في الشعر، وأن يحولها

إلى قواعدَ وأصول، فكان له ما أراد بكتابه الذي يعد أول التأليف في هذا العلم وهو كتابه (البديع).

ويبدو أنه ألف هذا الكتاب ردًا على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد الأنصاري وأبا نواس هم السابقون إلى استعمال البديع في شعرهم.

وعن ذلك يقول في مقدمة كتابه: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع؛ ليعلم أن بشارًا ومسلمًا وأبا نواس ومن تقيّلهم وسلك سبيلهم؛ لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه".

وظل علم البديع كغيره من العلوم يتطور ويتوضح، حتى صار علمًا قائمًا بذاته، يعرف اليوم بعلم البلاغة التي تشمل ما نعرفه اليوم من علم المعاني وعلمي البديع والبيان.

**ولا يفوتنا أن نذكر** أن علوم البلاغة هذه مرت قبل أن تتوضح حدودها وتقر مصطلحاتها، بمرحلة كانت فيها تعرف بما سمي "علم البديع"، الذي هو أحدها، وأن أصولها تضرب -كما قلنا- إلى العصر الجاهلي، وأن أول من حاول وضع مصطلحات بديعية هو الشاعر العباسي مسلم بن الوليد، المعروف بصريع الغواني المتوفى سنة 208، الذي وضع مصطلحات لبعض الصور البيانية والمحسنات اللفظية، من مثل الجناس والطباق.



فكانت له محاولة في وضع أوليات لهذا العلم، وهو شاعر اشتهر بإجادة المدح من مثل قوله في مدح يزيد بن يزيد:

تلقى المنية في أمثال عدتها      كالسيف يقذف جلمودًا بجلمود  
تجود بالنفس إن ضن الجواد بها      والجود بالنفس أقصى غاية الجود

### وقوله أيضًا:

موفٍ على مهج في يوم ذي رهج      كأنه أجل يسعى إلى أمل  
ينال بالرفق ما تعيا الرجال به      كالموت مستعجلًا يأتي على مهل

**ويقول الأمدى:** "وعلى أن مسلمًا أيضًا غير مبتدع لهذا المذهب، ولا هو أولٌ فيه، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع - وهي: الاستعارة، والطباق، والتجنيس - منشورة متفرقة في أشعار المتقدمين، فقصدها، وأكثر في شعره منها".

**ونذكر** أن أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ توسع قليلاً في ذكر البديع، دون أن يضع في كتابه "البيان والتبيين" تعريفات أو مصطلحات، بل بقي البديع عنده يعني الصور والمحسنات اللفظية والمعنوية معاً<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 297)، البيان والتبيين (3/ 20)، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره (ص: 34)، البديع في البديع لابن المعتز (ص: 73)، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري (1/ 14)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (6/ 1) مقدمة المحقق، علم البديع، لعتيق (ص: 13).

## واضع علم البديع والتأليف فيه:

1- **قالوا:** إنَّ أوَّلَ من دَوَّنَ في هذا الفنِّ: عبد الله بن المعتزَّ العباسي؛ إذ جمع ما

اكتشفه في الشعر من المحسنات وكتب فيه كتاباً جعل عنوانه عبارة: "البديع".

ذكر في كتابه هذا سبعة عشر نوعاً، وقال: ما جمع قبلي فنون البديع أحد، ولا

سبقني إلى تأليفه مؤلف، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره.

وتحول البديع بهذا المؤلف من أصباح تتناثر في الشعر ويهتم بها الشعراء

وحدتهم إلى قواعد وأصول يضمها كتاب مستقل، ويعضدها جامعها بالشواهد

والأمثلة التي توضح معانيها، وتبين طرائقها، وكان الباعث على تأليف هذا

الكتاب هو الدفاع عن أنصار البديع، وأن يثبت ابن المعتز أن هذه الألوان معروفة

في العربية منذ القديم، وأن كثيراً منها ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي

الشريف، وقد صرَّح بهذا الهدف في مقدمة كتابه بقوله: "إنما غرضنا في هذا الكتاب

تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع، وفي

دون ما ذكرنا مبلغ الغاية التي قصدناها".

فابن المعتز بوضعه كتاب البديع قد قام بالمحاولة الأولى في سبيل استقلال

هذا العلم البلاغي، وتحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بمباحث علم

المعاني وعلم البيان، كما وجه أنظار الناس إلى أن البديع كان موجوداً في أشعار

الجاهلية وصدر الإسلام، ولكنه كان مفترقاً يأتي عفواً، ثم جاء الشعراء المحدثون

من أمثال: بشار ومسلم بن الوليد وأبي نواس وأبي تمام فأكثروا منه في أشعارهم

وقصدوا إليه.



وكان مما استحدثه ابن المعتز في كتابه أيضًا: وضع مصطلحات لأنواع البديع في زمنه، ونقد ما أتى معيياً من كل نوع.

وإذا كان عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471 للهجرة وصاحب كتابي: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، هو واضع نظرية علم البيان وعلم المعاني؛ فإن عبد الله بن المعتز هو واضع علم البديع، كما يفهم ذلك من كتابه هذا.

ثم إن حبيب بن أوس الطائي أبا تمام من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وفرغ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبي الإفراط وثمره الإسراف. وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادرًا، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل".

وجاء من بعده من أضاف أنواعاً أخر، منهم على ما ذكر البلاغيون:

2- **جعفر بن قدامة**، المتوفى سنة (319هـ)، فقد ألف كتاباً سماه "نقد قدامة" ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً من أنواع البديع، إضافةً إلى ما سبق أن اكتشفه من قبل عبد الله بن المعتز العباسي.

3- **ثم أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري**، المتوفى سنة (395هـ)، فقد جمع سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع.

4- **ثم ابن رشيق الحسن بن رشيق القيرواني** المتوفى سنة (463هـ)، فجمع في كتابه "العمدة" قرابة سبعة وثلاثين نوعاً من أنواع البديع.

5- ثم شرف الدين أحمد بن يوسف القيسيّ التيفاشي " من أهل "تيفاش" وهي إحدى قرى "قفصة" بإفريقية، ووفاته في ( 651هـ ).

6- ثم جاء عبد العظيم المشهور بابن أبي الإصبع العدواني، له تصانيف حسنة، منها كتابه "بديع القرآن" في أنواع البديع الواردة في القرآن، ووفاته (654هـ) وقد أوصل الأنواع إلى تسعين نوعاً.

ومما كتب في البديع ما يسمى بالبديعيات، وهي: أن تكون القصيدة في مدح رسول الله ﷺ، ولكن كل بيت من أبياتها يشير إلى فن من فنون البديع.

والتعريف الخاص لها: أن البديعية قصيدة طويلة في مدح النبي محمد ﷺ علي بحر البسيط، وروي الميم المكسورة، يتضمن كل بيت من أبياتها نوعاً من أنواع البديع يكون هذا البيت شاهداً عليه، وربما رُوِيَ باسم النوع البديعي في البيت نفسه في بعض القصائد.

وهذه البديعيات هي معارضة لميمية البوصيري في مدح النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ المسماة بالبردة، التي أولها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بَنِي سَلَمٍ	مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلْمَاءِ مِنْ إِصْمٍ
فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قُلْتَ اكْفَفَاهُمَا	وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفَقَ بِهِم

7- فجاء صفي الدين عبد العزيز بن سرايا السنبسي الطائي الحلبي، وهو



معروف باسم "صفي الدين الحلبي" وُلد في الحِلَّة "بين الكوفة وبغداد"، ولادته ووفاته: (677-750 هـ).

ويعد الحلبي أب البديعيات والتي ظهرت في القرن الثامن الهجري، وبهذا جاءت بديعية الحلبي كتاباً علمياً في فن البديع؛ بحثاً وأمثلة حية على كل الأنواع، وكان مطلع هذه البديعية:

إِنْ جِئْتَ سَلْعًا فَسَلِّ عَنْ جِيرَةِ الْعِلْمِ      وَأَقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى عَرَبِ بَدِي سَلَمٍ

وهذه البديعية تحتوي على مئة وخمسة وأربعين بيتاً فيها مئة وأربعون لوناً بديعياً يمكن جمع بعضها في بعض.

### ومن الذين نسجوا على منوال بديعية صفي الدين الحلبي:

1- عزّ الدّين علي بن الحسين الموصلي، توفي في دمشق في (789هـ) له مؤلف سمّاه "بديعية" وشرحه، فذكر في كتابه ما ذكر صفي الدين الحلبي، وزاد زيادة يسيرة من ابتكاره.

2- علي بن الحسين عز الدين الموصلي، المتوفى سنة (789هـ) وسمى بديعيته "التوصيل بالبديع إلى التوسل بالشفيع".

ومطلع بديعية عز الدين الموصلي قوله:

بِرَاعَةِ تَسْتَهْلِ الدَّمْعِ فِي الْعِلْمِ      عِبَارَةٌ عَنْ نَدَاءِ الْمَفْرَدِ الْعِلْمِ

3- شهاب الدين أحمد العطار (794هـ)، وسمى بديعيته "الفتح الإلبي في

مطارحة الحلبي".

4- عيسى بن الحجاج بن عيسى بن شداد العسدي، المتوفى سنة (807هـ) عارض بهذه البديعية الحلبي، لكنه جعل القافية "راء".

5- شعبان الأثاري، ابن محمد بن داود المتوفى سنة (828هـ)، وسمى بديعيته: "بديع البديع في مدح الشفيح".

6- أبو بكر علي بن حجة الحموي (837هـ)، وسمى بديعيته: "تقديم أبي بكر" اشتملت هذه البديعية على مئة وستة وثلاثين نوعاً بديعياً في مئة وثلاثة وأربعين بيتاً.

ومطلعها:

لي في ابتداء مدحكُم يا عَرَبَ ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم

وقد شرحها في كتابه: "خزانة الأدب وغاية الأرب".

7- الحميد عبد الرحمن بن أحمد بن علي، وسمى بديعيته "فتح البديع بشرح تلميح البديع بمدح الشفيح"، فرغ من تأليفها سنة (992هـ)، وهي في مئة وأربعين بيتاً تحوي مئة وثمانية وستين صنفاً بديعياً. وهذا دليل على إضافته أجناساً أخرى على بديعية الحلبي.

8- بديعية ابن جابر:

وأولها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم وانشر له المدح وانثر طيب الكلم



9- بديعية جلال الدين السيوطي:

وأولها:

من العقيق ومن تذكاري ذي سلم براعة تستهل الدمع في العلم

10- بديعية ابن معصوم:

وأولها:

حسنُ ابتدائي بذكرى جيرة الحرم له براعة شوق تستهل دمي<sup>(1)</sup>

### أبواب علم البديع:

تنقسم إلى محسنات معنوية، ومحسنات لفظية:

**المحسنات المعنوية:** هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية معنوية قد يكون بها أحياناً تحسينٌ وتزيين في اللفظ أيضاً، ولكن تبعاً لا أصالة<sup>(2)</sup>.

ومن أنواعها:

المطابقة- المقابلة- المشاكلة- الاستخدام- التورية- اللف والنشر-  
التجريد- مراعاة النظر- التوجيه ويسمى الإيهام- الاقتباس- الجمع- التفريق-

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/369)، البلاغة 1- البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 304)،  
البديع في البديع لابن المعتز (ص: 75) (ص: 21) (ص: 152) (ص: 58) (ص: 74)، علم  
البديع، لعتيق (ص: 15)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 318)، أرشيف ملتقى  
أهل الحديث - 5 (211/90)، أرشيف منتدى الفصيح - 2 (ص: 0).

(2) البلاغة العربية (2/369).

التقسيم - المبالغة - حسن التعليل - ائتلاف اللفظ مع المعنى - حسن الابتداء -  
حسن الختام.

**المحسنات اللفظية:** هي ما يشتمل عليه الكلام من زينات جمالية لفظية، قد يكون بها تحسين وتزيين في المعنى أيضاً، ولكن تبعاً لأصالة<sup>(1)</sup>.

### ومن أنواعها:

الجناس - السجع والازدواج - لزوم ما لا يلزم - الاقتباس والتضمين  
والإيداع - رد العجر على الصدر - العكس - التشريع - الترصيع - المواربة -  
ائتلاف اللفظ مع اللفظ - التسميط - الانسجام أو السهولة - الاكتفاء - التطريز.

**وسنكتفي في هذا الكتاب بشرح ما ذكره الناظم،** من غير استقصاء لجميع تلك  
المحسنات التي ذكرها أهل البديع.

### تنبيهان:

**الأول:** ردّ بدر الدين ابن مالك المحسنات البديعية التي عرض لها في كتابه "  
المصباح" إلى الفصاحة اللفظية والمعنوية، مجارياً في ذلك السكاكي وغيره من  
أصحاب البديع المتقدمين عليه.

ولكنه انفرد عنهم جميعاً بجعل المحسنات البديعية المعنوية قسمين:  
قسماً يعود إلى الإفهام والتبيين، مثل: المذهب الكلامي، والتميم،

(1) البلاغة العربية (2/ 369).



والتقسيم، والاحتراس، والتذليل، والاعتراض، والتجريد، والمبالغة.

وقسماً يعود إلى التزيين والتحسين، مثل: اللف والنشر، والجمع مع

التقسيم، والجمع مع التفريق<sup>(1)</sup>.

**الثاني:** أجمع العلماء على أن هذه المحسنات - لا سيما اللفظية منها - لا تقع

موقعها من الحسن، إلا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشاعر، أو الناثر مندوحة

عنها؛ لذلك لا يجمل الاسترسال فيها، والولع بها؛ لأن المعاني لا تدين للألفاظ في

كل موضع، ولا تنقاد لها في كل حين<sup>(2)</sup>.



(1) علم البديع، لعتيق (ص: 54).

(2) المنهاج الواضح للبلاغة (1/163).



### تعريف علم البديع:

قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:

90. عِلْمُ الْبَدِيعِ وَهُوَ تَحْسِينُ الْكَلَامِ بَعْدَ رِعَايَةِ الْوُضُوحِ وَالْمَقَامِ

في هذا البيت يعرف الناظم علم البديع - كما عرفه القزويني -، ولكون النظم لا يمكن فيه استيعاب ذلك التعريف فقد اختصر الناظم منه بعض العبارات، فهذا العلم تعريفه - كما تقدم - هو: علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية وضوح الدلالة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال.

تقسيم علم البديع إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية:

قال الناظم:

91. ضَرَبَانِ لَفْظِيٌّ كَتَجْنِيسٍ وَرَدٌّ وَسَجْعٌ أَوْ قَلْبٌ وَتَشْرِيعٌ وَرَدٌّ

(ضربان): تشية ضرب، وهو: الصنف والنوع، وهو خبر لمبتدأ محذوف

تقديره: وهو.

(لفظي): أي: راجع إلى اللفظ، ولفظي: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أولهما.



## أولاً: المحسنات اللفظية:

ثم مثل الناظم ببعض الأنواع للمحسنات اللفظية فقال: **(كتجنيس)**:

### 1- الجناس:

**ويسمى أيضاً "التجنيس"**، وهو في اللغة: المشاكلة، والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جأنسه، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسه.

**والجناس في الاصطلاح:** أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى.

وهو فنٌ بديعٌ في اختيار الألفاظ التي توهم في البدء التكرير، لكنها تفاجئ بالتأسيس واختلاف المعنى.

ويُشترط فيه أن لا يكون متكلفاً، ولا مُستكرهاً استكراهاً، وأن يكون مستعذباً عند ذوي الحسّ الأدبي المرهف، وقد نقر من تصنّعه وتكلفه كبارُ الأدباء والنقاد.

**قال ابن حجة الحموي:** "أما الجناس فإنه غيرٌ مذهبي ومذهبٍ من نسجتُ على منواله من أهل الأدب".

**لقد قسم علماء البديع الجناس إلى ستة أنواع ذوات فروع:**

**النوع الأول: الجناس التام:** وهو: ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور: في نوع الحروف. وفي هيئتها (أي: في حركاتها وسكناتها). وفي عددها. وفي ترتيبها.

**واشتقوا من هذا النوع الأول خمسة فروع:**

**الفرع الأول: المماثل.** وهو: الجنس التام الذي يكون اللفظان المتشابهان فيه من نوع واحد من أنواع الكلام، كاسمين، أو فعلين؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الآية: 55].

**الفرع الثاني: المُستوفى.** وهو: الجنس التام الذي يكون اللفظان المتشابهان فيه من نوعين مختلفين من أنواع الكلام؛ كأن يكون أحدهما اسماً والآخر فعلاً؛ كقول أبي تمام:

مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ ... يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

**الفرع الثالث: المتشابه.** وهو: الجنس التام الذي يكون أحد اللفظين المتشابهين فيه مركباً من كلمتين فأكثر مع اتفاقهما في الخط؛ كقول أبي الفتح البستي:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَهُ فَدَعَاهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَهُ

"ذاهبه" الأول: أي: صاحب هبة. والثاني: اسم فاعل من الذهاب.

**الفرع الرابع: المفروق.** وهو: الجنس التام الذي يكون أحد اللفظين المتشابهين فيه مركباً من كلمتين فأكثر مع اختلافهما في الخط؛ كقول أبي الفتح البستي:

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا مَ وَلَا جَا مَ لَنَا  
مَا الَّذِي صَرَّ مُدِيرَ الْجَا مَ لَوْ جَا مَلْنَا

**الجام:** إناء للشراب من فضة أو نحوها. وَلَا جَا مَ لَنَا: أي: ليس لنا هذا الإناء،



لَوْ جَا مَلْنَا: أَي: لَوْ عَا مَلْنَا بِالْجَمِيلِ.

**الفرع الخامس: المَرْفُوءُ. وهو:** الجنس التام الذي يكون أحد اللفظين المتشابهين فيه مركباً من كلمة وبعض كلمة أخرى؛ كقول الحريري:  
وَالْمَكْرُمَهُمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِيهِ لِيَتَّقَتْنِي السُّؤْدُدُ وَالْمَكْرُمَهُ

**النوع الثاني: الجنس المحرّف. وهو:** ما اختلف فيه اللفظان في هيئة الحروف، واتفقا في نوعها وعددها وترتيبها.

**مثل:** "الْبُرْد" بمعنى الكِسَاء، وهو: كِسَاءٌ مُخَطَّطٌ يُلْتَحَفُ بِهِ، و"الْبُرْد" بمعنى: انخفاض درجة الحرارة، و"الْبُرْد" بمعنى: الماء الجامد الذي ينزل من السماء؛ فحروف هذه الكلمات متفقة في نوعها وعددها وترتيبها، لكنّها مختلفة في هيئتها؛ فالباء مضمومة في الأولى، ومفتوحة في الثانية مع سكون الراء، ومفتوحة في الثالثة مع فتح الراء.

ومن أمثلة الجنس المحرّف: قولهم: "الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشُّرْكِ".

**النوع الثالث: الجنس الناقص. وهو:** ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب.

واشتقوا من هذا النوع الثالث أربعة فروع، وهي ما يلي:

**الفرع الأول: المَرْدُوف. وهو:** ما كان الحرف الأول هو الناقص في أحدهما، مثل قوله تعالى:

﴿وَالْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ \* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ﴾ [القيامة: 29 - 30].

**الفرع الثاني:** المكتنف. وهو: ما كان الحرف الناقص في وسط أحدهما، مثل: "السَّكَرَانَ بَلَدَاتٍ دُنْيَاهُ هُوَ الْمَجْنُونُ، وهو لا يَصْحُو مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ رَيْبُ الْمُنُونِ".

**الفرع الرابع:** المذليل. وهو: ما كان الناقص في آخر أحدهما أكثر من حرف، فيكون مقابله بمثابة ما له ذيل.

ومنه قول الخنساء من قصيدة ترثي فيها أخاها صخرًا:

إِن الْبُكَاءَ هُوَ الشُّفَا      ءُ مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ (1)

**النوع الرابع:** الجناس المصارع. وهو: ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحدٍ منهما مع تقاربهما في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر؛ مثل: "الخييل" و"الخير".

**النوع الخامس:** الجناس اللاحق. وهو: ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحدٍ منهما غير متقاربين في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر؛ مثل: "تَقْهَر" و"تَنْهَر" فالقاف والنون غير متقاربين في النطق.

**النوع السادس:** الجناس المزدوج. ويُسمَّى "المكرر" و"المردّد" وهو: أن يلي أحد المتجانسين الآخر، ومنه: وقولهم: "مَنْ جَدَّ وَجَدَّ"، "من قرعَ بابًا ولجَّ ولجَّ".

(1) الجوى: الحرقّة وشدة الوجد. الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر.



**النوع السابع:** جناسُ القلب. وهو: ما اختلف فيه ترتيب حُرُوفِ اللَّفْظَيْنِ، واتفقا في النَّوعِ وَالْعَدَدِ وَالْهَيْئَةِ.

**واشتقوا من هذا النوع ثلاثة فروع:**

**الفرع الأول:** قَلْبُ الْكُلِّ. وهو: أن تكون حروف كلِّ مِنْهُمَا على عَكْسِ حروف الآخر، مثل: "فتح" و"حتف".

**الفرع الثاني:** قَلْبُ بَعْضٍ. وهو: أن يكون بَعْضُ حروفِ أَحَدِهِمَا على عَكْسِ بعضِ حروف الآخر منهما، ومنه قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أدعيته: (اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا).

**الفرع الثالث:** المقلوبُ المجنَّح. وهو: أن يكون أحد اللَّفْظَيْنِ من جناس القلب في أوَّل البيت من الشعر، أو الفقرة من النثر، والآخر في آخر البيت، أو في آخر الفقرة، ومنه قول ابن بُبَّاتَةَ:

سَاقٍ يُرِينِي قَلْبُهُ قَسْوَةً      وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسٍ

أي: وكلُّ لفظ "ساق" إذا قلبته بعكس حروفه فهو "قاس".

**النوع الثامن:** الجناسُ المصحَّف. ويسمى جناس الخطِّ، وهو: أن يتشابه اللفظان في الكتابة مع اختلافٍ في نَقَطِ الحروف، ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الشعراء: 79 - 80] (1).

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/ 485)، وما بعدها، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي

## 2- رد العجز على الصدر:

وهو: كل كلام منشور أو منظوم يلاقى آخره أوله بوجه من الوجوه.

نحو قوله تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: 37].  
ونحو: "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل".

**وفي الشعر:** أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول،  
أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني؛ فالأول كقوله:

## كقول الشاعر:

سُكْرَانِ سُكْرَ هَوَى وَسُكْرَ مَدَامَةٍ      أَسَى يُفِيقُ فَتَى بِهِ سُكْرَانِ

## والثاني كقول الحماسي:

تَمَّتْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ      فَمَا بَعْدَ الْعَشِيِّ مِنْ عَرَارِ

## والثالث كقوله أيضاً:

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ مُغْرَمًا      فَمَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبِ مُغْرَمًا

## والرابع كقول الحماسي:

وَإِنَّ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ      قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

## والخامس كقول القاضي الأرجاني:

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكُمْ سَفَاهًا      فدَاعِي الشُّوقِ قَبْلَكُمْ دَعَانِي



والبقية تراجع في مظانها<sup>(1)</sup>.

### 3- السجع:

**السجع في اللغة:** الكلام المقفَّى، أو موالة الكلام على روي واحد، و**جمعه:** أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من سَجَع الحمام، وسجع الحمام هو: هديله وترجيعة لصوته.

**وفي الاصطلاح:** تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد، أو على حرفين متقاربين، أو حروف متقاربة.

**قال أعرابي** ذهب السَّيْلُ بَابِنِه: "اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ قَدْ أَبْلَيْتَ، فَإِنَّكَ طَالَمَا قَدْ عَافَيْتَ".

### أقسام السجع:

من الدقة في التقسيمات والتفصيلات لدى علمائنا الأقدمين تقسيمهم السَّجع إلى عدَّة أقسام، هداهم إليها واقع الأمثلة التي نظرنا في شرحها وتحليلها، مع النظر في الاحتمالات العقلية التي تتعرَّض لها الجُمَل المسجوعة في اللسان العربي.

فقسَّموا السَّجع إلى عدَّة أقسامٍ، ووضعوا لها أسماء اصطلاحية **فمن ذلك:**

(1) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (7/ 109)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 649)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 294)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 359).

**أولاً:** من جهة بناء كلمات السجعتين واتفاقهما في الوزن والحرف الأخير منها أو عدمه ظهرت **لهم ثلاثة أقسام:**

**القسم الأول:** التَّرْصِيع، ويقال فيه: السَّجْعُ المَرْصَعُ، وهو: أن تكون الألفاظ المتقابلة في السَّجْعَتَيْنِ متفقةً في أوزانها وفي أعجازها، أي: في الحرف الأخير من كلِّ متقابلين فيها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25 - 26].

فالتقابلُ في كَلِمَاتِ الفقرتين يُلاحَظُ فيه الاتفاقُ في الأوزان وفي الحرف الأخير.

**القسم الثاني:** المتوازي، ويقال فيه: السَّجْعُ المتوازي، وهو: أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السَّجْعَتَيْنِ متفقتين في الوزن وفي الحرف الأخير منهما، مع وجود اختلاف ما قبلهما في الأمرين، أو في أحدهما؛ قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ \* وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 13-14].

**القسم الثالث:** المطرّف، ويقال فيه: السَّجْعُ المُطَرَّفُ، وهو: أن تكون الكلمتان الأخيرتان من السَّجْعَتَيْنِ مختلفتين في الوزن، متفقتين في الحرف الأخير، وعندئذٍ لا يُنظَرُ إلى ما قبلهما في الاتفاق أو الاختلاف.

قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا \* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 13 - 14].

**ثانياً:** السَّجْعُ في الشعر قد يأتي على وجوه السَّجْعِ في النثر، إلا أنه يختصُّ بقسمين لا يوجدان في النثر، هما: التصريع، والتشطير:



**فالتصريع:** يكون بجعل العروض مقفاة تقفية الضرب، ومنه أغلب أوائل القصائد؛ مثل: قول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّلِ      وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

**والتشطير:** يكون بجعل كل شطرٍ من شطري البيت مسجوعاً سجعاً مخالفاً للسجع في الشطر الآخر؛ مثل قول أبي تمام:

تَذْيِيرٌ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ      لِلَّهِ مُرْتَعِبٌ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٌ<sup>(1)</sup>

#### 4- القلب:

**قول الناظم:** (أَوْ قَلْبٍ ..) أو: بمعنى الواو، وسهلت همزتها للوزن.

ويسمى القلب أيضاً بـالعكس اللفظي، وما لا يستحيل بالانعكاس.

**وهو:** أن يكون الكلام بحيث لو عكس وبدئ بحرفه الأخير إلى الأول لم يتغير الكلام عما كان عليه، ويجري في النثر والنظم.

وقد جاء في القرآن: قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: 33].

**ومن أمثله في النثر:** سِرُّ فِلا كِبا بك الفرس، عقرب تحت برقع، أَرانَا الإله هَلالاً أَنارَا.

**ومن أمثله في الشعر:**

مَوَدَّتُهُ تَدُومٌ لِكُلِّ هَوٍ      وَهَلْ كُتِلَ مَوَدَّتُهُ تَدُومٌ

(1) ينظر: البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 463)، البلاغة العربية (2/ 503).

ومن بديعية صفي الدين الحلبي: قوله:

هل من ينم بحب من ينم له إذا رموه بمن لم يدر كيف رُمي (1)(2)

## 5-التشريع:

قول الناظم: (وتشريع وَرَدٌ): (وَرَدٌ) اتفق الضرب والعروض في ختمهما بهذه الكلمة (ورد)؛ فمعناها في العروض: رد العجز على الصدر، ومعناها في الضرب: "جاء" يعني: في كلامهم.

والتَّشْرِيعُ، ويسمى أيضًا التوشيح؛ لأن معناه: أن يبنى الشاعر قصيدته على بحرین من البحور الشعرية، فإذا وقف على القافية الأولى فهو شعر كامل مستقيم، وإذا وقف على الثانية كان بحرًا آخر، وكان أيضًا شعرًا مستقيمًا من بحر آخر، فلما كان ما يضاف إلى القافية الأولى زائدًا على الثانية سمى توشيحًا؛ لأن الوشاح: ما يكون من الحلبي على الكشح زائدًا عليه.

وسماه ابن أبي الأصبغ، التوأم، وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى؛ فإن هذا النوع شرطه: أن يبنى الشاعر بيته على وزنين، من أوزان القريض، وقافيتين، فإذا أسقط من أجزاء البيت جزءًا أو جزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الأول.

(1) لابن حجة الحموي تعليق على هذا البيت، ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (2/37).

(2) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/661)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 334)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 364)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 421)، البلاغة العربية (2/535).



لهذا فإن هذا اللون البديعي يقال فيه: بناء البيت من الشعر على قافيتين: أولى  
يَصِحُّ الوقوف عندها، فثانية يُوقَفُ عندها، وَيَطْوُلُ بها البيت، وتشتمل الزيادة على  
إضافة معنًى.

### كقول الحريري من تام الكامل:

يا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ إِنَّهَا      شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ  
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتُ فِي يَوْمِهَا      أَبْكَتْ غَدًا بُعْدًا لَهَا مَنْ دَارِ

### وتنتقل بالإسقاط إلى مجزوء الكامل:

يا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ إِنَّهَا      شَرَكُ الرَّدَى  
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتُ فِي يَوْمِهَا      أَبْكَتْ غَدًا

وأوسع البحور في هذا النوع: الرجز الذي يتألف من مستعلن ست مرات؛  
فإنه قد وقع مستعملاً تاماً ومجزوءاً ومشطوراً ومنهوكاً، فيمكن أن يعمل للبيت  
منه أربع قواف.

ولعل في النموذج التالي من شعر محمد بن جابر الضرير الأندلسي ما يوضح  
ذلك، قال:

يرنو بطرفٍ فاترٍ مهمارنا      فهو المنى لا أنتهي عن حُبِّهِ  
يهفو بغصنٍ ناظرٍ حلوا الجنى      يشفي الصنى لا صبرلي عن قُربِهِ  
لو كان يوماً زائري زال العنا      يحلوننا في الحبِّ أن نَسَمَى بِهِ

فهذه الأبيات من الرجز التام، فإذا تركناها على حالها فهي من الرجز التام والقافية الباء، وإذا أسقطنا منها تفعيلتين من آخر كل بيت صارت من الرجز المجزوء والقافية النون هكذا:

يرنو بطرف فاتر مهمارنا فهو المنى  
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى يشفي الضنى  
لو كان يوماً زائري زال العنا يحلونا

وإذا أسقطنا تفعيلية من آخر كل بيت من مجزوء الرجز هذا صارت الأبيات من مشطور الرجز والقافية النون أيضاً هكذا:

يرنو بطرف فاتر مهمارنا يهفو بغصن ناضر حلو الجنى  
لو كان يوماً زائري زال العنا

وإذا عدنا فأسقطنا تفعيلية من هذا المشطور صارت الأبيات من منهوك الرجز والقافية الراء هكذا:

يرنو بطرف فاتر يهفو بغصن ناضر  
لو كان يوماً زائري

والتشريع لا يكاد يستعمل في الكلام المنشور المسجوع إلا قليلاً، وليس من الحسن في شيء<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/ 531)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 40)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 266)، علم البديع (ص: 242).



قال ابن الأثير: "واعلم أن هذا النوع لا يستعمل إلا متكلفاً عند تعاطي التمكن من صناعة النظم، وحسنه منوط بما فيه من الصناعة، لا بما فيه من البراعة؛ ألا ترى أنه لو نُظِمَ عليه قصيد من أوله إلى آخره يتضمن غزلاً ومديحاً على ما جرت به عادة القصائد، أليس أنه كان يجيء بارداً غثاً لا يسلم منه على محك النظر عشرة؟ والعشر كثير، وما كان على هذه الصورة من الكلام وإنما يستعمل أحياناً على الطبع، لا على التكلف، وهو وأمثاله لا يحسن إلا إذا كان يسيراً، كالرقم في الثوب، أو الشية في الجلد" (1)(2).

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (3/ 217).

(2) ولابن السبكي ملحوظتان على هذا النوع، حيث قال: "قوله: (ومنه التشريع) وهي عبارة لا يناسب ذكرها؛ فإن التشريع قد اشتهر استعماله فيما يتعلق بالشرع المطهر، وكان اللائق اجتنابها. قال ابن النحوية: وفي عبارة صاحب المثل هو أن ينسب الشاعر شعره على بحرین، والصواب أن يقال: على ضربين؛ فإن ذلك لا يتأتى في بحرین، وإنما الصواب أن يقال: على ضربين من بحر واحد. قلت: فيه نظر، فقد يكون ذلك من بحرین، إذا كان البيت من المديد على: فاعلاتن فاعلن فاعلاتن... فاعلاتن فاعلن فاعلاتن؛ أمكن الشاعر أن يجعل بعض البيت على فاعلاتن أربع مرات، فيكون من الرمل المجزوء، مثاله أن يقول:

ليتهم سموه باسم سوى ذا فإنه فاتن      إنما التشريع دين قويم

فإنه يمكن أن يسقط منه، فيقول:

ليتهم سموه باسم      إنما التشريع دين

فينقلب من المديد إلى الرمل. ثم اعلم أن التقييد بقافيتين لا معنى له؛ فقد يكون أكثر".  
عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 306).

ولابن السبكي اعتراضات كثيرة على الخطيب وعلى سائر البلاغيين، منها ما يصيب فيها ومنها ما يجانب الصواب، وهي حرية بالجمع والدراسة.

## ثانياً: المحسنات المعنوية:

## قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ:

92. والمَعْنَوِيُّ وَهُوَ كَالْتَسْهِيمِ وَالْجَمْعِ وَالتَّفْرِيقِ وَالتَّقْسِيمِ  
93. وَالْقَوْلِ بِالْمَوْجِبِ وَالتَّجْرِيدِ وَالْجِدِّ وَالطَّبَّاقِ وَالتَّأْكِيدِ  
94. وَالْعَكْسِ وَالرُّجُوعِ وَالْإِيهَامِ وَاللَّفِّ وَالنَّشْرِ وَالِاسْتِخْدَامِ  
95. وَالسَّوْقِ وَالتَّوْجِيهِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّعْلِيلِ وَالتَّعْلِيقِ

شرح الناظم في الحديث عن وجوه تحسين الكلام الراجعة إلى المعنى، وهي أكثر من الراجعة إلى اللفظ، فذكر بعضها، فمن ذلك:

## 1- التسهيم:

**وهو:** أن يكون ما تقدم من الكلام دليلاً على ما تأخر أو بالعكس. أو هو: أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عُرف الرَّوِيُّ.

**والتسهيم:** مأخوذ من وضع صورة السهم، للإشارة به إلى المكان المقصود، أو المعنى المقصود، ومعلومٌ أن إعداد ما يلزم في أول الكلام لمعرفة ما سيأتي في آخره هو بمثابة وضع صورة السهم التي يُشارُ بها إلى المقصود.

**وقيل:** سمي تسهيمًا لأن المتكلم يصب ما قبل عجز الكلام إلى عجزه، والتسهيم: تصويب إلى الغرض.

**وقيل:** مأخوذ من البُرد المسهم أي: المخطط، وهو الذي يدل أحد سهامه



على الذي يليه؛ لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص بمجاورة اللون الذي قبله أو بعده منه.

**ومن أمثله:** قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40]؛ فإنه لو وقف القارئ على ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾؛ لفهم أن بعده ﴿يَظْلِمُونَ﴾.

### وقول الشاعر:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعُهُ      وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

فكلمة "تَسْتَطِيعُ" يأتي بها السامع قبل أن ينطق بها المتكلم؛ لأنَّ أول الكلام موطئٌ وممهّد لها، وفيه ما يشير إليها كإشارة السهم إلى الجهة المقصودة.

ويسمى هذا النوع أيضًا بالإرصاد؛ وهو في اللغة: التهيئة والإعداد، وسمي بهذا: لأن السامع يرصد ذهنه للقافية، بما يدل عليها فيما قبلها<sup>(1)</sup>.

### 2- الجمع:

**وهو:** أن يُجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد.

إما في اثنين تحت حكم واحد؛ نحو قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]، فجمع سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة.

(1) ينظر: البديع في نقد الشعر (ص: 127)، البلاغة العربية (2/ 385)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 587)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 235)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 347).

وإما في أكثر؛ نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾ [المائدة: 90].

**وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** (مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مَعْفَى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ  
يَوْمَهُ، فَكَأَنَّما حَيَّزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا)، فجمع الأَمْنِ ومعافة البدن وقوت اليوم  
في حوز الدنيا بحذافيرها، وهي النواحي والواحد حذفار.

### ونحو قول أبي العتاهية:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ (1)

### 3- التفريق:

**وهو:** أن يفرق المتكلم بين أمرين مندرجين تحت جنس واحد، بحيث يوقع  
بينهما تبايناً وتفريقاً، بفرق يفيد زيادة وترجيحاً فيما هو بصده من مدح أو ذم أو  
نسيب أو غيره من الأغراض الأدبية، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا  
عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: 12]، **وقول الشاعر الوطواط:**

مَانَوَالِ الْعَمَامِ وَقَتَ رَيْعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ  
فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَدْرَةٌ عَيْنٍ وَنَوَالِ الْعَمَامِ قَطْرَةٌ مَاءِ

فبعد أن ذكر النوال الذي هو لفظٌ كُلِّيٌّ يَجْمَعُ في أفرادهِ نَوَالِ الْأَمِيرِ حين

(1) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 602)، جواهر البلاغة في المعاني  
والبيان والبديع (ص: 310)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (2/ 266)،  
علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 331).



يعطي، ونوال الغمام حين يمطر؛ فَرَّقَ في الحكم: فأبان أن نوال الأمير بَدْرَةٌ عَيْنٌ، أي: كيس مملوءٌ ذهبًا، وأن نوال الغمام قطرة ماء<sup>(1)</sup>.

#### 4-التقسيم:

**وهو:** أن يُذكر متعددٌ، ثم يضاف إلى كل من آحاده ما يخصه على التعيين.

وهذا القيد يفترق عن اللف والنشر؛ إذ لا تعيين فيه، بل هو موكول إلى الأفهام.

#### ومنه: قول الشاعر:

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يَرَادُ بِهِ      إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ  
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ      وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ

فقد ذكر الشاعر العير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف، وإلى الثاني الشج على التعيين<sup>(2)</sup>.

**قال السكاكي:** "ومنه التقسيم، وهو: أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف على كل واحد من أجزائه ما هو له عندك؛ كقوله:

(1) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 78)، المنهاج الواضح للبلاغة (171/1)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 311)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 378).

(2) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 171)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 252)، علم البديع (ص: 135).

أَدِيَانٍ فِي بَلَخَ لَا يَأْكُلَانِ إِذَا صَحَبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبْدِ  
فَهَذَا طَوِيلٌ كَظِلِّ الْقَنَاءِ وَهَذَا قَصِيرٌ كَظِلِّ الْوَتْدِ<sup>(1)</sup>

### 5- الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ:

القول بالموجب، ويقال له: أسلوب الحكيم، وهو: أن يخاطب المتكلم مخاطبًا بكلام، فيعمد المخاطب إلى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم، وذلك عين القول بالموجب؛ لأن حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه.

**أو:** هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه؛ إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد؛ إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.

### وقد جعله القزويني على ضربين:

**أحدهما:** أن تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فثبتت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]؛ فإنهم كانوا بالأعز عن فريقهم، وبالأذل عن فريق المؤمنين، وأثبتوا للأعز الإخراج، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين

(1) مفتاح العلوم (ص: 425).



بصفة العزة ولا لئفيه عنهم.

**والثاني:** حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر

متعلقه؛ **كقول الشاعر:**

قَالَ ثَقَلْتُ إِذْ آتَيْتُ مِرَاراً      قُلْتُ ثَقَلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيْدِي  
قَالَ طَوَّلْتُ قُلْتُ أَوْلَيْتَ طَوَّلاً      قَالَ أَبْرَمْتُ قُلْتُ حَبْلَ وَدَادِي

**في البيت الأول** أخذ المخاطب ظاهر كلام صاحبه وحمّله على غير مراده به؛

إذ أراد بالثقل ما يحمله المضيف من أعباء الضيافة، لكن المضيف حمّله على معنى أن صاحبه ثقل كاهله بأيديه في تكرير زيارته له. **وفي البيت الثاني** حمل كلمة "أَبْرَمْتُ" على معنى إبرام جبل الوداد، وقصد المتكلم من "أَبْرَمْتُ" معنى أضجرت وأنزلت الممل، وحمّل كلمة "طَوَّلْتُ" على معنى أفصّلت، أي: أعطيت فضلاً، وقصد المتكلم أنه أطال الإقامة.

**ومنه قول القبعثري** للحجاج لما توّعه فقال الحجاج: لأحملنك على

الأدهم - والمراد به القيد - فرأى القبعثري أن الأدهم يصلح للقيد والفرس، فحمل كلامه إلى الفرس، وقال: مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب، فقال له الحجاج: أردت الحديد، فقال القبعثري: لأن يكون حديداً، خير من أن يكون بليداً. فصرف الوعيد بالهوان إلى الوعد بالإحسان.

وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل

الخير؛ إذ لا يليق بمن له همة عالية أن يقال له: مثلك من يفعل الخير، فيقول: لا،

بل أفعال الشر.

**ولعل الجاحظ** أول من فطن إلى هذا النوع من البديع المعنوي؛ فقد عقد له باباً خاصاً في كتابه البيان والتبيين وأطلق عليه اسم "اللغز في الجواب" وأورد له أمثلة شتى (1).

### 6- التجريد:

**وهو:** إخلاص الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك، لا المخاطب نفسه؛ لأن أصله في وضع اللغة من: جردت السيف، إذا نزعته من غمده، وجردت فلاناً، إذا نزعته ثيابه، وقد نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان.

**وقيل: هو:** أن يُنتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة؛ مبالغة في كمالها فيه.

**قال أبو علي الفارسي** في سبب تسمية هذا النوع بالتجريد: "إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه، كأنه حقيقة ومحصو له، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً عن الإنسان، كأنه غيره، وهو هو بعينه؛ كقولهم: "لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن منه البحر"، وهو عينه الأسد والبحر، لأن هناك شيئاً منفصلاً عنه أو متميزاً منه. ثم قال: وعلى هذا النمط كون الإنسان

(1) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 258)، البلاغة العربية (1/ 498)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 633)، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: 599)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 316)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 278) علم البديع (ص: 182)، البيان والتبيين (2/ 100).



يخاطب نفسه، حتى كأنه يقاوم غيره، كما قال الأعشى:

(وهل تطيق وداعاً أيها الرجل) وهو الرجل نفسه لا غيره".

### والتجريد أقسام:

1 - منها ما يكون التجريد فيه حاصلًا بلفظة "من" التجريدية، نحو قولهم: "لِي مِنْ فُلَانٍ صَدِيقٌ حَمِيمٌ"، أي: بلغ من الصداقة والمودة الصحيحة مبلغًا صحَّ معه أن يُسْتَخْرَجَ منه صَدِيقٌ آخَرُ مثله في صفاته، فهو منبعُ أمثاله.

2 - ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بلفظة "الباء" التجريدية الداخلة على المنتزَع منه، نحو قولهم: "لئن سألت فلانًا لتسألنَّ به البحر"، وهذا القول يقال في مقام المبالغة في وصف فلان بالكرم، حيث انتزع وجرّد منه بحر في الكرم والسماحة.

3 - ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بلفظة "باء المعية" الداخلة على

### المنتزع، نحو قول الشاعر:

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِخِ الْوَعَى بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْفَنِيقِ الْمُرْحَلِ<sup>(1)</sup>

ويقصد نفسه؛ إذ هو المُسْتَلْتِمُ، والفرسُ تَعْدُو به، وهذا على سبيل التجريد،

(1) **وَشَوْهَاءَ**: أي: ورَبَّ فَرَسٍ شَوْهَاءَ قبيحة المنظر؛ لِسَعَةِ أَشْدَاقِهَا، وهذا مما يستحسنُ في الخيل المعدّة للحرب. **تَعْدُو بِي**: أي تُسْرِعُ بِي. **إِلَى صَارِخِ الْوَعَى**: أي: إِلَى الصَّارِخِ الَّذِي يَصْرُخُ دَاعِيًا إِلَى الْحَرْبِ. **بِمُسْتَلْتِمٍ**: المُسْتَلْتِمُ هو لابسُ لَأَمَةِ الْحَرْبِ، أي: عُدَّةِ الْحَرْبِ وَسِلَاحِهَا، مِثْلُ الْفَنِيقِ: الْفَنِيقُ هو الْفَحْلُ الْمَكْرَمُ عِنْدَ أَهْلِهِ، شَبَّ نَفْسَهُ بِهِ، الْمُرْحَلُ: هُوَ الْبَعِيرُ الَّذِي وُضِعَ عَلَيْهِ رَحْلُهُ وَأُرْسِلَ مُنْدَفِعًا فِي رِحْلَتِهِ.

والباء هنا داخلة على المنتزِعِ لا على المنتزِعِ منه.

4 - ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بدخول لفظة "في" على المنتزِعِ منه، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: 28]، أي: لهم في جهنم، وهي دار الخلد، لكنه انتزِعَ دارًا أخرى مثلها وجعلها معدة في جهنم لأجل الكفار؛ تهويلًا لأمرها، ومبالغة في اتصافها بالشدّة.

5 - ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بدون توسط حرف؛ **كقول قتادة بن**

**مسلمة الحنفي:**

فَلَمَّيْنُ بَقِيَّتْ لِأَرْحَلَنِّ بَغَزْوَةٍ      تَحْوِي الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ

فالشاعر قد عنى "بالكريم" هنا نفسه، فكأنه انتزِعَ وجرّد من نفسه كريمًا مبالغة في كرمه. وقيل: إن التقدير أو يموت مني كريم، فيكون من قبيل: لي من فلان صديق حميم، فلا يكون قسمًا آخر، وإنما يكون من القسم الأول الذي يكون التجريد فيه حاصلًا بدخول "من" التجريدية على المنتزِعِ منه.

6 - ومنه ما يكون التجريد فيه حاصلًا بطريق الكناية؛ **كقول الأعشى:**

يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيِّ وَلَا      يَشْرَبُ كَأَسَا بِكَفِّ مَنْ بَخِيلا

ففي البيت تجريد بطريق الكناية حيث انتزِعَ وجرّد من الممدوح جوادًا يشرب هو بكفه على طريق الكناية؛ لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل، فقد أثبت له الشرب بكف كريم. ومعلوم أنه يشرب بكفه، فهو ذلك الكريم.

7 - ومن أقسام التجريد كذلك: مخاطبة الإنسان نفسه؛ وذلك بأن يتنزِعَ



الإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ شَخْصًا آخَرَ يُوْجِهَ الْخَطَابَ إِلَيْهِ؛ **كَقَوْلِ الْمَتَنِيِّ:**

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

فالشاعر هنا يتتزع من نفسه إنساناً آخر يخاطبه قائلاً: ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى الممدوح جزاء له على إحسانه إليك، فليسعدك ويعنك النطق، أي: فامدحه، وجازه بالثناء عليه، إن لم تعنك الحال على مجازاته بالمال أو الخيل<sup>(1)</sup>.

**قال ابن الأثير** عن هذا النوع: "وقد تأملته فوجدت له **فائدتين**: إحداهما أبلغ من الأخرى؛ **فالأولى**: طلب التوسع في الكلام؛ فإنه إذا كان ظاهره خطاباً لغيرك، وباطنه خطاباً لنفسك، فإن ذلك من باب التوسع، وأظن أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات.

**والفائدة الثانية** - وهي الأبلغ - : وذاك أنه يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح، أو غيره على نفسه؛ إذ يكون مخاطباً بها غيره، ليكون أعذر وأبرأ من العهدة، فيما يقوله غير محجور عليه<sup>(2)</sup>.

### 7- الهزل الذي يراد به الجد:

**وهو**: أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه، فيخرج من ذلك المقصد مخرج

(1) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 128) (2/ 132)، علم البديع (ص: 189)،

البلاغة العربية (2/ 432)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 609).

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (2/ 128).

الهزل والمجون اللائق بالحال، كما فعل أصحاب النوادر؛ مثل أشعب وأبي دلالة وأبي العيناء ومزيد، ومن سلك مسلكهم.

وهو نوع من البديع لطيف المسلك رشيق المأخذ، يتلطف به الأذكياء فيعبّرون عمّا هم جادّون فيه بعبارات مُزاح وهزلٍ؛ خشية إثارة من يقصدونه بالخطاب، وليتأتى لهم التنصّل ممّا قالوا، بأنهم يمزحون أو يهزلون، وأنهم غير جادّين.

وهو فنٌ واسعٌ جداً يعتمدُ عليه التمثيل الهزليُّ، الذي يتضمّن ألواناً كثيرة من النّقْدِ التوجيهيِّ البناء لأفرادٍ أو مجتمعات، والنّقْدِ اللاذع الجارح أحياناً.

وقد يُقصدُ به التذكير بواجب، أو التنبية على أمرٍ، أو تعلّيمٌ مُترَفّعٍ عن أن يجلس مجلس المتعلّم، أو حثٌّ وحضٌّ على فعل خير، وقد يُقصدُ به المدح أو الذّم، أو الاعتذار، أو الشكوى، أو الغزل، إلى غير ذلك من المقاصد.

**ومن أمثله: قول أبي نواس:**

إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا      فَقُلْ عَدَّ عَنَ ذَا كَيْفَ أَكَلِكَ لِلضَّبِّ؟

إنّه يَعرف كيف يأكل التميميون الضبّ، لكنّه تساءل هازلاً، وغرضه تقريع بني تميم بأنهم يأكلون الضبّ، وأشرف الناس لا يأكلونه، فليس من حق التميمي أن يفاخر، وإنما شأنه الاشتغال بأكل الضب ونحوه من الهمم النازلة<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 116)، البلاغة العربية (2/ 398)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 126)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح



## 8- الطباق:

ويسمى أيضاً المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ، والطباق أو المطابقة كلاهما مصدر للفعل طابَقَ، يقال: طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حدٍ واحد، وألزقتهما، وطابَقَ بين قميصين: لبس أحدهما على الآخر، وطابَقَ الفرس في جريه: إذا وضع رجله في موضع يده، والطبق: غطاء كل شيء، والجمع أطباق، وطبق كل شيء: ما ساواه.

**والطباق في الاصطلاح:** هو الجَمْعُ في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولا يشترط كون اللفظين الدالّين عليهما من نوع واحدٍ كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط.

والعنصر الجمالي في الطباق هو: ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، باعتبار أنّ المتقابلات أقرب تخاطراً إلى الأذهان من المتشابهات والمتخالفات.

والتقابل يتسع ليشمل كل أنواع العلاقات بين المعنيين التي تجعل بينهما قدرًا ما من التنافي.

**ومن أهم هذه الأنواع:**

**النوع الأول: التقابل الحقيقي.** كتقابل الأمرين اللذين بينهما غاية الخلاف لذاتيهما؛ كتقابل القدم والحدوث، ومقابلة الإحسان بالإساءة في قول الشاعر:

يجزون من ظلم آل الظلم مغفرةً      ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فالإساءة والإحسان معيان بينهما غاية الخلاف لذاتيهما، فكان تقابلهما تقابلاً حقيقياً.

**النوع الثاني: التقابل الاعتباري.** كتقابل الإحياء والإماتة، فليس بين الإحياء والإماتة تقابل حقيقي؛ لأنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الصور، وهو أن يتعلق الإحياء بحياة جرم في وقت، والإماتة بإماتته في ذلك الوقت، وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما، ولا باعتبار التعلق عند تعدد الوقت.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: 95].

**النوع الثالث: التقابل بالتضاد.** كتقابل البياض والسواد على الجرم الواحد الموجود؛ بناءً على أنهما وجوديان؛ **كقول الشاعر:**

فَالوَجْهُ مِثْلُ الصُّبْحِ مُبَيِّضٌ      وَالشَّعْرُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوَدٌ  
ضِدَّانَ لَمَّا اسْتَجْمَعَا حَسْنَا      وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حَسَنَةَ الضُّدِّ

**النوع الرابع: تقابل الإيجاب والسلب.** كتقابل مطلق الوجود وسلبه، كالذي نراه في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم: 6-7].

**النوع الخامس: تقابل العدم والملكية.** كتقابل العمى والبصر، والقدرة والعجز؛ بناءً على أن العجز: نفي للقدرة عمن من شأنه الاتصاف بالقدرة وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الرعد: 16]، فالأعمى والبصير



بينهما مطابقة؛ لأنهما متقابلان أو متنافيان؛ لتنافي العمى والبصر.

**النوع السادس: تقابل التضاييف.** كالأب والابن، والأكبر والأصغر، والخالق والمخلوق.

**وعلى الجملة:** فإن التقابل يشمل كل ما يشعر بالتنافي؛ لاشتماله بوجه ما على ما يوجب التنافي.

وهناك من الطباق نوع يختصُّ باسم "المُقابِلة"، والمقابِلة هي: طباقٌ مُتَعَدِّدٌ عَنَاصِرِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ، وفيها يُوْتَى بِمَعْنَيْنِ فَأَكْثَرُ، ثُمَّ يُوْتَى بِمَا يُقَابَلُ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّرْتِيبِ.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

**ففي هذا النَّصِّ أَرْبَعَةٌ أَمْثَلَةٌ مِنْ أَمْثَلَةِ الطَّبَاقِ وَالْمُقَابِلَةِ:**

**الأول:** الطباق بين: "تؤتي" و "تنزع" فهذا متقابلان تقابل تضاد.

**الثاني:** الطباق بين: "تُعزُّ" و "تُذِلُّ" وهو كالأول.

**الثالث:** الطباق بين: "تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ" و "تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ".

**الرابع:** المقابلة بين: "وتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ" و "تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ"، ويلاحظ هنا أن في كُلِّ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ طَبَاقًا، وَأَنَّ فِي الْجُمْلَتَيْنِ مَعًا مُقَابِلَةً،

فالحَيِّي في الأولى يضادُّ المَيِّت في الثانية، والمَيِّت في الأولى يضادُّ الحَيِّي في الثانية، وقد جاء هذا التقابل في الثانية على الترتيب الذي جاء في الأولى<sup>(1)</sup>.

### 9- تأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح:

**الأول: تأكيد المدح بما يشبه الذم:** وهو: أن يبالح المتكلم في المدح إلى أن يأتي بعبارة يتوهم السامع في بادئ الأمر أنها ذم.

وهو ضربان:

**أبلغهما:** أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها؛ **كقول النابغة الذبياني:**

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ      بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

**أي:** إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئاً من العيب على تقدير أن فلول السيف منه، وذلك محال؛ فهو في المعنى تعليق بالمحال؛ كقولهم: "حتى يبيضّ القار"؛ فالتأكيد فيه من وجهين: أحدهما: أنه كدعوى الشيء بيينة، والثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً، فإذا نطق المتكلم بـ "إلا" أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخْرَج مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتاً، وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكّد المدح؛ لكونه مدحاً على مدح، وإن كان فيه نوع من الخِلافة.

(1) ينظر: البديع في البديع لابن المعتز (ص: 124)، البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 335)، البلاغة العربية (2/381).



## ومنه قول الشاعر:

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ أَنْ سَمَّاحِنَا      أَضْرَبْنَا وَالْبَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
وَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ      وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبِ  
أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ      أَبَا وَاحِدًا أَعْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ

**والثاني:** أن يُثَبَّتَ لشيء صفة مدح، ويُعَقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له؛ كقوله <sup>صكّل الله عليه</sup> <sup>الوسيلة</sup> "أنا أفصح العرب؛ بيد أني من قريش" (1).

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضًا: أن يكون منقطعًا، لكنه باقٍ على حاله لم يقدر متصلًا، فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين؛ ولهذا قلنا: الأول أفضل. **ومنه قول النابغة الجعدي:**

فَتَى كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ      جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

**الثاني: تأكيد الذم بما يشبه المدح:** وتعريفه عكس الأول. وهذا النوع **ضربان** أيضًا:

**أحدهما:** أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها؛ كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه (2).

(1) قال ابن السبكي "لم أجد له إسناداً". تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (3/1415)، وقال

العجلوني: "أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده"، كشف الخفاء (1/228).

(2) اعترض ابن السبكي على القزويني في هذا المثال فقال: "ومثله المصنف بقوله: فلان لا خير

فيه إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه، وفي المثال نظر؛ لأن هذا الاستثناء يقدر فيه الاتصال ولا بد =

وثانيهما: أن يُثَبَّتَ للشيء صفة ذم ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى له؛ كقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل، وقولك: لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه.

ووجه تسمية هذا اللون -بتشبيه المدح بما يشبه الذم والعكس- يكمن في أن هذا الأسلوب أَلْفُ الناس سماعه في الذم؛ لأن المتكلم عندما يذكر صفة ذم منفية أو صفة مدح مثبتة ثم يعقب بأداة استثناء أو استدراك، يتوقع السامع أن المستثنى أو المستدرك سيكون ذمًّا؛ لأن هذا ما قد ألفه واعتاده من مثل هذا الأسلوب، ولكن المتكلم يعدل عن ذكر ما قد أَلَفَ إلى ذكر صفة مدح يؤكد بها المدح الأول؛ ولهذا سمي الأسلوب تأكيد المدح بما يشبه الذم. ومثل ذلك يقال في تأكيد الذم بما يشبه المدح.

وتأكيد المدح بما يشبه الذم مما سجله ابن المعتز في كتاب (البديع) وأطلق عليه هذا المصطلح، غير أنه نكر المدح فقال: "ومنها تأكيد مدح بما يشبه الذم"، ثم أطلق الحاتمي عليه الاستثناء، وتبعه على هذا المصطلح جماعة من العلماء.

وربما كان سبب ذلك أن الاستثناء يمثل في هذا الفن ركيزته الأساسية، وهناك من أطلق عليه تأكيد المدح بما يوهم الذم، وربما كان ذلك مأخوذاً من ابن فارس

أن يكون فيه مناسبة بين الخصلة المستثناة، والخصال المحمودة، كما تقدم في عكسه والإساءة لمن أحسن إليه ليس فيها شيء يشبه الخير، وعلاقة المضادة هنا بعيدة الاعتبار، فينبغي أن يمثل بما صورته صورة الإحسان؛ كقولك: فلان لا خير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرقه"، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 272).



الذي عقد بابًا في كتابه (الصاحبي) أسماه: باب إخراج الشيء المحمود بلفظ يوهم غير ذلك، وقد أخذه الثعالبي وحوور فيه قليلاً فقال: "فصل في إخراج الشيء بلفظ يوهم ضد ذلك". وسار أبو العباس الجرجاني وراء ابن فارس. وبعضهم سماه: ذكر المدح في معرض الدم، ولكن سعد الدين التفتازاني اقترح في (المطول) أن يطلق عليه تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه؛ ليتسع لهذه الصور وغيرها مما ليس فيه مدح ودم.

**بلاغة هذين الأسلوبين:** إن بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم، أو الذم بما يشبه المدح يرجع إلى أمرين:

**الأمر الأول:** أن كلاً منهما بمثابة الدعوى التي أُقيمت عليها الدليل والبرهان؛ وذلك أن المتكلم يستدل على نفي الذم أو المدح في الضرب الأول من كل أسلوب، وعلى إثباتهما في الضرب الثاني يستدل على ذلك بالتعليق على ما لا يكون وما لا يتحقق له وجود بحال من الأحوال. فعندما نقول مثلاً: لا عيب فيك سوى أنك شجاع؛ فإننا نستدل على نفي العيب عنك بكونك شجاعاً، والمعنى: لا عيب فيك سوى الشجاعة إن كانت الشجاعة عيباً، وكون الشجاعة عيباً محال، فثبوت العيب لك محال. وعندما نقول: فتى كملت أخلاقه سوى أنه كريم، فإننا نستدل على كمال أخلاقه بكونه كريماً، والمعنى: لقد كملت أخلاقه إلا من شيء واحد، وهو الكرم، إن كان الكرم ينقص من كمال الأخلاق، وكون الكرم ينقص من كمال الأخلاق محال، فيثبت بهذا أنه متصف بكمال الأخلاق.

وكذا يُقال في تأكيد الذم بما يشبه المدح، وما من ريبٍ في أن إثبات الشيء

بالدليل والبرهان يكون أكد وأبلغ من إثباته مجرداً عن الدليل.

**الأمر الثاني:** ما فيهما من المفاجأة والمباغته للسامع؛ فإن المتكلم عندما ينطق بأداة الاستثناء أو الاستدراك، يتوقع السامع ويدور في خَلده أن المستثنى أو المستدرك يكون مغايراً ومخالفًا للمستثنى منه، كما هو المؤلف من هذا الأسلوب، وعندما يأتي المستثنى مؤكِّداً للمستثنى منه وعلى خلاف ما كان يتوقع السامع تكون المفاجأة والمباغته التي تكسب المعنى طرافةً، وتثير في النفس تبييناً، وبهذا يتأكد المدح في أسلوب تأكيد المدح، ويتأكد الذم في أسلوب تأكيد الذم<sup>(1)</sup>.

### 10- العكس:

**العكس في اللغة:** ردك آخر الشيء إلى أوله.

**وفي الاصطلاح** يطلق على نوعين: لفظي ومعنوي؛ فاللفظي هو: أن تقدم في الكلام جزءاً ثم تعكس وتقدم ما أخرت، وتؤخر ما قدمت، ويسمى المعكوس أيضاً.

### وللعكس صُورٌ، منها:

1- العكس بَيْنَ طَرَفَيْ جُمْلَةٍ واحدة، مثل: كَلَامُ الْأَمِيرِ أَمِيرُ الْكَلَامِ.

(1) ينظر: البديع في نقد الشعر (ص: 123)، البلاغة 1 - البيان والبديع - جامعة المدينة (ص: 417) (ص: 435)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/74)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/622) (4/624)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/269) (2/272)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 314).



2- العكس بين مُتَعَلِّقِي فِعْلَيْنِ فِي جُمْلَتَيْنِ، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: 19].

3- العكسُ بَيْنَ لَفْظَيْنِ فِي طَرَفَيْ جُمْلَتَيْنِ، مثل: قول الأب لمعلم ولده الذي أَنْجَحَهُ فِي الامْتِحَانِ بِغَيْرِ حَقِّ، فصار الولد يَسْقُطُ بعد ذلك في الامتحانات، أَنْجَحَتْهُ بِغَيْرِ حَقِّ فَسَقَطَ، ولو أسقطته بِحَقِّ لَنَجَحَ.

**ومن الأمثلة:** قوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ...﴾ [البقرة: 187].

**وقولهم:** عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ، وشيم الأحرار أحرار الشيم.

**وقول أبي الطيب المتنبي:**

فلا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ      ولا مَالٍ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان، وامتدحه بقصيدته التي أولها: (أَهْنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ) أنكر عليه أبو سعيد الضرير، وأبو العميثل هذا الابتداء وقال له: لم لا تقول ما يفهم؟! فقال لهما: لم لا تفهمان ما أقول؟! فاستحسن منه هذا الجواب.

**وقيل للحسن بن سهل:** لا خير في السرف، فقال: لا سرف في الخير<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/191)، البلاغة العربية (2/440)، المنهاج الواضح للبلاغة (1/187)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/240)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/593)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص:253).

**قال ابن الأثير:** "وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة، وعليه رونق، وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب "التبديل"، وذلك اسم مناسب لمسمّاه؛ لأنّ مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدّمًا في جزء من كلامه الأول مؤخّرًا في الثاني، وبما كان مؤخّرًا في الأول مقدّمًا في الثاني، ومثله قدامة بقول بعضهم: "اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك"<sup>(1)</sup>.

### 11- الرجوع:

**وهو:** العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة.

وهو فنٌّ في مجرى الكلام يَرْجِعُ فيه المتكلم إلى كلامه السابق فينْقُضُهُ ويُبْطِلُهُ، لداعٍ بلاغي؛ كالتحسّر، والتحزّن، ودفع توهمٍ قد يسبق إلى الذهن، واستدراكٍ بقيدٍ، وبيانٍ للمراد من الكلام السابق وغير ذلك.

وهذا النوع ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكري، وسماه بعضهم استدراكًا واعتراضًا، وليس بصحيح.

**ومنه: قول زهير بن أبي سلمى:**

قَفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْنَهَا الْقِدْمُ      بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالِدِيمُ<sup>(2)</sup>

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (1/ 273).

(2) **لَمْ يَعْنَهَا:** أي: لم يَمُحْ آثارها. الأرواح: أي: الرياح، **يقال لغة:** ريح وجمعها: رِيّاح وأرواح وأزريّاح، **والريح:** الهواء إذا تحرك. **الديمّ:** جمع "الديمة" وهي: المطر الذي يدوم زمانه طويلاً.



نظر زهير إلى ديار مَنْ يُحِبُّ فتواردت عليه الذكريات، فتمثلت صورتها في نفسه كأنها مُشَاهِدَةٌ بَعَيْنِيهِ، فوصفَ الدِّيارَ بقوله: "لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ" وما لَبِثَ طَوِيلًا حَتَّى انجَلَّتْ تصوُّراته النفسية، وشاهد الواقع، فلم يَرِ في الدِّيارِ أثرًا، فقال: "بَلَى، وَغَيْرَهَا الأرواحِ والديم"، أي: أنه أراد أن يُعَبِّرَ عن حالته التي تعرَّض لها في النظرة الأولى ثم في النظرات التي جاءت بعدها، فصاغَ كلامه بأسلوب الادعاء أولاً، ونقض الادعاء ثانياً.

**والنكتة فيه:** كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير، فقال: لم يعفها القدم، ثم رجع إلى عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس، فقال: بلى عفت (1).

**قال ابن السبكي-** في التعليق على ما قيل في بيت زهير-: "كذا قالوه، وليس مرادهم ما هو ظاهر العبارة من أنه غلط، ثم استدرك؛ لأن ذلك يكون غلطاً لا بديع فيه؛ بل المراد أنه توهم الغلط، وإن كان قاله عن عمد؛ إشارة إلى تأكيد الإخبار بالثاني؛ لأن الشيء المرجوع إليه يكون تحققه أشد" (2).

## 12- الإيهام:

**يقال له:** الإيهام والتوجيه والتخيير، والتورية أولى في التسمية؛ لقربها من مطابقة المسمّى؛ لأنها مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/443)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/594)،

خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (2/282).

(2) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/242).

المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر .

**وهي في الاصطلاح:** أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقي ومجازي، أحدهما: قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورّي عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة، أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل هذا سُمّي هذا النوع إيهاماً.

### أنواع التورية:

**والتورية أربعة أنواع:** مجردة، ومرشحة، ومبيّنة، ومهيّأة.

**1- التورية المجردة.** وهي: التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّي به، وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المورّي عنه، وهو المعنى البعيد.

**ومن هذا النوع:** قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه إلى بدر، وقد قيل له: ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل، فقال: (من ماء). وأراد: أنا مخلوقون من ماء. فورّي عنه بقبيلة من العرب يقال لها: ماء.

**ومنه شعراً:** قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلاً فأزهرت فيه الأرض:

كأن نيسان أهدى من ملابسه      لشهر كانون أنواعاً من الحلل  
أو الغزالة من طول المدى خرفت      فما تفرّق بين الجدي والحمل

فالتورية هنا مجردة، والشاهد في الغزالة والجدي والحمل؛ فإن الشاعر لم



يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئاً من لوازم المورّى به؛ كالأوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق، وسرعة الالتفات، وسرعة النفرة، وسواد العين، ولا من أوصاف المورّى عنه؛ كالأوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الإشراق والسمو والطلوع والغروب.

**2 - التورية المرشحة.** وهي: التي يذكر فيها لازم المورّى به، وهو المعنى القريب، وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورّى به. ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده، فهي بهذا الاعتبار قسمان:

**أ- فالقسم الأول منها:** هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية.

**ومنه:** قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة:

فلمانأت عنا العشيرة كلّها      أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر  
فما أسلمتنا عند يوم كريهة      ولا نحن أغضينا الجفون على وقر

فالشاهد لفظة "الجفون" فإنها تحتمل جفون العين، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وقد تقدم لازم من لوازمه على جهة الترشيح وهو "الإغضاء"؛ لأنه من لوازم العين، وتحتمل أن تكون جفون السيوف أي: أعمادها، وهذا هو المعنى البعيد المراد المورّى عنه.

**ب- والقسم الثاني:** هو ما ذكر لازم المورّى به بعد لفظ التورية.

**ومن أمثله اللطيفة: قول الشاعر:**

مذهمت من وجدي في خالها      ولم أصل منه إلى اللثم

قالت قفوا واستمعوا ما جرى خالي قد هام به عمي

فلفظة التورية هنا "خالها" فإنها تحتمل حال النسب وهو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو "العم"، وتحتمل أن تكون الشامة السوداء التي تظهر غالباً في الوجه وتكون علامة حسن، وهذا هو المعنى البعيد الخفيّ المورّى عنه.

3 - التورية المبيّنة. وهي: ما ذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو

بعده. فهي بهذا الاعتبار قسمان:

أ- فالقسم الأول: ما ذكر لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية، واستشهدوا عليه

بقول البحري:

ووراء تسدية الوشاح مليّة بالحسن تملح في القلوب وتعذب

فالشاهد هنا في "تملح" فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورّى به وغير المراد، ويحتمل أن يكون من الملاحاة التي هي عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد. وقد تقدم من لوازمه على التبيين "مليّة بالحسن".

ب- القسم الثاني: هو الذي ذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية.

ومن أمثله البديعة قول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعاً فهل ممكن أن الغزالة تطلع؟



فالييت فيه توريتان: إحداهما: "ذنب السرحان"؛ فإنه يحتمل أول ضوء النهار، وهذا هو المعنى البعيد المورّي عنه، وهو مراد الشاعر، وقد بيّنه بذكر لازمه بعده بقوله: "طالعا"، ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهو الذئب أو الأسد، وهذا هو المعنى القريب المورّي به، والتورية الثانية في "الغزالة"؛ فإنه يحتمل أن يكون المراد بها الشمس، وهذا هو المعنى البعيد المورّي عنه، وهو مقصود الشاعر وقد بيّنه بذكر لازمه بعد بقوله: "تطلع"، ويحتمل أن يكون المراد بها الغزالة الوحشية المعروفة، وهذا هو المعنى القريب المورّي به والذي لم يقصده الشاعر.

**4 - التورية المهيأة.** وهي: التي لا تقع فيها التورية ولا تتهياً إلا باللفظ الذي قبلها، أو باللفظ الذي بعدها، أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر.

### فالمهيأة على هذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

**أ- فالقسم الأول:** هو الذي تتهياً فيه التورية من قبل. واستشهدوا على ذلك

بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة:

وسيرك فينا سيرة عمرية      فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب  
وأظهرت فينا من سميك سنة      فأظهرت ذاك الفرض من ذلك النذب

فالشاهد هنا في "الفرض والنذب" وهما يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهذا هو المعنى القريب المورّي به، ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والنذب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضية في الأمور، وهذا هو

المعنى البعيد المورى عنه، ولولا ذكر "السنة" لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية.

**ب- والقسم الثاني:** هو الذي تنهياً فيه التورية بلفظة من بعده.

**ومن أمثله: قول الشاعر:**

لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا مريض لا يعود مريضاً

لقضيت نحبي في جنابك خدمة لأكون مندوباً قضى مفروضاً

"فالمندوب" هنا يحتمل الميت الذي يبكى عليه، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد، ويحتمل أن يكون أحد الأحكام الشرعية، وهو المعنى القريب المورى به. ولولا ذكر "المفروض" بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب، ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره.

**ج- والقسم الثالث:** هو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما

تهيأت التورية في الآخر. **واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة:**

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

وموضع الشاهد هنا هو "الثريا وسهيل"؛ فإن "الثريا" يحتمل أن يكون الشاعر أراد بها بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد، ويحتمل أن يكون أراد بها نجم الثريا، وهذا هو المعنى القريب المورى به، و"سهيل" يحتمل أيضاً أن يكون سهيل بن عبد



الرحمن بن عوف، وقيل: كان رجلاً مشهوراً من اليمن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ويحتمل أن يكون النجم المعروف بسهيل، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ولولا ذكر "الثريا" التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل، وكل واحد منهما صالح للتورية<sup>(1)</sup>.

**قال الحموي:** "هذا النوع - أعني التورية - ما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب، ولعمري إنهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب؛ فإن التورية من أعلى فنون الأدب وأعلى رتبة، وسحرها ينفث في القلوب، ويفتح بها أبواب عطف ومحبة، وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل ضامر مهزول، ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول. ومما يؤيد قولي هذا: قول الشيخ صلاح الدين الصفدي - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - في ديباجة كتابه المسمى: "بفض الختام عن التورية والاستخدام": "ومن البديع ما هو نادر الوقوع، ملحق بالمستحيل الممنوع، وهو نوع التورية والاستخدام؛ فإنه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام.

نوع يشق على الغبي وجوده من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع، ولا يقرع بابه قارع، إلا من تنحو البلاغة نحوه في الخطاب، وتجري ريحها بأمره رخاء حيث أصاب... وكانت خواطر المتقدمين

(1) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 595)، خزنة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (2/ 39) (2/ 244)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 243)، علم البديع (ص: 122).

عن نظم التورية بمعزل، وأفكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل، لكنها ربما وقعت لهم عفواً من غير قصد؛ لأنهم على كل حال ولادة هذا الشأن، وأدلة هذا الركب.

**وقيل:** إن أول من كشف غطاءها، وجلا ظلمة إشكالها: أبو الطيب المتنبى بقوله:

بِرَغْمِ شَيْبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ      وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَصْطَحِبَانِ  
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ      عَدُوَّكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِ

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان؛ لأن شيباً كان قيسياً، والسيف يقال له: يمان، فوري به عن الرجل المنسوب إلى يمن، ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر. قلت: وكأن من قال: إن أبا الطيب أول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرو بن كلثوم في معلقته عن الخمرة:

مُشْعَشَعَةٌ كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا      إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا

الشاهد هنا في "سخينا"؛ فإن العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده، ثم يمزجونها [يعني: الخمرة] به ف "سخينا" على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى: فأضحى شراباً سخيناً، وهذا هو المعنى القريب المورى به. ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه<sup>(1)</sup>.

(1) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (2/40).



**وقال عبد العزيز عتيق:** "وإذا ألقينا نظرة على نشأة هذا النوع من البديع المعنوي فإننا نرى أن المتقدمين لم يحفلوا كثيرًا بالتورية، وأن المرء ليحس فيما يلقاه منها في أدبهم أنها كانت تقع لهم عفواً من غير قصد، ويقال: إن المتنبي هو أول من التفت إليها واستخدمها في شعره على نحو ظاهر، ولكن التحقيق يظهر أن شعراء البديع في العصر العباسي الأول والثاني من أمثال أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحري قد سبقوه إليها.

ثم أخذ الاهتمام بها ابتداءً من عصر المتنبي يزداد شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى عصر القاضي الفاضل فتلقفها وتوسع في استعمالها في شعره ونثره إلى الحد الذي لفت الأنظار إليها، ومن ثم جراه فيها شعراء مصر"<sup>(1)</sup>.

### 13- اللف والنشر:

**اللف لغة:** الجمع والضم، **يقال:** لف الشيء: ضمه إليه ووصله به وجمعه، **واللف:** ما يجمع من ها هنا وها هنا، **واللفيف:** ما اجتمع من الناس من قبائل شتى أو من أخلاط شتى فيهم الشريف والذنيء والمطيع والعاصي والقوي والضعيف. **والنشر:** البسط والتفريق، **يقال:** نشر الشيء نشرًا: فرّقه، **والنشر:** القوم المتفرقون<sup>(2)</sup>.

**واللف والنشر اصطلاحًا:** أن يُذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده من غير تعيين؛ اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به؛ لوضوح الحال.

(1) علم البديع (ص: 133).

(2) ينظر: المعجم الوسيط (2/ 921) (2/ 833).

**أقسامه :**

وهو قسمان:

**القسم الأول: ذكر المتعدد على التفصيل: وهو ضربان:**

1 - **أحدهما:** أن يكون النشر على ترتيب اللف؛ بأن يكون الأول من المتعدد في النشر للأول من المتعدد في اللف، والثاني للثاني، وهكذا إلى الآخر، وهذا الضرب هو الأكثر في اللف والنشر والأشهر.

ومن شواهد هذا الضرب بين اثنين: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: 73]، فجمع بين الليل والنهار بواو العطف، ثم بعد ذلك أضاف إلى كل واحد منهما ما يليق به؛ فأضاف السكون إلى الليل؛ لأن حركات الخلق تسكن ليلاً لأجل النوم، ثم قال بعد ذلك ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أضافه إلى النهار؛ لأن ابتغاء الأرزاق إنما يكون نهاراً بالتصرف والاضطراب، واكتفى في الإضافة بما يعلم من ظاهر الحال، وهو أن السكون مضاف إلى الليل؛ لما فيه من الاستراحة بترك التصرفات، وأن الابتغاء مضاف إلى النهار؛ لما يظهر فيه من الحركة، ولم يقل: جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا من فضله؛ إشاراً لما يظهر في اللف بعده النشر من البلاغة وحسن التأليف.

**وكقول الشاعر:**

أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي مِنْ وَرْدِ نَعْمَتِهِ      وَوَرْدِ رَاحَتِهِ أَجْنِي وَأَعْتَرَفُ



فقد ذكر متعددًا على سبيل التفصيل، وهو ورد نعمته بفتح الواو وورد راحته بكسر الواو، ثم ذكر ما للأول من "الجني" وما للثاني من "الاغتراف" والنشر على ترتيب اللف كما ترى.

وقد افتن الشعراء في هذا النوع من اللف والنشر المفصل المرتب حتى بلغوا فيه إلى الجمع بين عشرة وعشرة كقول بعضهم:

شَعْرٌ جَبِينٌ مَحِيًّا مَعْطَفٌ كَفَلٌ      صَدْعٌ فَمٌّ وَجَنَاتٌ نَاطِرٌ ثَغْرٌ  
لَيْلٌ صَبَاحٌ هَلَالٌ بَانَةٌ وَنَقَاً      آسٌ أَقَاحٌ شَقِيقٌ نَرَجِسٌ دُرٌّ

وحسن هذا النوع من البديع يتمثل في أن يكون اللف والنشر في بيت واحد خاليًا من الحشو والتعقيد، جامعًا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة. ولكن المبالغة والإسراف في كثرة المتعدد منه - كما في بعض الأمثلة السابقة - تخرج به عن دائرة البديع، وتجرده من نعوت الحسن، وترده إلى نوع من العبث يدعو إلى العجب منه بدل الإعجاب به.

**2 - والضرب الثاني:** هو ما يجيء على غير ترتيب اللف. ومن هذا الضرب ما

يكون معكوس الترتيب؛ **كقول ابن حيوس:**

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتِ حِقْفٌ وَغُصْنٌ      وَغَزَالٌ لِحْظًا وَقَدًّا وَرَدْفًا

فالحظ للغزال، والقدر للغصن، والردف للحقف.

**القسم الثاني:** ما يكون ذكر المتعدد فيه على الإجمال. نحو قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 111]؛ فإن الضمير في

قالوا لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فذكرَ الفريقين على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهما، ثم ذكر ما لكل منهما، أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فلف بين القولين إجمالاً؛ ثقةً بقدرة السامع على أن يرد إلى كل فريق قوله، وأما من الالتباس؛ وذلك لعلمه بالتعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه؛ بدعوى أن داخل الجنة هو لا صاحبه.

**ومن بديع اللف والنشر وغريبه:** أن يُذكر متعددان أو أكثر ثم يذكر في نشر واحد ما يكون لكل من أفراد كل من المتعددين؛ كقول القائل: "الغنى والفقر والعلم والجهل بها تحيا الشعوب وبها تموت"؛ فالغنى والفقر لف أول، والعلم والجهل لف ثان، وقوله: بها تحيا الشعوب وبها تموت نشر ذكر فيه ما لكل واحد من اللفين؛ لأن قوله: بها تحيا الشعوب نشر راجع للغنى من اللف الأول وللعلم من اللف الثاني. وقوله: وبها تموت نشر راجع للفقر في اللف الأول، وللجهل في اللف الثاني.

ولعلنا بعد كل ما تقدم ندرك معنى تسمية هذا النوع من البديع المعنوي "باللف والنشر". فوجه تسمية المعنى المتعدد الأول على وجه التفصيل أو الإجمال باللف: أنه انطوى فيه حكمه؛ لأنه اشتمل عليه من غير تصريح به، ثم لما صرح به في الثاني كان كأنه نشر لما كان مطويًا؛ فلذلك سمي نشرًا<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة (1/168) (1/167)، البلاغة العربية (2/403)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (2/212)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/600)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/149)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/246)، علم البديع (ص: 175).



## 14- الاستخدام:

**وهو:** أن يُؤْتَى بلفظ له معنيان فيراد به أولاً أحدهما، ويُعَادَ الضمير عليه، أو يُشَارَ إليه باسم إشارة مراداً به المعنى الآخر، أو يُرَادَ بأحد ضميريه أحدُ معنَيِّه ويُراد بالآخر الآخرُ منهما، سواءً أكان المعنيان حقيقيَّين، أم مجازيَّين، أم مختلفيَّين.

سمى استخداماً؛ لأن الكلمة استخدمت لمعنيين، وقال الخطيب: يسمى الاستخدام بالحاء المهملة.

**وقال الحموي:** "الاستخدام هو: استفعال من الخدمة، وأما في الاصطلاح فقد اختلفت العبارات في ذلك على طريقتين:

**الأولى:** طريقة صاحب الإيضاح ومن تبعه، ومشى عليها كثير من الناس، وهي: أن الاستخدام: إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين، ثم تعيد عليه ضميراً تريد به المعنى الآخر، أو تعيد عليه، إن شئت، ضميرين تريد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر. وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات: الشيخ صفي الدين الحلبي، والعميان، والشيخ عز الدين، وهلم جرا.

**الثانية:** طريقة الشيخ بدر الدين ابن مالك **رَحْمَةُ اللَّهِ**، في المصباح، وهي أن الاستخدام: إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، ثم يأتي لفظ يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، ثم إن اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك، وقد يكونان متقدمين، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطاً بينهما.

والطريقتان راجعتان إلى مقصود واحد وهو: استعمال المعنيين. وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام؛ فإن المراد من التورية هو: أحد المعنيين، وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد".

وهذا فنّ بديع يدعو إليه الإيجاز من جهة، وتقديرُ ذكاء المتلقّي وإرضاءه من جهة أخرى.

### ومن الأمثلة على ذلك: قول الشاعر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابَا

فإنه أراد بالسما: المطر، وأراد بالضمير في "رعيناه" النبات، والنبات أحد معنيي السماء؛ لأنه مجاز عنه باعتبار أن المطر سببه، وسوغ عود الضمير على النبات - وإن لم يتقدم له ذكر - ذكر سببه، وهو السماء التي أريد بها المطر.

### وقول البحري:

فَسَقَى الْعُضَا وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُّوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَقُلُوبِ

لفظ "العُضَا" أراد به أولاً: المكان، وأعاد الضمير عليه بعبارة: "والنَّازِلِيهِ" على هذا المعنى، وأعاد الضمير عليه بعد ذلك على معنى شجر الغضا وخطبه الصّلب ذي النار الحارّة إذا اشتعل، فقال: "شَبُّوهُ" أي: أو قدوه<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: البديع في نقد الشعر (ص: 82)، البلاغة العربية (2/ 401)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 301)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 119)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 245).



ويذكر عن رجل كان له مولى اسمه قبول أغضبه، فهرب من عنده إلى أحد الأدباء، فأرسل ذلك الأديب إلى سيده هذه الرسالة: "صدر إليكم قبول تفضلوا عليه به؛ فإنه صالح للاستخدام".

### 15- السُّوقُ:

**وهو:** إخراج ما تعرف صحته مخرج ما يشك فيه؛ ليزيد بذلك تأكيداً.

**أو هو:** سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التدلّ في الحبّ، أو لقصّد التعجّب أو التوبيخ أو التقرير.

### مظاهره:

ويتجلى السوق في كثير من مواقف القول، ويأخذ مظاهر عدّة، يصطنع فيها القائل موقفاً غير الموقف الحقيقي في الظاهر، ويوهم بأن السؤال للاستفسار، والحقيقة أن السؤال تظاهر بالجهل، أو بالاستفهام عن حقيقة يجهلها، وواقع الحال أنه يعرف الحقيقة ويستنكر حيناً تجاهلها، ويقرّر واقعاً ما كان ينبغي له أن يكون قائماً، **فمن ذلك:**

### 1- معرض التوبيخ.

### قالت ليلي بنت طريف:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورِقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ!؟

فالشاعرة تتساءل مضخّمة الحدث، وكأنّها تريد أن توقف دورة الزمن بعد وفاة ابن طريف؟ وتستنكر نضرة الشجر واخضرارها؛ إذ كان عليه أن يموت ويضرب عن الاخضرار حزناً عليه، فهي تشخّص الشجر فتخاطبه وتنسب إليه الجزع، وهما من صفات الإنسان، وتوبّخه على فعلته، وكأنها تجهل أن الشجر لن يكفّ عن الاخضرار حزناً على أحد.

## 2- المبالغة في القدح والذم.

كما في قول زهير:

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفُ إِخَالُ أَذْرِي      أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟!

فإنه ادعى أنهم لشدة شبههم بالنساء في الأوصاف الرذيلة، يشك الناظر فيهم أهم قوم، أي: رجال، أم نساء؟ فهو يبالغ في الذم فيجرد آل حصن من كل صفات الرجال، ويجعلهم نساء خائفات منزويات متقاعسات عن التصدي للعدوان والثأر للكرامة.

## 3- المبالغة في المدح:

كقول الشاعر:

أَلْمَعُ بَرْقِ جَرَى أَمْ صَوْءٌ مِصْبَاحٍ      أَمْ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي؟!

فإنه تجاهل ادعى فيه أنه لشدة مشابهة ابتسامتها لهذه الأمور صار يشك في أنها الواقع، وإن كان غير شاك.



## 4 - التولّد في الحبّ.

كما في قول مجنون ليلى:

بِاللّهِ يَا ظَيِّبَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشْرِ؟!

فالشاعر يشبّه ليلاه بالظبية، وهذا وجه متداول في التشبيه، لكنه بعد أن خلبه الحبّ بات عاجزاً عن تمييز ليلاه عن الظباء فيسألها: هل ليلى منكن؟ أم هي من البشر؟

فالمقصود من السؤال إظهار جموح الحبّ الذي ذهب ببصره وبصيرته، فبات غير قادر على التمييز بين الظبية الحقيقية والظبية الموهومة.

ولهذا النوع تسميات أخرى منها: تجاهل العارف، ولكن السكاكي لم يرتض هذا الاسم وسماه "سوق المعلوم مساق غيره"؛ لرعاية الأدب، والاحتراز عن إطلاق لفظ التجاهل على الله تعالى؛ وذلك لوجود أمثلة عليه من القرآن، وأحياناً يسميه الاستخبار.

وهذه لفظة لطيفة في انتقاء المصطلحات والأسماء العلمية؛ ولذلك فإن السكاكي نفسه سمي أسلوب المغالطة أسلوب الحكيم، خلافاً لعبد القاهر؛ للعلة السابقة، وكذلك ما جاء في القرآن من أمثلة السجع يطلق عليه بعض أهل البلاغة: رعاية الفاصلة.

وسمى ابن المعتز السوق أيضاً الإعنات لنكتة أي: لا يفعل ذلك إلا لاعتبار

مقصود.

وقال فيه أبو هلال: تجاهل العارف ومزج الشك باليقين: هو إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً<sup>(1)</sup>.

### 16- التوجيه:

**وهو:** إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين؛ كهجاء، ومديح، ودعاء للمخاطب، أو دعاء عليه؛ ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه.

ويسمى الإبهام - بياء موحدة - وهو: أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يحتمل معنيين متضادين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد، بل يقصد إبهام الأمر فيهما.

وذكر البلاغيون أن السابق إلى استخدام هذا الفن في الأدب هو: بشائر بن برد، وأنه كان كثير العبث به.

**ومن أخباره فيه:** أنه أراد أن يخيط قباءً عند خياط قيل: اسمه "عمرو" وقيل: اسمه "زيد" فقال له الخياط مماًزحاً: سأخيط لك هذا الثوب فلا تدري أهو جبة أم قباء؟.

**فقال له بشار:** إذا أنظمت فيك شعراً لا يعلم من سمعه أدعوت به لك أم دعوت

(1) ينظر: مفتاح العلوم (ص: 427)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 630)، البلاغة 1 - البيان والبدیع - جامعة المدينة (ص: 471)، تحقيق الفوائد الغيائية (2/ 808)، عروس الأفرح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 275)، الصناعتين: الكتابة والشعر (ص: 396)، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني (ص: 85)، نهاية الأرب في فنون الأدب (7/ 123).



به عليك؟ وكان الخياط أعور، فلما فعل الخياط ما وعد به، قال فيه بشار:

خَاطَ لِي زَيْدُ قَبَاءٍ<sup>(1)</sup> لَيْتَ عَيْنِيهِ سَوَاءٌ  
قُلْ لِمَنْ يَعْرِفُ هَذَا أَمْ دِيحُ أُمِّ هِجَاءٍ

**وروي** أنّ محمد بن حزم هنا الحسن بن سهل بتزويج ابنته بوران للخليفة المأمون مع من هنا، فأثاب المهنيين، ومنع ابن حزم، فكتب إليه: إن أنت تماديت في حرمانى قلت فيك شعراً لا يعرف أمدح هو أم ذم؟

فاستحضره وقال له: لا أعطيك أو تفعل، فقال ابن حزم:

بَارَكَ اللهُ لِلْحَسَنِ  
يَا إِمَامَ الْهُدَى ظَفَرُ  
وَلِيُورَانَ فِي الْخَتَنِ<sup>(2)</sup>  
تَ وَلَكِنْ بِنْتِ مَنْ؟

فلم يدر: بنت من؟ أفي العظمة وعلو الشأن ورفعة المنزلة، أم في الدناءة والخسة؟ فهو استفهام يحتمل أن تكون ابنة شريف أو ضيع. فاستحسنه الحسن، وقال له: أمن مبتكراتك؟ قال: لا، بل نقلته من بشار بن برد.

**والفرق بين التورية والتوجيه: أن:**

**(أ) التورية:** تكون في لفظ واحد، وأما التوجيه: فيكون في تركيب، أو جملة أسماء متلائمة.

(1) القباء: ثوب يلبس فوق الثياب: العباءة.

(2) الختن: زوج البنت.

(ب) التورية: يقصد المتكلم بها معنى واحداً: هو البعيد، والتوجيه لا يترجح فيه أحد المعنيين على الآخر<sup>(1)</sup>.

### 17- التوفيق:

ويسمى: مراعاة النظر والتناسب والائتلاف.

وهو: أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، لا بالتضاد.

فيجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسبٌ وائتلاف ما، لا على سبيل تقابل التناقض أو التضاد أو التضائيف، الذي سبق في الطباق، ويكون هذا التناسب بين معنيين فأكثر، فإذا كان هذا التناسب بين أول الكلام وآخره سُمِّي: "تشابه الأطراف"؛ كالتناسب والتلاؤم بين الشمس والقمر، والظل والشجر، والزهر والثمر، والإبل والبقر، والقوس والوتر، والليل والسمر، والوعل والجبل، والتعجبة والحمل، والهوى والشباب، والظمأ والسراب، والعلم والكتاب، والضرب والعذاب، إلى نحو ذلك مما لا يحصى.

ومنه: قول ابن رشيق:

أَصْحَّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى      مِنْ الْخَبْرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ  
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُورُ عَنِ الْحَيَا      عَنِ الْبَحْرِ عَنْ جُودِ الْأَمِيرِ تَمِيمِ

(1) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 628)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 178)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 274)، البلاغة العربية (2/ 399)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 315)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 81).



نجد في هذَيْنِ البيتين التلاؤم والتناسب فيما يلي: بين الصحة والقوة، وبين السماع والخبر المأثور، وبين السيول، وَالْحَيَا (أي: المطر) وَالْبَحْرِ، والجود أيضاً؛ لأنه يلائم المطر والبحر في تشبيهات الشعراء.

وَأَلْحَقَ البلاغيون بمراعاة النظير ما فيه إيهام التناسب، كأن يكون اللفظ مشتركاً بين معنيين: أَحَدُهُمَا: يُنَاسِبُ ما جاء في الكلام من معانٍ إِلَّا أَنَّهُ غير مراد، والآخر: لا يَنَاسِبُ وهو المراد.

وضربوا مثلاً لما فيه إيهام التناسب بقول الله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ \* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: 5-6]؛ كلمة "النجم" تأتي بمعنى الأَجْرَامِ المضيئة في السماء، وهذا المعنى يُلائم وَيُنَاسِبُ كلمتي الشمس والقمر، فهما جرمان أحدهما مُضِيءٌ، والآخر مُنِيرٌ، لكن هذا المعنى للنجم غير مراد النَّصِّ، فكان استخدامه من إيهام التناسب؛ إذ كان يمكن استخدام كلمة أخرى تؤدِّي المعنى المراد دون أن يكون فيها إيهام التناسب، ككلمة "النبت".

**وتأتي كلمة "النجم"** بمعنى النبات الذي لا ساق له، يقال لغة: نَجَمَ الشيءُ والنباتُ نجماً ونجوماً إذا طَلَعَ وظهر، وهذا المعنى يناسب معنى كلمة الشجر. فناسبت كلمة "النجم" بمعناها غير المراد ما سبقها، وهما الشمس والقمر، وناسبت بمعناها المراد ما جاء بعدها وهو الشجر.

وهذا فنٌ بديع، تنبّه له البلاغيون فألحقوه بمراعاة النظير على اعتبار أن فيه إيهامَ التناسب<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 583)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 234)، البلاغة العربية (2/ 382)، علم البديع (ص: 179).

## 18- البحث (المذهب الكلامي) :

**وهو:** إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام، بحيث يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام؛ إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة.

**والمراد بطريقة أهل الكلام:** أن تكون الحجة بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب؛ فعلم الكلام يَسْتَنِدُ في حُجْجِهِ إلى الحجج العقلية، فإذا استخدم الأديبُ الحججَ العقليةَ في كلامه، فقد ذهب مذهبَ عُلَمَاءِ الكلام.

والمذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته إلى الجاحظ، وقد عدّه ابن المعتز أحد الفنون البديعية الخمسة الأساسية التي بنى عليها كتابه "البدیع"، وقيل: إن ابن المعتز قال: لا أعلم ذلك في القرآن، وليس عدم علمه مانعاً علم غيره.

ولم يُستشهد على المذهب الكلامي بأعظم من شواهد القرآن، وأوضح الأدلة في شواهد هذا النوع، وأبلغها: قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: 22].

فهذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله، وتمام الدليل أن تقول: لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله؛ ففي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ اللازم، وهو فساد السموات والأرض باطل؛ لأن المراد به خروجهما عن النظام الذي هما عليه، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل.



وفي هذه الآية حُجَّةٌ عقليةٌ مما يحتجُّ به علماءُ الكلام، والدليلُ فيه يُسمَّى عند علماء المنطق: "قياساً استثنائياً" وهو من قسم الشرطيَّة المتصلة، فهو قياس استثنائيٌّ متَّصل، له مقدّم وتال؛ فمقدم التالي: ﴿لو كان فيهما آلهةٌ إلاَّ الله لفسدنا﴾ (هذه القضية الكبرى)، لكنَّهما لم تفسدا، كما هو مشاهد في الواقع (هذه القضية الصغرى)، إذن: فليس فيهما آلهةٌ بحقِّ إلاَّ الله (هذه النتيجة) - وقد رُفِعَ فيهما المقدم).

**ومنه قوله** صلى الله عليه وسلم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً)، وتمام الدليل أن يقال: لكنكم ضحكتم كثيراً وبكيتم قليلاً، فلم تعلموا ما أعلم.

فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

ومنه قول النابغة الذبياني يعتذر إلى النعمان بن المنذر:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً	وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَطْلَبُ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً	لَمُبْلِغِكَ الْوَأَشِي أَعْشُ وَأَكْذِبُ
وَلَكِنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ	مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ	أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ	فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنِبُوا

يقول "النابغة" في اعتذاره "للنعمان": إِنَّ لِي مَصَالِحَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَخْتَلِفُ إِلَيْهَا، وَأَتَرَدُّ فِي أَنْحَائِهَا، وَيُوجَدُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ، إِذَا أَنَا مَدَحْتَهُمْ حَكَّمُونِي فِي أَمْوَالِهِمْ وَقَرَّبُونِي إِلَيْهِمْ، كَمَا تَفَعَّلَ أَنْتَ حِينَ يَأْتِيكَ شُعْرَاءُ مِنْ غَيْرِ

شُعْرَائِكَ الْخَاصِّينَ بِكَ، فَيَمْدَحُونَكَ؛ فَإِنَّكَ تُكْرِمُهُمْ، وَتُجْزِلُ لَهُمُ الْعَطَايَا، وَلَا تَرَاهُمْ مُذْنِبِينَ، مَعَ أَنَّهْمُ فِي الْأَصْلِ شُعْرَاءُ لغيرِكَ، فَعَامِلِنِي كَمَا تَعَامَلَهُمْ.

فالشاعر هنا يقيسُ حالتهُ على حالة شعراء آخرين، فعلوا مثله، ولم يعتبرهم النعمان مذنبين. وهذا الاستدلال المنطقي في الشعر وارد على مذهب علماء الكلام في تقديم الحجج العقلية، على أن النابغة جاهليٌّ جاء قبل علماء الكلام بقرون، لكنّه ساق في شعره دليلاً عقلياً<sup>(1)</sup>.

### 19- حسن التعليل :

**وهو:** أن يُدعى لوصف -على جهة التظرف- علة مناسبة ليست له في الواقع. وهذه العلة التي يدعيها مناسبة للوصف باعتبار لطيف غير حقيقي، والعلّة الحقيقية خلاف ما ادّعى، وقد يكون ذكُر الوصف على سبيل الادّعاء الذي لا حقيقة له أيضاً.

**فالوصف المذكور:** إما أن يكون ثابتاً أو غير ثابت، والثابت إما أن تكون له علة ظاهرة غير ما يدعي المتكلم، وإما أن لا تكون له علة ظاهرة.

فحُسنُ التعليل يكون بأن يستبعد الأديب صراحةً أو ضمناً علة الشيء المعروفة، ويأتي بعلة أدبية طريفة مُستملحة تناسب الغرض الذي يقصد إليه.

(1) ينظر: علم البديع (ص: 170)، البلاغة العربية (2/ 446)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 615)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 305)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 364)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 264).



وهو أربعة أقسام:

**الأول:** وصف ثابت قصد بيان علتة؛ **كقول الشاعر:**

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيهَا الرُّحْضَاءُ

فالوصف الثابت المعلل هو نزول المطر ولا يظهر له في العادة علة فأثبت له علة، وهى أن السحاب حمت بنائله حسدا له، وغيره منه فصبيها أي: مطرها الرحضاء وهو العرق عقيب الحمى.

**الثاني:** وصف غير ثابت أريد إثباته؛ **كقول أبي الطيب:**

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ

فإن قتل الملوك أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم؛ حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم، لا لما ادعاه من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه، ومحبتة أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه؛ لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم، وهذا مبالغة في وصفه بالجود، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخيلي، أي: تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم، فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه.

**الثالث:** وصف ثابت له علة غير ما يدعيه المتكلم؛ **كقول الشاعر:**

يَا وَاشِيًا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ نَجَى حِذَارُكَ إِنْ سَانِي مِنَ الْعَرَقِ

فإن استحسان إساءة الواشي ممكن، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر

سببه، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء، فسلم إنسان عينيه من الغرق في الدموع، وما حصل ذلك فهو حسن.

**الرابع:** وصف غير ثابت أريد إثباته وهو غير ممكن؛ **كقول الشاعر:**

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوَزَاءِ خِدْمَتَهُ      لَمَارَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُتَطِّقِ

ادعاء زُخْرُفِيٌّ لا أصل له، وهو غير ممكن في الواقع، لكنه ظريفٌ مُسْتَمْلِحٌ، فالشاعر يدعي أن الجوزاء قد نوت خِدْمَتَهُ فانتطقتُ بنطاق الخِدْمَةِ<sup>(1)</sup>.

#### 20-التعليق:

**ويقال له:** التفریع، وهو: أن يُثبت لمتعلق أمر حكم بعد إثباته لمتعلق له آخر.

وسمى هذا تفریعاً لتفریع المتكلم الثاني فيه على الأول.

**ومنه: قول الكمي:**

أَحْلَامُكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ      كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

فقد فرّع من وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل وصفهم بشفاء دمائهم من داء الكلب.

**يعني:** أنتم أرباب العقول الراجحة، وملوك وأشراف؛ لأنه يقال: من عضه

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/387)، المنهاج الواضح للبلاغة (1/174)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/617)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/267)، البلاغة العربية (2/389).



كَلْبٌ كَلِبٌ فَلَا دَوَاءَ لَهُ أَنْجَعُ مِنْ دَمِ شَرِيفٍ؛ يَشْرَطُ الْإِصْبَعُ الْيَسْرَى مِنْ رِجْلِهِ الْيَسْرَى، وَيُؤْخَذُ مِنْ دَمِهِ قَطْرَةٌ عَلَى تَمْرَةٍ وَتَطْعَمُ الْمَعْضُوضُ مِنْهُ فَيَبْرَأُ<sup>(1)</sup>. وَهَذَا مِنْ خِرَافَاتِهِمْ.



(1) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 462)، البلاغة العربية (2/ 426)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 621)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: 317)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 269)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 341).





## خاتمة في: السرقات الشعرية

### فصل تمهيدي

#### تعريف السرقات الشعرية:

السَّرْقَةُ الشعرية: أن يعمد شاعر لاحق فيأخذ من شعر شاعر سابق بيتاً شعرياً، أو شطر بيت، أو صورة فنية، أو حتى معنى ما، ويكون في البدیع المخترع الذي يختص به الشاعر، لا في المعاني المشتركة<sup>(1)</sup>.

وقال العلوي: "معنى السرقة في الأشعار: أن يسبق بعض الشعراء إلى تقرير معنى من المعاني واستنباطه، ثم يأتي بعده شاعر آخر يأخذ ذلك المعنى ويكسوه عبارة أخرى.

ثم يختلف حال الأخذ: فتارة يكون جيداً مليحاً، وتارة يكون رديئاً قبيحاً، على قدر جودة الذكاء والفتنة والفصاحة بين الشاعرين؛ فمن الشعراء من يأخذه كرة وبعرة، ويردّه ياقوتة ودرّة، ومن الناس من يأخذه ديباجة ويرده عباءة، إلى غير ذلك من الأمثال في النقائص والأضداد في الأخذ والرد"<sup>(2)</sup>.

(1) أرشيف منتدى الفصيح .

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 107).

**أهمية معرفة السرقات الشعرية :**

تعد السرقات الشعرية من الموضوعات التي أولاها النقاد اهتماماً كبيراً وعناية فائقة؛ إذ كان من الأهداف النقدية: الوقوف على مدى صحة نسبة الأعمال الأدبية إلى أصحابها، والنظر فيما فيها من إبداع أو تكرار، ومعرفة ما امتاز به عمل شاعر عن آخر. ثم إن النقاد أصبحوا يلجؤون إلى الموازنة بين الشعراء كما هو موجود عند الأمدي والجرجاني، ولا يعد المشتغل بالنقد متمكناً حتى يميز بين أصنافه وأقسامه، ويحيط به علماً، ويستطيع أن يفصل القول فيه، والتفريق بين أنواعه.

ثم إن النقاد تبعوا ما في أعمال الشعراء من جِدَّة وابتكار، أو اتباع وتقليد، وهذا لا يكون إلا باطلاع واسع، ليسهل ربط المتقدم بالمتأخر، ومعرفة السابق بالمعنى واللفظ، وعندها يمكن الحكم عليه بالتقليد أو التجديد<sup>(1)</sup>.

**هل تعد السرقات الشعرية من علم البديع؟****فيه وجهان:**

**أحدهما:** أنها تكون معدودة فيه؛ لأن كل واحد من السابق واللاحق إنما يتصرف في تأليف الكلام ونظمه، وترديده بين الفصيح والأفصح والأقبح والأحسن، وهذه هي فائدة علم البديع وخالصة جوهره.

**وثانيهما:** أنها غير معدودة في علم البديع؛ لأن معنى السرقة هو الأخذ، ومجرد

(1) أرشيف منتدى الفصيح .



الأخذ لا يكون متعلقاً بأحوال الكلام ولا بشيء من صفاته، فلاجل هذا لم تكن معدودة في علم البديع.

والأول أقرب - وهو عدّها من جملة أصنافه - والبرهان القاطع على ما ذكرناه هو: أن علم البديع أمر عارض لتأليف الألفاظ وصوغها وتنزيلها على هيئة تعجب الناظر، وتشوق القلب والخاطر، وهذا موجود في السرقات الشعرية؛ فإن الشعارين المفلقين يأخذ كل واحد منهما معنى صاحبه، ويصوغه على خلاف تلك الصياغة، ويقبله على قالب آخر، فإما زاد عليه، وإما نقص عنه، وكل ذلك إنما هو خوض في تأليف الكلام ونظمه. فإذا الأخلق عدّها منه؛ لما ذكرناه، بل هي أخلق بذلك؛ لأننا إذا عددنا الطباق، والتجنيس، والترصيع، والتصريع، من علوم البديع - مع أنها إنما اختلفت بما اختلفت به من التأليف وتنزيلها على تلك الهيئات من لسان واحد - فكيف حالها إذا كانت مختصة بما ذكرناه من لسانين على هئتين مختلفتين<sup>(1)</sup>.

ومما يؤيد أن للسرقات الشعرية اتصالاً وثيقاً بالبديع: أن علم البديع يعنى بتحسين الألفاظ والمعاني؛ وفي السرقات الشعرية يقصد الشاعر السارق تحسين شعره - لفظاً أو معنى - بما سرقه، فالغاية إذن متفقة.

وبعضهم يطلق على هذه السرقات البديع الصوري لا الحقيقي؛ ف" السرقات الشعرية الاصطلاحية الملحقة بفن البديع، وإن كانت بديعة؛ أعني طريقة في نفسها؛ لأنهم يشترطون الانتقال من جيب شاعر إلى جيب شاعر آخر، لكن هذا

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 107).

ربما جاز أن يسمى بالبديع الصوري؛ فهو كما رأيت يهتم بالصورة والإتيان بالطرائف فيها، وله قدرة في التشكيل وإخراج أفانين القول وتقليب الأساليب<sup>(1)</sup>.

### قبح السطو على إبداع الشعراء:

إن كان هذا المصطلح مأخوذاً من سرقة المحسوسات إلا أنه لما ظهر أن هناك ما يوازيه، بل وربما يزيد عليه قبحاً جاز تسمية ذلك بالسرقة؛ وذلك بتأثيره الظاهر على المجتمع الإنساني، وسلب إبداع المبدعين؛ فإن لأفكار المبدعين حرمة تتطلب حفظاً، كما أن للأموال حرمة.

وقد بنى الحريري مقامته " الشعرية " على هذا الموضوع، فكان مما قال: "فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَيْلَكَ وَأَيُّ رَيْبٍ أَخْزَى مِنْ رَيْبِكَ. وَهَلْ عَيْبٌ أَفْحَشُ مِنْ عَيْبِكَ؟ وَقَدْ ادَّعَيْتَ سِحْرِي وَاسْتَلْحَقْتَهُ. وَانْتَحَلْتَ شِعْرِي وَاسْتَرْقَيْتَهُ؟ وَاسْتَرَأَقَ الشَّعْرَ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ. أَفْطَعُ مِنْ سَرِقَةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّنْفَرَاءِ. وَغَيْرَتُهُمْ عَلَى بَنَاتِ الْأَفْكَارِ. كغَيْرَتِهِمْ عَلَى الْبَنَاتِ الْأَبْكَارِ. فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ: وَهَلْ حِينَ سَرَقَ سَلَخَ أَمْ مَسَخَ. أَمْ نَسَخَ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي جَعَلَ الشُّعْرَ دِيوَانَ الْعَرَبِ. وَتَرَجُّمَانَ الْأَدَبِ. مَا أَحْدَثَ سِوَى أَنْ بَتَرَ شَمْلَ شَرْحِهِ. وَأَغَارَ عَلَى ثُلثِي سَرْحِهِ. فَقَالَ لَهُ: أَنْشِدْ أَبْيَاتَكَ بِرَمْتِهَا. لِيَتَّضِحَ مَا احْتَازَهُ مِنْ جُمَلَتِهَا. فَأَنْشَدَ:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا دَنِيَّةٌ إِنَّهَا      شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ  
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا      أَبْكَتْ غَدًا بَعْدَ لَهَا مَنْ دَارِ

(1) البديع عند الحريري (ص: 315).



وَإِذَا أَظْلَلَّ سَحَابُهَا لَمْ يَتَّقِعْ      مِنْهُ صَدَى لَجْهَامِهِ الْغَرَارِ  
 غَارَاتُهَا مَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا      لَا يُقْتَدَى بِجَلَائِلِ الْأَخْطَارِ  
 كَمْ مُزْدَهَى بَغُورِهَا حَتَّى بَدَا      مَتَمَرِّدًا مُتَجَاوِزَ الْمِقْدَارِ  
 قَلَبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ وَأَوْلَعْتُ      فِيهِ الْمُدَى وَنَزْتُ لِأَخْذِ الثَّارِ  
 فَارْبَابُ بَعْمَرِكَ أَنْ يُمَرَّ مُضَيِّعًا      فِيهَا سُدَى مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَظْهَارِ  
 واقطع علائق حُبِّها وطلابها      تلق الهدى ورفاهة الأسرارِ

**فقال له الوالي:** ثم ماذا. صنع هذا؟ فقال: أقدم للؤميه في الجزاء. على أبياتي  
 السُداسية الأجزاء. فحذف منها جُزءين. ونقص من أوزانها وزنين. حتى صار  
 الرُزء فيها رُزءين. فقال له: بين ما أخذ. ومن أين فلذ؟ فقال: أرعني سمعك.  
 وأخل للفتهم عني ذرعك. حتى تتبين كيف أصلت علي. وتقدر قدر اجترامه إلي.  
 ثم أنشد. وأنفاسه تتصعد:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدِّينِ —      ةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرِّدَى  
 دَارٌ مَتَى مَا أَصْحَكَتْ      فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدَا  
 وَإِذَا أَظْلَلَّ سَحَابُهَا      لَمْ يَتَّقِعْ مِنْهُ صَدَى... " الخ

فالتفت الوالي إلى العُلام وقال: تباً لك من خريج مارق. وتلميذ سارق!  
 فقال الفتى: برئت من الأدب وبنيه. ولحقت بمن يؤاويه. ويقوِّض مَبَانِيهِ. إن كانت  
 آيأته نمت إلى علمي. قبل أن ألفت نظمي. وإنما اتفق توارد الخواطر. كما قد يقع  
 الحافر على الحافر. قال: فكأن الوالي جوز صدق زعميه. فنديم على بادرة ذمه.

فَظَلَّ يُفَكِّرُ فِي مَا يَكْشِفُ لَهُ عَنِ الْحَقَائِقِ . وَيَمَيِّزُ بِهِ الْفَائِقَ . مِنْ الْمَائِقِ . فَلَمْ يَرَ إِلَّا أَخَذَهُمَا بِالْمُنَاضَلَةِ .. " (1).

### توارد الخواطر وعذر الشاعر الآخر:

إن اتفاق القائلين إن كان في الغرض على العموم - كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء - فلا يُعَدُّ سرقة، ولا استعانة ولا نحوهما؛ فإن هذه أمور متقررة في النفوس، متصورة للعقول، يشترك فيها الفصيح والأعجم، والشاعر والمُفْحَم.

وإن كان الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض فذلك أقسام كثيرة: منها التشبيه بما توجد الصفة فيه على الوجه البليغ كما سبق في البيان، ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة؛ لاختصاصها بمن له الصفة؛ كوصف الرجل حال الحرب بالابتسام وسكون الجوارح وقلة الفكر؛ كقوله:

كَأَنَّ دَنَايِرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ      وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجْوهَ لِقَاءً

وكذا وصف الجواد بالتهلل عند ورود العفاة، والارتياح لرؤيتهم، ووصف البخيل بالعبوس وقلة البشُر، مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر.

فإن كان مما يشترك الناس في معرفته؛ لاستقراره في العقول والعادات؛ كتشبيه الفتاة الحسنة الوجه بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر، والبليد البطيء بالحجر والحمار، والشجاع الماضي بالسيف والنار؛ فالاتفاق فيه كالاتفاق في عموم الغرض.

(1) مقامات الحريري (ص: 222).



إن الشاعر الذي لم يتعمد سرقة شعر غيره فنما له من شعره شيء غير مقصود لاسيما في المعاني؛ فهو معذور<sup>(1)</sup>.

**قال الحاتمي:** "وبعد، فمن هذا الذي تعرّى من الاتباع، وتفرد بالاختراع والابتداع، لا أعلم شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً إلا قد احتذى واقتفى، واجتذب واجتلب"<sup>(2)</sup>.

**وقال المستعصي:** "وَوُقُوعُ الْحَافِرِ عَلَى الْحَافِرِ: وَيُسَمَّى الْمُوَارَدَةَ وَالْأَشْتِرَاكَ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى أَوْ كِلَيْهِمَا. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِأَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ: أَرَأَيْتَ الشَّاعِرَيْنِ يَتَفَقَّانِ فِي الْمَعْنَى، وَيَتَوَارَدَانِ فِي اللَّفْظِ، لَمْ يَلْقَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَلَا سَمِعَ شِعْرَهُ؟ فَقَالَ: تِلْكَ عُقُولُ رِجَالٍ تَوَافَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهَا. وَقَدْ اعْتَدَّ قَوْمٌ ذَلِكَ سَرَقًا، وَلَيْسَ بِسَرَقٍ، وَإِنَّمَا هِيَ أَلْفَاظٌ مُشْتَرَكَةٌ مَحْصُورَةٌ يَضْطَرُّ الشَّاعِرُ إِذَا اعْتَمَدَ النَّظْمَ فِي مَعْنَاهَا إِلَى الْمُوَارَدَةِ فِيهَا عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَذَلِكَ لِاتِّسَاعِ الْكَلَامِ، وَتَقَارُبِ طِبَاعِ الشُّعْرَاءِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي التَّصَرُّفِ بِالْعِبَارَةِ عَنِ الْأُمُورِ وَالْوَقَائِعِ الْمُتَقَارِبَةِ الْمَعْنَايِ بَعْضُهَا بَعْضًا فَتَشَابَهُ بِالسَّرْقَةِ حَتَّى لَقَدْ قَالَ قَوْمٌ: لَا اجْتِلَابَ، وَلَا اسْتِعَارَةَ، وَلَا أَخْذَ، وَإِنَّ الْكَلَامَ كُلَّهُ مُشْتَرَكٌ مُتَدَاوِلٌ، وَالْأَلْفَاظَ كُلَّهَا مُبَاحَةٌ. وَلَيْسَ كَمَا قَالُوا أَيْضًا، وَإِنَّمَا لِكُلِّ مَنْ ذَلِكَ حَدٌّ وَمَقْدَارٌ يُعْرَفُ بِهِ. فَمِنْ

(1) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/669)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/321)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 367)، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره (ص: 183).

(2) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره (ص: 41).

المُؤَادَّةُ وَالْإشْتِرَاكُ فِي اللَّفْظِ، وَوُقُوعُ الْحَافِرِ عَلَى الْحَافِرِ مِمَّا لَيْسَ بِسَرِقٍ: قَوْلُ  
عَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ      عَلَيْهَا الْأَسَدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارًا

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ      تَحِيَّةٌ يُبْنِيهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

فَقَالَتْ الْخَنَسَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ      فَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا

وَقَالَ أَعْرَابِيُّ:

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ      تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأُسُودِ

فَلَوْ اجْتَهَدَ هَؤُلَاءِ عِنْدَ قَصْدِهِمُ الْإِخْبَارَ بِمَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ أَنْ  
يُورِدُوهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي هَذَا الْعُرُوضِ لَمَا اسْتَطَاعُوا؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ يَضْطَرُّهُمْ،  
وَاعْتِمَادَ الْعِبَارَةِ الشَّرِيفَةِ يَقُودُ أَعْتَتَهُمْ إِلَى ذَلِكَ. فَرُبَّ مَعَانٍ تَخْتَصُّ بِالْفَاطِ شَرِيفَةٍ،  
لَا يُمَكِّنُ تَعَدِّيَهَا إِلَى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهَا، فَهَذَا مِنَ الْإِشْتِرَاكِ فِي اللَّفْظِ" (1).

وقال المتنبّي: "الشعر ميدان، والشعراء فرسان، فربما اتفق توارد الخواطر،

كما قد يقع الحافر على الحافر" (2).

(1) الدر الفريد وبيت القصيد (1/ 257).

(2) شرح شواهد المغني (2/ 802).

**وقال ابن الأثير:** "ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة، فإن بعضها لا يكون عاليًا على بعض، أو منحطًا عنه إلا بشيء يسير، وكثيرًا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني، حتى إن بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ، ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول، وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر"<sup>(1)</sup>.

**وقال أيضًا:** "واعلم أن الفائدة من هذا النوع: أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني؛ إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول، لكن لا ينبغي لك أن تعجل في سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادي على نفسك بالسرقة، فكثيرًا ما رأينا من عجل في ذلك فعثر، وتعاطى فيه البديهة فعقر.

والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب، وأظرف من عنقاء مغرب في الإغراب.

وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه ليس لقائل أن يقول: إن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعًا؛ فإن قول الشعر قديم منذ نُطق باللغة العربية، وإنه لم يبق معنى من المعاني إلا وقد طرق مرارا.

وهذا القول وإن دخل في حيز الإمكان، إلا أنه لا يلتفت إليه؛ لأن الشعر من الأمور المتناقلة، والذي نقلته الأخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (59 / 1).

المقاطيع من الأبيات فيما يعن لها من الحاجات، ولم يزل الحال على هذه الصورة إلى عهد امرئ القيس، وهو قبل الإسلام بمائة سنة زائداً فناقصةً، فقصد القصائد، وهو أول من قصد، ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان في ذلك كفاية، وأي فضيلة من هذه الفضيلة؟ ثم تتابع المقصدون، واختير من القصائد تلك السبع التي علقت على البيت، وانفتح للشعراء هذا الباب في التقصيد، وكثرت المعاني المقولة بسببه، ولم يزل الأمر ينمي ويزيد ويؤتي بالمعاني الغريبة، واستمر ذلك إلى عهد الدولة العباسية وما بعدها إلى الدولة الحمدانية، فعظم الشعر، وكثرت أساليبه، وتشعبت طرقه، وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين، وهم: أبو تمام حبيب بن أوس، وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحريري، وأبو الطيب المتنبّي.

**فإذا قيل:** إن المعاني المبتدعة سبق إليها ولم يبق معنى مبتدع؛ عورض ذلك بما ذكرته.

والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة، ومن الذي يحجر على الخواطر وهي قاذفة بما لا نهاية له؟ إلا أن من المعاني ما يتساوى الشعراء فيه، ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر؛ لأن الخواطر تأتي به من غير حاجة إلى اتباع الآخر قول الأول، **كقولهم في الغزل:**

عفت الـديار وما عفت آثارهن من القلوب

**وكقولهم:** إن الطيف وجود بما يبخل به صاحبه، وإن الواشي لو علم بمزار



الطيب لساءه، وكقولهم في المديح: إن عطاءه كالبحر، وكالسحاب، وإنه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد، وإنه يوجد ابتداء من غير مسألة، وأشبه ذلك، وكقولهم في المراثي: إن هذا الرزء أول حادث، وإنه استوى فيه الأبعد والأقرب، وإن الذاهب لم يكن واحداً، وإنما كان قبيلة، وإن بعد هذا الذاهب لا يُعد للمنية ذنب، وأشبه ذلك.

وكذلك يجري الأمر في غير ما أشرت إليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة، وتستوي في إيرادها، ومثل ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الأول<sup>(1)</sup>.

**وقال الجرجاني:** "والسَّرَق - أَيْدِكَ اللهُ - دَاءٌ قَدِيمٌ، وَعَيْبٌ عَتِيقٌ، وَمَا زَالَ الشَّاعِرُ يَسْتَعِينُ بِخَاطِرِ الْآخِرِ، وَيَسْتَمِدُّ مِنْ قَرِيحَتِهِ، وَيَعْتَمِدُ عَلَى مَعْنَاهُ وَلَفْظِهِ؛ وَكَانَ أَكْثَرُهُ ظَاهِرًا كَالْتَوَارِدِ الَّذِي صَدَّرْنَا بِذِكْرِهِ الْكَلَامَ، وَإِنْ تَجَاوَزَ ذَلِكَ قَلِيلًا فِي الْغَمُوضِ لَمْ يَكُنْ فِيهِ غَيْرُ اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، ثُمَّ تَسَبَّبَ الْمَحْدَثُونَ إِلَى إِخْفَائِهِ بِالنَّقْلِ وَالْقَلْبِ؛ وَتَغْيِيرِ الْمَنْهَاجِ وَالتَّرْتِيبِ، وَتَكَلَّفُوا جَبْرًا مَا فِيهِ مِنَ النَّقِيصَةِ بِالزِّيَادَةِ وَالتَّأَكِيدِ وَالتَّعْرِيزِ فِي حَالِ، وَالتَّصْرِيحِ فِي أُخْرَى، وَالِاحْتِجَاجِ وَالتَّعْلِيلِ؛ فَصَارَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَخَذَ مَعْنَى أَضَافٍ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَا لَا يَقْصُرُ مَعَهُ عَنِ اخْتِرَاعِهِ وَإِبْدَاعِ مِثْلِهِ. وَقَدْ ادَّعَى جَرِيرٌ عَلَى الْفَرَزْدَقِ السَّرْقَ فَقَالَ:

سَيَعْلَمُ مَنْ يَكُونُ أَبُوهُ فِينَا      وَمَنْ عُرِفَتْ قِصَانْدُهُ اجْتِلَابَا

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (3/ 218).

## وَادَّعَى الْفَرَزْدَقُ عَلَى جَرِيرٍ فَقَالَ:

إِنْ اسْتَرَأَقَكَ يَا جَرِيرُ قِصَائِدِي      مِثْلَ ادِّعَاكَ سِوَى أَيِّكَ تَنْقُلُ

ومتى أنصفتَ علمت أن أهل عصرنا، ثم العصر الذي بعدنا أقربُ فيه إلى المعذرة، وأبعد من المذمة؛ لأن من تقدّمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها، وأتى على معظمها، وإنما يحصل على بقايا: إما أن تكونَ تُرِكَت رغبةً عنها، واستهاناً بها، أو لبعدها مطلبها، واعتياص مرامها، وتعذر الوصول إليها؛ ومتى أجهدنا أنفسنا، وأعمل فكره، وأتعب خاطره وذهنه في تحصيل معنى يظنه غريباً مبتدعاً، ونظم بيت يحسبه فرداً مخترعاً، ثم تصفّح عنه الدواوين لم يُخطئه أن يجده بعينه، أو يجد له مثلاً يغض من حسنه؛ ولهذا السبب أحظر على نفسي، ولا أرى لغيري بت الحكم على شاعر بالسرقة. **وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في محاجة البحري**

## لِما ادَّعَى عَلَيْهِ السَّرَقُ قَوْلَهُ:

وَالشَّعْرُ ظَهَرَ طَرِيقٌ أَنْتَ رَاكِبُهُ      فَمِنْهُ مُنْشَعِبٌ أَوْ غَيْرُ مُنْشَعِبٍ  
وَرَبِمَا ضَمَّ بَيْنَ الرِّكْبِ مِنْهُجَهُ      وَأَلْصَقَ الطُّنْبَ الْعَالِيَّ عَلَى الطُّنْبِ

إلا أني إذا وجدتُ في شعره معاني كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذاً لا أثبتُه بعينه، ومسروقاً لا يتميز لي من غيره، وإنما أقول: قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا، فأغتنم به فضيلة الصدق، وأسلم من اقتحام التهور<sup>(1)</sup>.

## وَقَالَ ابْنُ رَشِيقٍ: "بَابُ السَّرَقَاتِ وَمَا شَاكَلَهَا.

(1) الوساطة بين الممتني وخصومه ونقد شعره (ص: 214).



وهذا باب متسع جداً، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه، وفيه أشياء غامضة، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة، وآخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل<sup>(1)</sup>.

**وقال القلقشندي:** "واعلم أن الناثر الماهر، والشاعر المفلق قد يأتي بكلام سبقه إليه غيره، فيأتي بالبيت من الشعر، أو القرينة من النثر، أو أكثر من ذلك بلفظ الأوّل من غير زيادة ولا نقصان، أو بتغيير لفظ يسير، وهذا هو الذي يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر"<sup>(2)</sup>.

**وقال ابن المعتز:** "وإذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية؛ ليخفى ولا يظهر، وإذا أخذت شعراً فزد على معناه، وانقص من لفظه، كما يطعن به عليه، فحينئذ تكون أحق به.

وإذا تقاربت الديار تقاربت الأفكار؛ ولهذا قالوا: الشعر محجة يقع فيها الحافر على الحافر"<sup>(3)</sup>.

وهؤلاء شعراء الجاهلية يفصحون عن وجود الاشتراك بين الشعراء، وإعادة اللاحق قول السابق؛ **قال عنترة:**

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتْرَدِّمٍ      أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ؟

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (2/ 280).

(2) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (2/ 317).

(3) البديع في نقد الشعر (ص: 296).

**معناه:** هل أبقى الشعراء لأحد معنى إلا وقد سبقوا إليه؟ وهل يتهياً لأحد أن يأتي بمعنى لم يسبق إليه؟

**وقال امرؤ القيس:**

عُوجَا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعْنَا      نَبِيَّ الدِّيَارِ كَمَا بَكَى ابْنَ خِذَامِ<sup>(1)</sup>

**وقال زهير:**

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارَا      أَوْ مُعَادَاً مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَا

**تبرؤ الشعراء من السرقة وغيرتهم على شعرهم منها:**

وفي ناحية أخرى نرى شعراء ينفون عن أنفسهم سرقتهم شعر غيرهم والإغارة عليه، معترفين ضمناً بأن هناك شعراء آخرين يفعلون ما نفوه عن أنفسهم:

**قال طرفة:**

وَلَا أُغَيِّرُ عَلَى الْأَشْعَارِ أَسْرِقُهَا      عَنْهَا غَنِيْتُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرَقَا

**وقال الأعشى:**

وَقِيدَنِي الشَّعْرَ فِي بَيْتِهِ      كَمَا قِيدَ الْأَسْرَاتِ الْحَمَارَا  
فَكَيْفَ أَنَا وَاتِّحَالِي الْقَوَافِ      بِي بَعْدَ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا

(1) **قال الحاتمي:** "أجمع العلماء بالشعر، وأصحاب العربية أن امرؤ القيس، أول من بكى الديار، ورثى الآثار، وإذا تصفحت شعره استدلت ببعضه على بطلان هذا الإجماع"، حلية المحاضرة (ص: 90)، ثم ذكر هذا البيت.



وقال حسان بن ثابت:

ولا أسرقُ الشعراءَ ما نَطَقُوا      بل لا يوافقُ شعْرُهُمْ شِعْرِي (1)

وهناك من الشعراء من يتهم آخرين بسرقة الشعر، وهذه التهمة قد تكون صدقاً، وقد تكون كذباً أملاه الحسد، لاسيما عند الحظوة وبعد الصيت للمتهم؛

فهذا ابن الرومي يرمي البحري بالسرقة فيقول:

عبدٌ يغير على الموتى فيسلبُهُمْ      حُرَّ الكلامِ بجيشٍ غير ذي لجبِ  
ما إنْ تزالُ تراه لابساً حُللاً      أسلابَ قومٍ مضوا في سالفِ الحقبِ  
شِعْرٌ يُغير عليه باسلاً بطلاً      ويُشُدُّ الناسَ إياه على رقبِ

ويقول ابن الحاجب فيه أيضاً:

والفتى البحريُّ سارقٌ ما قا      ل ابنُ أوسٍ في المدحِ والتشبيبِ  
كلُّ بيت له وجودٌ معناه      فمعناه لابن أوس حبيب (2)

سراق الشعر من الشعراء:

وفي مقابل ما تقدم هناك شعراء ثبتت عنهم سرقة الشعر، وأقروا بها؛ قال الأصمعي: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لقيت الفرزدق في المربد، فقلت: يا

(1) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 139)، العقد المفصل (ص: 42)، نصررة الإغريض في نصررة القريض (ص: 35)، حلية المحاضرة (ص: 90)، منتهى الطلب من أشعار العرب (ص: 274).

(2) المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 143)، العقد المفصل (ص: 43).

أبا فراس، أحدثت شيئاً؟ قال: فقال: خذ، ثم أنشدني:

كَمْ دُونَ مِئَةٍ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذِفٍ      وَمِنْ فَلَاحٍ بِهَا تُسْتَوَدَعُ الْعَيْسُ

قال: فقلت: سبحان الله! هذا للمتلمس!. فقال: اكتبها؛ فلضوال الشعر أحب

إليّ من ضوال الإبل.

### وبيت المتلمس في أبيات منها:

كَمْ دُونَ مِئَةٍ مِنْ مُسْتَعْمَلٍ قَذِفٍ      وَمِنْ فَلَاحٍ بِهَا تُسْتَوَدَعُ الْعَيْسُ  
وَمِنْ ذُرَى عَلَمٍ طَامٍ مَنَاهِلُهُ،      كَأَنَّهُ فِي حَبَابِ الْمَاءِ مَعْمُوسُ  
جَاوَزْتُهُ بِأُمُونٍ ذَاتِ مُعْجَمَةٍ      تَهْوِي بِكُلِّكَلِهَا وَالرَّأْسُ مَعْكُوسُ (1)

### ومدح أبو المعافى المزني أبا العباس محمد بن محمد بن إبراهيم الإمام بقوله:

إِلَيْكَ بِمَدْحِي يَا خَيْرَ إِلَّا      رَسُولَ اللَّهِ مِنْ تَلْدِ النِّسَاءِ  
سَتَأْتِيكَ الْمَدَائِحُ مِنْ رِجَالٍ      وَمَا كَفُّ أَصَابِعُهَا سَوَاءُ

### فأخذه منه بعض الشعراء فقال:

إِلَيْكَ بِمَدْحِي يَا خَيْرَ إِلَّا      رَسُولَ اللَّهِ مِنْ تَلْدِ الرِّجَالِ  
سَتَأْتِيكَ الْمَدَائِحُ مِنْ رِجَالٍ      كَمَا اخْتَلَفَتْ إِلَى الْغَرَضِ النَّبَالِ

فاستعدى عليه أبو المعافى صالح بن إسماعيل وهو على شرطة محمد بن

إبراهيم بالمدينة فقال:

(1) الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء (ص: 148)، جمهرة أشعار العرب (ص: 443).



مَا سَارِقُ الشُّعْرِ فِيهِ وَسَمُّ صَاحِبِهِ      إِلا كَسَارِقِ بَيْتٍ دُونَهُ غَلَقُ  
بَلْ سَارِقُ الْبَيْتِ أَخْفَى حِينَ يَسْرِقُهُ      وَالْبَيْتُ يَسْتُرُهُ مِنْ ظُلْمَةِ عَسَقُ

**قال صالح:** فما تحب أن أفعل به؟ قال: تحلفه عند منبر رسول الله ﷺ ألا

ينشد هذا الشعر إلا لي (1).

وَرَفَعَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ يَمْدَحُهُ - وَكَانَ الشُّعْرُ لِابْنِ عَبَّادٍ -  
فَوَقَعَ لَهُ ابْنُ عَبَّادٍ عَلَيْهِ فَقَالَ:

سَارَقَتَ شِعْرِي وَغَيْرِي      فِيهِ يُضَامُ وَيُخَدَعُ  
فَسَوْفَ أَجْزِيكَ صَفْعًا      يَكْدُ لَيْتًا وَأَخْدَعُ  
فَسَارِقُ الْمَالِ يُقْطَعُ      وَسَارِقُ الشُّعْرِ يُضْفَعُ

فهرب السارق (2).

### أقسام التوافق الشعري:

ينقسم التوافق الشعري بين الشعراء إلى ثلاث حالات:

**الحالة الأولى: المواردة:** وهي: أن يتفق الشاعران في اللفظ والمعنى، أو في

المعنى وحده، ولا يُعلم أخذ أحدهما من الآخر.

ومثل هذا يمكن أن يكون من اتفاق القرائح، وتوارد الأفكار من غير أن يسرق

(1) المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 137).

(2) يتيمة الدهر (3/ 234).

أحدٌ من الآخر، ولو كان أحدهما متأخراً زمنًا.

ومن أمثلة هذه الحالة أن ابن الأعرابي أنشد لنفسه قوله:

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتِزَّازَ الْمُهَنَّدِ

**فَقِيلَ لَهُ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ؟ هَذَا لِلْحُطَيْيَةِ.**

**فقال ابن الأعرابي:** الآن عَلِمْتُ أَنِّي شاعر؛ إذ وافقته على قوله ولم أسمع إلا

الساعة، أي: لم يسمع قول الحطيئة إلا في هذه الساعة.

**قالوا:** وحين لا يُعْلَمُ أخذ اللّاحق من السابق فالعبارة المهذّبة التي لا اتهام فيها

أن يُقال: قال فلانٌ كذا، وقد سبقه إلى هذا المعنى أو إلى نحوه فلان، فقال كذا.

**الحالة الثانية: الاشتراك العام:** وهي: التوافق في الأغراض وفي الأفكار

والمعاني المتداولة، التي يشترك معظم الناس بإدراكها، سواء تناقلها بعضهم عن بعضٍ أو لم يتناقلوها.

وفي هذه الحالة لا يُعْتَبَرُ اللّاحق سارقاً من السابق، ولا معتدياً على حقه

الأدبي.

**الحالة الثالثة: السرقات الأدبية:** وهي: التي يسطو فيها اللّاحق على ما أبدعه

السابق، من المعاني والعبارات، والتشبيهات، والاستعارات، والمجازات، وغير ذلك من مبتكرات الأفكار.

وهذه هي التي يُقال فيها: فلانٌ السابق، وفلانٌ سرّق منه، أو فلان السابق،

وأخذ الذين جاؤوا من بعده فكرته، أو عبارته، أو أسلوبه، أو نحو ذلك.



وهي التي يقال فيها: فلانٌ جاء بفكرة كذا، وأخذها منه فلان، فزاد عليها، أو نقص، أو أحسن الصياغة أو أساءها، أو استغلها في موضوع آخر غير الموضوع الذي أوردها فيه مبتكرها الأول.

ومن أمثلة الإبداع الذي لم يسبق إليه مُبدِعُهُ من الشعراء، أن أبا تمام أنشد قصيدته السينية التي مطلعها:

مَا فِي وَفُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ      نَقْضِي حُقُوقَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ

حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا:

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ      فِي حِلْمِ أَحْنَفٍ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

عندئذ قال الحكيم الكندي: وأيّ فخرٍ في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب؟!.

فَأَطْرَقَ أَبُو تَمَّامٍ ثُمَّ أَنْشَدَ:

لَا تُتَكَبَّرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ      مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ      مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبَّاسِ

فابتكر بهذا معنى لم يسبقه إليه أحد، فمن أتى بعده بهذا المعنى أو ببعضه عدَّ سارقاً، أو مُقتبساً، أو مُقلداً<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 96)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 688)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 456)، البلاغة العربية (2/ 548).

**أنواع السرقات الشعرية:**

نظر علماء البلاغة والأدب في مختلف السرقات الأدبية فرأوا أنها تنقسم إلى ثمانية أنواع؛ ثلاثة منها ظاهرة، وهي: "النسخ - أو الانتحال -، والمسوخ أو الإغارة -، والسَّلْخُ أو الإلمام". وخمسة منها غير ظاهرة، وهي: "التشابه، والنقل، والتعميم، والقلب، والالتقاط والإضافة.

**وفيما يلي شرح هذه الأنواع الثمانية:****أما الظاهرة من أقسام السرقات فهي الأنواع التالية:**

**النوع الأول: النسخ،** ويقال له: "الانتحال": وهو أن يأخذ أحد الشعارين أو الناثرين المعنى الذي سبق إليه الآخر ولفظه كله أو أكثره.

واشتقاقه من قولهم: نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه إلى غيره؛ وذلك لأن أحد الشعارين يأخذ معنى صاحبه وينقله إلى تأليف آخر.

**وهذا النوع يكون بثلاثة وجوه:**

**الوجه الأول:** أن يأخذ المنتحل لفظ السابق ومعناه، ولا يخالفه في شيء.

**ومن أمثلة هذا الوجه:** ما حُكي أن عبد الله بن الزبير الشاعر، دخل على

معاوية فأنشده:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَحَاكَ وَجَدْتَهُ      عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ  
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ      إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفْرَةِ السَّيْفِ مَرْمَلُ



فقال له معاوية: لَقَدْ شَعَرْتَ بَعْدِي يَا أَبَا بَكْرٍ.

ولم يفارق عبد الله بن الزبير الشاعر مجلس معاوية حَتَّى دَخَلَ مَعْنُ بْنُ أَوْسِ  
المزني، فَأَنشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا:

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ      عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

حتى أتمَّها، وفيها البيتان اللذان أنشدهما عبد الله بن الزبير. فأقبل معاوية على  
عبد الله، وقال له: أَلَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهُمَا لَكَ؟! فقال عبد الله: المعنى لي، واللَّفْظُ لَهُ،  
وَبَعْدُ فَهُوَ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَأَنَا أَحَقُّ بِشِعْرِهِ.

**الوجه الثاني:** أن يأخذ المتحل لفظ السابق ومعناه، ولا يخالفه إلا بالقافية أو

نحوها، ومن أمثلة هذا الوجه: **قول امرئ القيس:**

وَقُوفًا بِهَا صَاحِبِي عَلَيَّ مَطِيئَهُمْ      يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ

هذا البيت سَطًا عَلَيْهِ طَرَفُهُ بِنِ الْعَبْدِ فَقَالَ:

وَقُوفًا بِهَا صَاحِبِي عَلَيَّ مَطِيئَهُمْ      يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ

فغَيَّرَ الْكَلِمَةَ الْأَخِيرَةَ مِنَ الْبَيْتِ؛ لِيُوَافِقَ رُويَّ قَصِيدَتِهِ.

**الوجه الثالث:** أن يأخذ المتحل معنى السابق وأكثر ألفاظه، ومن أمثلة هذا

الوجه: ما رُويَ لِلأَبِيِّرْدِ الْيَرْبُوعِيِّ:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ      إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ

وما رُويَ لِأَبِي نُؤَاسٍ:

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الشَّاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

فالشطران الأولان من البيتين متطابقان، والآخران مختلفان.

**النوع الثاني: المسخ، أو الإغارة:** وهو: أن يأخذ المُغِير بعض كلام السَّابِق.

واشتقاقه من قولهم: مسخت هذه الصورة الآدمية إلى صورة القردة

والخنازير.

فتارة تكون صورة الشعر حسنة فتنتقل إلى صورة قبيحة، وهذا هو الأصل في

المسخ، وتارة تكون الصورة قبيحة فتنتقل إلى صورة حسنة، فهذان وجهان،

والثالث التساوي:

**الوجه الأول:** أن يكون ما جاء به المُغِير أبلغ من كلام السَّابِق؛ لما فيه من

تجويد في سبك الكلام، أو اختصار، أو إيضاح، أو زيادة معنى، أو نحو ذلك.

وهذا الوجه مقبول ممدوح، ومن أمثلة هذا الوجه: قول الشاعر:

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبًا

أي: فقأنا عيونهم برماحنا فصارت كالعيون تنزف دماً، وضربناهم بالسُّيُوفِ

على جباههم فجعلنا لهم مع كلِّ حاجبٍ من الشَّعْرِ مثله من ضربة سَيْفٍ.

أخذ ابنُ نباته هذا البيت وصاغه صياغة أخرى فقال:

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِ عَيْونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ

فزاد ابن نباتة معنى انهزامهم لشدة رُعبِهِمْ، ومطاردتهم، ونقل من السابق فكرة



فتح العيون ولكن في ظهورهم، ورسم الحواجب بالشُّيُوفِ فوقها، فاستُحْسِنَ عَمَلُ ابنِ نباته.

**وقد يقال:** إِنَّ بَيْتَ السَّابِقِ دَلٌّ عَلَى شِدَّةِ الْبَأْسِ، وَالسَّبْقُ إِلَى ضَرْبِ الْعَدُوِّ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنَ الْإِنْهَازِ، وَهَذَا أَدْلُّ عَلَى الْجُرْأَةِ وَسُرْعَةِ الْإِقْدَامِ.

**الوجه الثاني:** أَنْ يَكُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْمَغِيرَ مَسَاوِيًّا لِمَا جَاءَ بِهِ السَّابِقُ فِي بِلَاغَتِهِ.

وهذا الوجه غير ممدوح ولا مذموم، على أَنَّ الْفَضْلَ لِلْسَّابِقِ بِلَا رَيْبٍ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْوَجْهِ: قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ وَهُوَ السَّابِقُ:

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ دَلِيلًا

أي: لو حار طالب المنية لأحدٍ في اتِّخَاذِ وَسِيلَةٍ لَا تُكَلِّفُهُ عَتًّا لَمْ يَجِدْ إِلَّا وَسِيلَةَ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ.

أغار عليه المتنبي وصاغه بأسلوبه فقال:

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

قالوا: الْبَيْتَانِ مُتَكَافِئَانِ فِي بِلَاغَتِهِمَا.

لكن بيت المتنبي أدقُّ وأوضحُ وأشعرُ، فقد خصَّصَ الفراقَ بفراقِ الأحبابِ، ولم يتكلَّفْ كما تكلفَ أبو تمام بقوله: "مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ" والمنايا لا تحتاج دليلًا يدلُّها على النفوس إنَّما لها سُبُلٌ، وهذا ما اختاره المتنبي، فهو في عمله مُغَيِّرٌ مُجِيدٌ، وَمُسْتَفِيدٌ مُحْسِنٌ.

**الوجه الثالث:** أن يكون ما جاء به المُعْغِرُ دُونَ ما جاء به السابق في بلاغته، وهذا تقصير مذموم.

قالوا: ومن أمثلة هذا الوجه: قولُ أبي تمام وهو السابق:

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ      إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

أغار عليه أبو الطيب فقال:

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ      وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا

**الشرط الثاني** من بيت أبي الطيب مأخوذ من أبي تمام، إلا أن قول أبي تمام: "إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ" أبلغ من قول المتنبي: "وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا" ففي عبارة: "وَلَقَدْ يَكُونُ" قُصُورٌ عن المعنى المجزوم به المؤكّد في عبارة أبي تمام: "إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ" وهذا واضح.

أما الشرط الأول من بيت المتنبي فقد جاء بنحوه أبو تمام في قوله:

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّمَّاحَ فَمَا      أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَيَّ مِنْ صِلَتِكَ

ولأبي تمام السُّبُوقُ.

**النوع الثالث: السَّلْخُ ويقال له: الإلمام:** وهو: أن يأخذ السَّالِخُ المعنى فقط

دون اللَّفْظِ. واشتقاقه من سلخ أديم الشاة، وهو أخذ بعض جسم المسلوخ.

ولهذا النوع ثلاثة وجوه أيضاً:

**الوجه الأول:** أن يكون ما جاء به السَّالِخُ المُلِمُّ أَحْسَنَ سَبْكَاً وبلاغةً وورصانة



تعبير، وهو عَمَلٌ رَشِيدٌ وَمَسْلُوكٌ حَمِيدٌ، ومن أمثله على ما ذكروا: قول البحري وهو السابق:

تَصُدُّ حِيَاءً أَنْ تَرَكَ بِأَوْجُهُ  
أَتَى الذَّنْبَ عَاصِيهَا فَلِيَمِ مُطِيعُهَا

أي: من أجل ذنوب الوجوه العاصية تلامُّ الوجوه المطيعة.

هذا المعنى أَلَمَّ به المتنبي فأخذه وصاغه بأسلوب أحسن سبكاً وأجود تعبيراً فقال:

وَجُرْمٌ جَرَّهُ سُفْهَاءُ قَوْمٍ      وَحَلٌّ بَغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ

ولعله مع نظره إلى قول البحري نظر أيضاً إلى قول موسى لربه في رحلة الوعد الثاني وعد الاعتذار: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفْهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: 155].

**الوجه الثاني:** أن يكون الثاني دون الأول، ومن أمثله: قول بعض الأعراب:

وَرِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طِيْبِهَا      وَالطِّيْبُ فِيهِ الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ

أَلَمَّ بِهِ بشار بن بُرْدٍ فَأَخَذَهُ وَقَصَّرَ عَنْهُ، فقال:

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلاً      غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

**الوجه الثالث:** أن يكون ما جاء به السالخ الملمُّ مساوياً لما جاء به السابق في بلاغته.

وهذا الوجه غير محمود ولا مذموم، ومنه كما ذكروا: قول بعضهم يرثي ابناً

له:

الصَّبْرُ يُحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

أَلَمْ بِهِ أَبُو تَمَّامٍ فَقَالَ:

وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِأَبْسِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

### وأما غير الظاهرة من أقسام السرقات فهي الأنواع التالية:

ومعظم هذه الأنواع مقبول، وبعضها ممدوح يستحق التقدير والإعجاب؛ لما فيه من تصرف حسن، وحسن التصرف فيه يخرج من الاتباع إلى حيز الابتداع، وأكثره خفاءً أكثره قبولاً، وهي أنواع:

**النوع الأول: التشابه،** وهو: أن يتشابه النصان المأخوذ والمأخوذ منه، ولو كانا في غرضين مختلفين من الكلام؛ كالممدوح والهجاء، والنسيب.

**أو هو:** أن يأخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه، وهذا من أدقها مذهباً، وأحسنها صورة.

ومنه على ما ذكروا: قول الطرّمّاح بن حكيم الطائي:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ (1)

أخذ فكرته المتنبي واستخرج منه معنى شبيهاً به، فقال، وأحسن:

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

**النوع الثاني: النقل،** وهو: أن ينقل الآخذ معنى المأخوذ منه إلى غير محلّه.

(1) غَيْرِ طَائِلٍ: أي: غير ذي نفع وفائدة.



ومن هذا النوع على ما ذكروا: قول البحثري، وهو السابق:

سُلِبُوا فَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ      مُحَمَّرَةً فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا

أي: سُلِبُوا ثيابهم، فكانت الدماء التي غَطَّتْ أجسادَهُمْ بمثابة الثياب عليها، فكأنهم لم يُسْلَبُوا.

أخذَ المتنبِّي هذا المعنى ونقله إلى السَّيْفِ، فقال:

يَبِسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ      عَنِ غَمْدِهِ فَكَأَنَّمَا هُوَ مُغْمَدٌ<sup>(1)</sup>

**النوع الثالث: التعميم،** وهو: أن يكون المعنى اللذي استفيد من كلام السابق

أعمَّ وأشمل، ومنه: قول جرير، وهو السابق:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بُوْتَمِيمٍ      وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا

أخذَ أبو نواس هذا المعنى واستفادَ منه معنىً عامًّا شاملاً، فقال للرشيد  
يَسْتَعْطِفُهُ لَمَّا سَجَنَ الْفَضْلَ الْبَرْمَكِيَّ:

وَلَيْسَ عَلَيَّ اللَّهُ بِمُسْتَنْكَرٍ      أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وقد أجاد أبو نواس في هذه الاستفادة، وهي استفادة ذكيّة بارعة.

**النوع الرابع: القلب،** وهو: أن ينظر الأخذ من سبقه في معنى كلامه ويستفيد

نقيضه أو ضده، وما هذا حاله فهو بالغ في المجدد كل مبلغ، ومن لطافته ورقته  
ورشاقتة يكاد يخرج منه عن حد السرقة. وقد قال بعض الحذاق: إن ما هذا حاله بأن  
يسمى ابتداءً أحق من أن يسمى سرقة.

(1) النَّجِيعُ: دَمُ الْجَوْفِ، يُقَالُ: طَعَنَهُ تَمُجُّ النَّجِيعِ، أَي: تَخْرُجُ دَمُ الْجَوْفِ.

ومن هذا النوع: قول أبي الشَّيْصِ:

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَدِيدَةً      حَبًّا لِدِكْرِكَ فَلَيْكُمْنِي اللُّؤْمُ

نظر في هذا المتنبي فقلبه واستفاد المعنى المضاد تماماً فقال:

أَحْبُّهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ؟!      إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

أي: كَيْفَ أَحَبُّ فِيهِ الْمَلَامَةُ وَأَنَا أَحِبُّهُ، وَالْمَلَامَةُ فِيهِ هِيَ مِنْ أَعْدَائِهِ؟! هَذِهِ أُمُورٌ لَا تَجْتَمِعُ، لَتَنَاقُضُهَا أَوْ تَضَادُهَا، فَالْمَتَنَبِيُّ صَمَّنَ كَلَامَهُ الْإِعْتِرَاضَ عَلَى أَبِي الشَّيْصِ.

**النوع الخامس: الالتقاط والإضافة،** وهو: أن يأخذ المستفيد بعض المعنى الذي سبق إليه غيره، ويُضيف إليه زيادة حسنة. ومن هذا النوع: قول الأَفْوَه الأَوْدِي يصف خروج قومه إلى الحرب:

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا      رَأَيْ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمَارُ(1)

أي: إِنَّ الطَّيْرَ أَكَلَةَ اللَّحُومِ تَتَّبِعُ جَيْشَهُمْ الْخَارِجَ إِلَى الْقِتَالِ؛ لِأَنَّهَا وَاثِقَةٌ بِحَسَبِ مَا اعْتَادَتْ أَنَّهَا سَتُصِيبُ مِيرَتَهَا، أَي: طَعَامَهَا مِنْ لِحُومِ الْقَتْلَى الَّذِينَ يَقْعُونَ صِرْعَى مِنَ الْأَعْدَاءِ.

فقد نظر أبو تمام إلى هذا الشعر فأخذ منه وأضاف فأحسن، فقال:

لَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضَحَى      بَعِيقَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ(2)

(1) **يقال:** مَرَّ أَهْلُهُ إِذَا أَعَدَّ لَهُمْ مِيرَتَهُمْ، أَي: مَوَادَّ طَعَامِهِمْ.

(2) **عِقْبَانُ أَعْلَامِهِ:** أَي: الْأَعْلَامُ الَّتِي تُشَبِّهُ الْعِقْبَانَ، أَوْ الْأَعْلَامُ الَّتِي عَلَيْهَا أَمْثَلَةُ الْعِقْبَانِ. **العِيقَان:** جمع مفردة "العُقَاب" وهو من كواسر الطير، ذو مخالب قويّة.



أَقَامَتْ مَعَ الرَّيَّاتِ حَتَّى كَانَتْهَا      مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهُالَمْ تُقَاتِلِ

فقد أهمل أبو تمام بعض ما جاء في كلام الأفوه الأودي، وأضاف أن العقبان مقيمة مع الرّيات حتى كأنها جزء من الجيش، تترقب الصّرعى من الأعداء لتتقصص عليهم، فزاد الفكرة حسناً<sup>(1)</sup>.

وهناك من قسم هذه السرقات تقسيمًا آخر وهو أنها تنقسم إلى قسمين:

وجوه محمودة، ووجوه مذمومة:

القسم الأول: وجوه محمودة:

الأول: استيفاء اللفظ الطويل في الموجز القليل؛ كقول طرفة:

أَرَى قَبْرَ نَحَّامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ      كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ

اختصره ابن الزبعرى فقال:

وَالْعَطِيَّاتُ خَسَاسٌ بَيْنَنَا      وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقْلٍ

فقد شغل صدر البيت معنىً، وجاء بيت طرفة في عجز بيت أقصر منه بمعنى لائح ولفظ واضح.

الثاني: نقل اللفظ الرّذل إلى الرصين الجزل، ومنه: قول العباس بن الأحنف:

(1) ينظر: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي (ص: 369)، البلاغة العربية (2/ 550)، الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره (ص: 192)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 108)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 671).

زعموالي أنها صارت تُحَمُّ      ابتلى الله بهذا مَنْ زَعَمُ  
اشتكت أكمل ما كانت كما      يَشْتَكِي البدرُ إذا ما قيل تَمُّ

هذا معنى لطيف، أخذه ابن المعتز فقال:

طوى عارضُ الحمى سَنَاهُ فحالاً      وألبسه ثوبَ السَّقامِ هُزالاً  
كذا البدر محتوم عليه إذا انتهى      إلى غايةٍ في الحسن صار هلالاً

**الثالث:** نقل ما قبح مبناه دون معناه إلى ما حسن مبناه ومعناه، ومن ذلك: **قول**

**أبي نواس:**

بُحَّ صوتُ المالِ ما      مِنْكَ يَشْكُو ويصيحُ  
ماله هذا آخذ      فوق يديهِ أو نصيحُ

معناه صحيح، ولفظه قبيح، أخذه مسلم فقال:

تَظَلَّمَ المَالُ والأعداءُ مِنْ يَدِهِ      لا زالَ للمالِ والأعداءِ ظلاماً

فجود الصنعة وجمع بين تظلمين كريمين، ودعا للممدوح بدوام ظلمه للمال والأعداء، وكل ذلك مليح جزل، نقل من ضعيف المبنى.

**الرابع:** عكس ما يصير بالعكس هجاء بعد أن كان ثناء، ومنه: **قول البلاذري:**

قَدْ يرفعُ المرءُ اللثيمَ حجابُهِ      ضعةً ودونَ العُرفِ مِنْهُ حِجَابُ

**وقال البحرني:**

وإنَّ يُحَلِّ بَيْنَنَا الحِجَابُ فَلَنْ      يحجبَ عَنَّا آلاءَهُ حُجْبُهُ



**الخامس:** استخراج معنى من معنى احتذي عليه وإن فارق ما قصد به إليه.

**منه: قول أبي نواس في الخمر:**

لا ينزل الليل حيث حلتُ      فليل شربها نهارُ

احتذى عليه البحري وفارق مقصد أبي نواس فجعله في محبوب فقال:

غاب دُجاها وأي ليلٍ ... يدجو علينا وأنت بدرُ؟

**السادس:** توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متفق، وهذا من أدل

الأقسام على فطنة الشاعر؛ لأنه جرد لفظه من لفظ من أخذ منه ومعناه متفق معه.

**من ذلك قول أبي تمام:**

لأمرٍ عليهم أن تتمَّ صدورهُ      وليس عليهم أن تتمَّ عواقبُهُ

**أخذه من قول القائل:**

غلامٌ وغى تقمها فأودى      وقد طحتته مرداة طحونُ

فإن على الفتى الإقدام فيها      وليس عليه ما جنت المنونُ

المعنى متفق، واللفظ مفترق، وهذا المذهب دليل دقة فطنة السارق.

**السابع:** توليد معانٍ مستحسنات في ألفاظ مختلفات، وهذا من أشد باب وأقله

وجوداً، وإنما قل وجوده؛ لأنه من أحق ما استعمل فيه الشاعر فطنته وكدّ فيه

فكرته. فمنه قول أبي نواس:

واسقيناها من كميّةٍ      تدعُ الليلَ نهاراً

فاشقق من ذلك:

لَا يَنْزِلُ اللَّيْلُ حَيْثُ حَلَّتْ      فَلَيْلٌ شَرَّابَهَا نَهَارٌ

وقال:

قال: ابغني المصباحَ قُلْتُ لَهُ اتَّئِدْ      حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مِصْبَاحًا  
فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِي الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً      كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحًا

وكل هذه متقاربات وألفاظ مناسبات بمولد بعضها من بعض.

**الثامن:** مساواة الأخذ المأخوذ منه في الكلام حتى لا يزيد نظام على نظام، وإن كان الأول أحق به؛ لأنه ابتدع، والثاني أتبع.

من ذلك: قول علي بن جبلة في فرس:

مُطَرِّدٌ يَرْتَجُّ مِنْ أَقْطَارِهِ      كَالْمَاءِ جَالَتْ فِيهِ رِيحٌ فَاضْطَرَبُ

فذكر ارتجاجه ولم يذكر سكوته، فأخذه ابن المعتز فقال:

فَكَانَتْهُ مَوْجٌ يَنْدُوبُ إِذَا      أَطْلَقْتَهُ وَإِذَا حَبَسَتْ جَمَدُ

فجمع بين الصفتين.

**التاسع:** مماثلة السارق المسروق منه في كلامه بزيادة في المعنى ما هو من

تمامه. فمن ذلك: قول أبي حية النميري:

فَأَلْقَتْ قَنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ      بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ: كَفَّ وَمَعَصِمِ



أخذه من النابغة في قوله:

سَقَطَ النَصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ      فِتْنَاوَلَكْتَهُ وَاتَّقِنَا بِالْيَدِ

فلم يزد النابغة على إخبارنا بإبقائها بيدها، وزاد عليه أبو حية بقوله: دونه الشمس، وخبر عن المتقي بأحسن خبر فاستحقه، فأحسن أبو حية كل الإحسان، وزاد زيادات ليست في بيت النابغة.

**العاشر:** رجحان السارق على المسروق منه بزيادة لفظه على لفظ من أخذ

عنه. من ذلك: قول حسان بن ثابت:

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي      فَنَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ  
تَرَكَ الْأَجْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ      وَنَجَا بِرَأْسِ طَمَّرَةٍ وَلِجَامِ

أخذه حبيب (أبو تمام) فقال:

وَنَجَا ابْنُ خَائِنَةِ الْبُعُولَةِ لَوْ نَجَا      بِمُهْفَهْفِ الْكَشْحَانِ وَالْأَطَالِ  
تَرَكَ الْأَجْبَةَ سَالِيًا لَا نَاسِيًا      عُدْرُ النَّسِيِّ - خِلَافُ عُدْرِ السَّالِيِ (1)

فهذه وجوه تغفر ذنب الشاعر سرقته، وتدل على فطنته (2).

(1) خائنة البعولة: كناية عن الزانية، والكشحان: جانبا البطن من ظاهر وباطن، والمهفهف:

الضامر الدقيق، والأطال جمع إطل وإطل كإبل وإبل: الخاصرة، والنسي: الناسي.

(2) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 103)، البديع في نقد الشعر (ص: 203)،

الذخائر والعبقریات (2/ 273).

**القسم الثاني : وجوه مذمومة :**

وأما المذمومُ من السَّرقةِ فعشرةٌ وجوهٌ أيضاً:

الأول: نقلُ اللفظِ القصيرِ الى الطويل الكثير.

**قال الحَكَمِيُّ:**

لا تُشَدِّدِينَ إِلَيَّ عَارِفَةً      حتى أقومَ بشكرِ ما سَلَفَا

**أخذه دِعْبَلُ فقال:**

تركتُكَ لم أتركك كُفراً لنعمةٍ      وهل يُرتَجى نيلُ الزيادةِ بالكُفْرِ

ولكنني لما رأيتُك راغِباً      وأفرطتَ في برِّي عجزتُ عن الشكرِ

الشعرُ جيدُ المعنى واللفظ، ولكنه أتى به في تطويل وتضمين، فنقل القصيرَ الى الطويل، وذلك مذمومٌ في السَّرقة.

**الثاني: نقلُ الرصينِ الجَزَلِ إلى المُستضعفِ الرَّذَلِ.****قال العبدِي:**

ولقد قتلتُك بالهجاء فلم تَمُتْ      إنَّ الكِلابَ طويلةُ الأعمارِ

ما زالَ يَبْحِنِي لِيَشْرُفَ جَاهِداً      كالكلبِ يَنْبَحُ كامِلَ الأعمارِ

**أخذه ابنُ طاهرٍ فقال:**

وقد قتلتاك بالهجاء ولكـ      نك كلبٌ معقِفُ الذنبِ

فجمَع بين قُبْحِ السَّرقةِ، وضعفِ العبارة، ولا وجهَ لذكر التعقيفِ في الذنبِ؛



لأنه غيرُ دالٍ على طول العمر، وهذا ظاهرٌ ومثله كثير.

**الثالث: نقل ما حَسَنَ معناه ومبناه الى ما قُبِحَ مبناه ومعناه.**

**قال امرؤ القيس الكندي:**

ألم تَرَ آتِي كَلِمَا جِئْتُ طَارِقًا      وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطَيَّبِ

**أخذه بشار فقال:**

وَإِذَا أُذْنِيَّتَ مِنْهَا بَصَلًا      غَلَبَ الْمِسْكَ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

وهذا أنزل شعرٍ في الرذالة، كما أن بيت الكندي أرفع بيتٍ في الجودّة والجزالة، وقد أخذ كثير المعنى فطوّل وضمّن وقصّر، وزعم أنها إذا تبخّرت كانت كالروضة في طيبها، ولا يُعدّم هذا في أسهك البشرِ جسمًا وأوضرهم حالاً، وشعره معروف.

**الرابع: عكس ما يصيرُ بالعكس هجاءً بعدما كان ثناءً.**

**قال حسان بن ثابت:**

بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ      شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

**أخذه ابنُ أبي فنن فعكسه فقال:**

سَوْدُ الْوَجْهِ لَيْمَةٌ أَحْسَابُهُمْ      فُطْسُ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْآخِرِ

**الخامس: نقل ما حَسَنَتْ أوزانه وقوافيه إلى ما قُبِحَ وتُثقل على لسان راويه.**

**قال أبو نواس:**

دَعُ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللّوْمَ إِغْرَاءُ      وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

**أَخَذَهُ الطائي فقال:**

قَدْكَ اتَّبَبْتُ أَرِيَّتَ فِي الْغُلُوءِ      كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَائِي  
فأبو نواس زَجَرَ عذولَه زَجراً لطيفاً، أعلمه أن اللومَ إغراء، وشغل عجزَ بيته  
بمعنى آخر، بكلامٍ رطبٍ، ومعنى عذبٍ والطائي زَجَرَ عذولَه بلفظٍ مُتَعَسِّفٍ  
تصعبُ روايته، وتُستكرهُ قافيته.

**السادس: حذف الشاعر من كلامه ما هو من تمامه.**

**قال الكندي:**

نظرتُ إليك بعينِ جازئةٍ      حوراءَ حانيةٍ على طفلي

**أَخَذَهُ المُسيَّبُ بن علس فقال:**

نظرتُ إليك بعينِ جازئةٍ      في ظلِّ فاردةٍ من السِّدرِ

لم يُقنعهُ قُبْحُ هذا الأخذ لفظاً ومعنى حتى أتى فيه بما لا حاجةَ له إليه؛ لأنَّ  
حُسْنَ أَعْيُنِ الطِّبَاءِ لا تَعَلَّقُ له بظِلِّ السِّدرِ، وليس في ذلك ما ليس له في غيره. والكندي  
لَمَّا وصفَ عيناها بعينِ الجازئةِ وهي الظبيةُ التي قد اجترأتْ بالرَّطبِ عن الماءِ ذكرَ أنها  
حوراءٌ ثم وصفها بأنها حانيةٌ على طفلي، وفي حُنُوها على ولدها اكتسابُ طرفها  
بترؤعها عليه وخوفها مما يناله معنى لا يوجدُ عند سكونها وأمنها.

**السابع: رُجحانُ كلامِ المأخوذِ عنه على كلامِ الآخذِ منه.**

**قال مُسَلِّمُ بن الوليد:**

أما الهجاءُ فدقَّ عِرْضُكَ دونَه      والمدحُ عنك كما علمتَ جليلُ



فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقٌ عَرِضُكَ إِنَّهُ عَرِضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ

**أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ:**

قَالَ لِي النَّاصِحُونَ وَهُوَ مَقَالٌ ذُمَّ مَنْ كَانَ جَاهِلًا إِطْرَاءً

صَدَقُوا فِي الْهَجَاءِ رِفْعَةً أَقْوَا مِ طَغَامٍ فَلَيْسَ عِنْدِي هِجَاءٌ

وبين الكلامين بونٌ بعيدٌ لا تحتاجُ الى إيضاحه؛ لارتفاعِ الشكِّ في بيانه.

**الثامن: نقل العذب من القوافي إلى المُستكره الجافي.**

**قال المتلمس:**

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا

**أَخَذَهُ عَمْرُو بْنُ شَأْسٍ بِجَمَلْتِهِ وَخَتَمَهُ بِقَافِيَةٍ مُسْتَكْرَهَةٍ، فَقَالَ:**

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغًا لِنَابِيهِ الشُّجَاعُ لَقَدْ أَزَمَ

أَزَمَ: اشْتَدَّ وَعَضَّ، وَهِيَ لَفْظَةٌ غَيْرُ عَذْبَةٍ.

**التاسع: نقل ما يعودُ على البحث والانتقاد إلى تقصير ظاهرٍ أو فساد.**

**قال أبو العتاهية:**

إِنِّي أَعْوَدُ مِنَ التِّي شَعَفْتُ مِنْي الْفَوَادَ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ

وآيةُ الكرسي إنما تهربُ منها الشياطين ويُحترَس بها من الغيلان، فهل التي

**شَعَفْتُ فَوَادَهُ كَانَتْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؟ وَقَالَ الْأَعَشِيُّ:**

فَرَمَيْتُ غَفْلَةً عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَطِحَالَهَا

أما ذِكْرُ القلبِ والفؤادِ فلا ريبَ أنه يتردد كثيراً في الشعر عند ذِكْرِ الهوى والمحبةِ والشوقِ، وما يجدهُ المغرَّمُ في هذه الأعضاء من الألم والحرارة والكرب. وأما الطَّحالُ فما رأينا أحداً استعملَ ذِكْرَه في هذه الأحوال؛ إذ لا صُنْعَ له فيها، ولا هو ممَّا يُنسَبُ إلى حركة في حزن أو عشق، ولا إلى سُكون عند فرجٍ أو ظفَرٍ، ففسادُ ذِكْرِ الطحالِ ظاهر في هذه الحال.

**العاشر: أَخَذَ اللَّفْظُ الْمُدَّعَى هُوَ وَمَعْنَاهُ مَعًا.**

وهو أقبح وجوه السَّرِقَاتِ وأشنعها وأدناها منزلةً وأوضعها، **فمن ذلك: قول**

**الكندي:**

وعنَّسٍ كألواحِ الإِرانِ نَسَأَتْها      على لاجِبٍ كالبرِّدِ ذِي الحِجْرَاتِ

أخذه طَرْفَةً - الذي قال: وشَرُّ الناسِ مَنْ سَرَقَا - فقال:

أمونٍ كألواحِ الإِرانِ نَسَأَتْها      على لاجِبٍ كأنه ظَهْرُ بُرْجِدٍ

**وقال الحطيئة:**

إذا حُدِّثْتُ أَنَّ الذي بي قاتلي      من الحُبِّ قَالَتْ ثابتٌ وَيَزِيدُ

**أخذه جميل فقال:**

إذا قلتُ مابي يا بُئِينُهُ قاتلي      من الحُبِّ، قَالَتْ ثابتٌ وَيَزِيدُ<sup>(1)</sup>

(1) ينظر: نصره الإغريض في نصره القريض (ص: 36)، البديع في نقد الشعر (ص: 186)، تحرير

التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: 548)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء (ص: 327).





### السرققات الشعرية الظاهرة:

قال الناظم رَحِمَهُ اللهُ:

96. السَّرِقَاتُ ظَاهِرٌ فَالنَسْخُ يُدْمُ لَا إِنْ اسْتُطِيبَ الْمَسْخُ

**يقول:** إن السرققات الشعرية تنقسم إلى قسمين: سرققات شعرية ظاهرة، وهي: النسخ والمسخ والسلخ، وسرققات شعرية غير ظاهرة.

**فمن الظاهرة:** النسخ، وهو: أن يأخذ أحد الشعاعين أو الناثرين المعنى الذي سبق إليه الآخر ولفظه كله أو أكثره.

والنسخ مذموم إلا ما كان أجود وأطيب مما تقدمه.

**(المسخُ):** هذا هو النوع الثاني من أنواع السرققات الظاهرة، والمسخ هنا معطوف على قول الناظم: **(فالنسخُ)**؛ ولهذا فالفعل: **(استطيبُ)**: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مقدر يعود على النسخ، وليس نائبه قوله: **(المسخُ)**.

ومعنى المسخ: أن يأخذ المتأخر بعض كلام السابق لا كله، وهو على ثلاثة وجوه كالنسخ، وهو مذموم مثله، والمحمود منه هو المحمود في النسخ.

97. والسَّلْخُ مِثْلُهُ.....

**أي:** والسلخ مثل النسخ، وكذا مثل المسخ: ذمًا، وانقسامًا إلى ثلاثة أوجه،

وحمد الوجه الثالث من كل منها، كما تقدم.

### السرقَات الشعريّة غير الظاهرة:

97..... وغير ظاهرٍ كَوَضْعِ مَعْنَى فِي مَحَلِّ آخِرِ

بعد أن بين الناظم أنواع السرقَات الشعريّة الظاهرة شرع في بيان غير الظاهرة، وهي أنواع كثيرة، منها: وضع الشاعر معنى من شعره أخذه من معنى شعر غيره، بمعنى: أن ينقل الآخذ معنى المأخوذ منه إلى غير محلّه، وهو نوع "النقل" الذي قدمنا ذكره في ذكر أنواع السرقَات غير الظاهرة.

98. أَوْ يَتَشَابَهُانِ أَوْ ذَا أَشْمَلُ وَمِنْهُ قَلْبٌ.....

ذكر في هذا البيت ثلاثة أنواع من السرقَات غير الظاهرة، وهي:

أ- التشابه، وهو: أن يتشابه النصّان المأخوذ والمأخوذ منه، ولو كانا في غرضين مختلفين من الكلام.

ب- التعميم، الذي أشار إليه بقوله: (أَوْ ذَا أَشْمَلُ) أي: المأخوذ أشمل من المأخوذ عنه، فالتعميم هو: أن يكون المعنى الذي استفيد من كلام السابق أعمّ وأشمل.

ج- القلب، وهو: أن يكون معنى الثاني نقيض معنى الأول.

وهذه الأنواع من السرقَات الشعريّة الظاهرة وغير الظاهرة تقدمت أمثلتها في

الفصل التمهيدي<sup>(1)</sup>.



## ملحقات بالسرقات الشعرية:

..... واقتباس يُنقلُ

99. وَمِنْهُ تَضْمِينٌ وَتَلْمِيحٌ وَحَلٌّ وَمِنْهُ عَقْدٌ.....

ألحق القزويني باب السرقات قوله: "وما يتصل بهذا: القول في الاقتباس، والتضمين، والعقد، والحل، والتلميح"، قال التفتازاني في بيان علة اتصالها بالسرقات: "ووجه اتصال القول فيها بالقول بالسرقات الشعرية: أن في كل منها أخذ شيء من الآخر"<sup>(1)</sup>، وقد تبع الناظم القزويني، فذكرها هنا.

## أولاً: الاقتباس:

قال ابن السبكي: "مأخوذ من اقتباس الضوء. وهو: أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام. والمراد بتضمينه: أن يذكر كلاماً وجد نظمه في القرآن، أو السنة مراداً به غير القرآن، فلو أخذ مراداً به القرآن، لكان ذلك من أقبح القبيح، ومن عظام المعاصي، نعوذ بالله منه، وهذا هو معنى قول المصنف: (لا على أنه منه) أي: من القرآن أو الحديث، وقد مثله المصنف بقول الحريري: "فلم يكن إلا كَلَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، حتى أنشد فأغرب"، وكقوله أيضاً: "أنا أنبتكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليه". وقول

## الآخر:

إن كنت أزمعت على هجرنا من غير ما جرم فصبر جميل

(1) المطول(722).

وإن تبدلت بنا غيرنا فحسبنا الله ونعم الوكيل

فإن آخر البيتين مقتبس، وكقول الحريري: "شاهت الوجوه، وقبح اللُكعُ -" أي: الفاسق أو اللئيم أو العبد- ومن يَرُجوه، ف "شاهت الوجوه، مقتبس من كلام النبي ﷺ حين رمى يوم حنين كفاً من الحصباء" (1).

وقد تحدث العلماء عن حكم اقتباس الشاعر أو الناثر من آيات القرآن الكريم ليضمها إلى نصه من غير تصريح بأن ذلك من كلام الله؛ فمنهم من منع مطلقاً، ومنهم من جوز ذلك بضوابط؛ **قال السيوطي**: "وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله، وأما أهل مذهبنا فلم يتعرض له المتقدمون، ولا أكثر المتأخرين، مع شيوخ الاقتباس في أعصارهم، واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً. وقد تعرض له جماعة من المتأخرين؛ فسئل عنه الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فأجازه، واستدل له بما ورد عنه ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها: (وجهي وجهي) إلى آخره وقوله: (اللهم فالق الإصباح، وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً، اقض عني الدين وأغنني من الفقر)، وفي سياق كلام لأبي بكر: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، وفي آخر حديث لابن عمر: "قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة". انتهى.

وهذا كله إنما يدل على جوازه في مقام المواظ والثناء والدعاء وفي الشر، لا دلاله فيه على جوازه في الشعر، وبينهما فرق؛ فإن القاضي أبا بكر من المالكية

(1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/332).

صَرَّحَ بِأَنَّ تَضْمِينَهُ فِي الشُّعْرِ مَكْرُوهٌ، وَفِي النَّثْرِ جَائِزٌ، وَاسْتَعْمَلَهُ أَيضًا فِي النَّثْرِ: الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي مَوَاضِعَ مِنْ خُطْبَةِ الشُّفَا، وَقَالَ الشَّرْفُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمُقْرِيءِ الْيَمَنِيُّ صَاحِبُ مُخْتَصَرِ الرُّوضَةِ فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّتِهِ: "مَا كَانَ مِنْهُ فِي الْخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ وَمَدْحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَلَوْ فِي النَّظْمِ فَهُوَ مَقْبُولٌ، وَغَيْرُهُ مَرْدُودٌ".

**وَفِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ ابْنِ حُجَّةٍ: الْإِقْتِبَاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: مَقْبُولٌ، وَمُبَاحٌ، وَمَرْدُودٌ.**

**فَالْأَوَّلُ: مَا كَانَ فِي الْخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعُهُودِ.**

**وَالثَّانِي: مَا كَانَ فِي الْقَوْلِ وَالرَّسَائِلِ وَالْقِصَصِ.**

**وَالثَّلَاثُ: عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ. وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَنْقُلُهُ إِلَى نَفْسِهِ؛ كَمَا قِيلَ عَنْ أَحَدِ بَنِي مَرْوَانَ أَنَّهُ وَقَعَ عَلَى مُطَالَعَةِ فِيهَا شِكَايَةَ عَمَّالِهِ: "إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ". وَالْآخَرُ تَضْمِينُ آيَةٍ فِي مَعْنَى هَزَلٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ؛ كَقَوْلِهِ:**

أَوْحَى إِلَيَّ عَشَاقِهِ طَرْفُهُ      هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوَعَدُونَ

وَرَدُّفُهُ يَنْطِقُ مِنْ خَلْفِهِ      لِثَلِثِ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ

**قُلْتُ: وَهَذَا التَّقْسِيمُ حَسَنٌ جِدًّا وَبِهِ أَقُولُ.**

**وَذَكَرَ الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ ابْنُ السُّبُكِيِّ فِي طَبَقَاتِهِ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورِ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ الطَّاهِرِ التَّمِيمِيِّ الْبَغْدَادِيِّ مِنْ كِبَارِ الشَّافِعِيَّةِ وَأَجَلَائِهِمْ أَنَّ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:**

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اعْتَرَفَ      ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ اَزْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفَ  
أَبْشَرَ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ:      إِنَّ يَتَّبِعُوا يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ

وَقَالَ: اسْتِعْمَالَ مِثْلِ الْأُسْتَاذِ أَبِي مَنْصُورٍ مِثْلَ هَذَا الْاِقْتِبَاسِ فِي شِعْرِهِ لَهُ فَائِدَةٌ؛  
فَإِنَّهُ جَلِيلُ الْقَدْرِ، وَالنَّاسُ يَنْهَوْنَ عَن هَذَا، وَرَبَّمَا أَدَّى بِحُثِّ بَعْضِهِمْ إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ.

وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ وَاِدٍ يَهِيمُونَ، وَيَثْبُونَ  
عَلَى الْأَلْفَاطِ وَثَبَةً مِّنْ لَا يُبَالِي، وَهَذَا الْأُسْتَاذُ أَبُو مَنْصُورٍ مِّنْ أَيْمَةِ الدِّينِ، وَقَدْ فَعَلَ  
هَذَا، وَأَسْنَدَ عَنْهُ هَدَيْنِ الْبَيْتَيْنِ: الْأُسْتَاذُ أَبُو الْقَاسِمِ بَنُ عَسَاكِرَ.

قُلْتُ: لَيْسَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنَ الْاِقْتِبَاسِ؛ لِتَصْرِيحِهِ بِقَوْلِ اللَّهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ ذَلِكَ  
خَارِجٌ عَنْهُ.

وَأَمَّا أَخُوهُ الشَّيْخُ بَهَاءُ الدِّينِ فَقَالَ فِي عَرُوسِ الْأَفْرَاحِ: الْوَرَعُ اجْتِنَابُ ذَلِكَ  
كُلِّهِ، وَأَنْ يُنَزَّهَ عَن مِثْلِهِ كَلَامُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قُلْتُ: رَأَيْتُ اسْتِعْمَالَ الْاِقْتِبَاسِ لِأَيْمَةِ أَجَلَاءَ مِنْهُمْ: الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّافِعِيُّ،  
قَالَ: وَأَنْشَدَهُ فِي أَمَالِيهِ وَرَوَاهُ عَنْهُ أَيْمَةُ كِبَارٍ:

الْمُلْكُ لِلَّهِ الَّذِي عَنَتِ الْوُجُو      هُ لَهُ وَذَلَّتْ عِنْدَهُ الْأَرْبَابُ  
مُتَفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانَ قَدْ      خَسِرَ الَّذِينَ تَجَادَبُوهُ وَخَابُوا  
دَعُهُمْ وَزَعَمَ الْمُلْكُ يَوْمَ غُرُورِهِمْ      فَسَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنْ الْكُذَّابُ!

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَن شَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ:



أَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ لِنَفْسِهِ:

سَلِّ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاتَّقِهِ  
فَإِنَّ التَّقَى خَيْرٌ مَا تَكْسِبُ  
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَصْنَعْ لَهُ  
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ<sup>(1)</sup>

### ثَانِيًا: التضمين:

**وهو:** أن يضمن شاعر شيئاً من شعر غيره إلى شعره، سواء كان بيتاً أم شطراً أم ما زاد على ذلك، مع تنبيهه أنه من شعر غيره إن لم يكن مشهوراً، أما إذا كان مشهوراً فيستغنى بذلك عن التنبيه.

فمن تضمن البيت و التصريح بنسبته: **قول التميمي:**

إِذَا ضَاقَ صَدْرِي وَخَفْتُ الْعَدَا  
تَمَثَّلْتُ بَيْتًا بِحَالِي يَلِيقُ  
فَبِاللَّهِ أَبْلَغُ مَا أَرْتَجِي  
وَبِاللَّهِ أَدْفَعُ مَا لَا أَطِيقُ

**ومن لطيف ذلك: قول علي بن أحمد المؤدب:**

تَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ كُلِّ مُهَوِّسٍ  
بَلِيدٍ تَسَمَّى بِالْفَقِيهِ الْمَدْرَسِ  
فَحَقَّقَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَمَثَّلُوا  
بَبَيْتِ قَدِيمِ شَاعٍ فِي كُلِّ مَجْلَسِ  
لَقَدْ هَزَلْتُ حَتَّى بَدَا مِنْ هُزَالِهَا  
كُلَّهَا وَحَتَّى سَامَهَا كُلُّ مُفْلِسِ

ومن تضمن الشطر مع التنبيه على أنه من شعر شاعر آخر: قول الحريري يحكي ما قال الغلام الذي عرضه أبو زيد للبيع:

(1) الإتيان في علوم القرآن (1/ 386).

على أني سأنشُد عند يبعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

وهذا الشطر المأخوذ للعرجي، وتمامه:

لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ نَعْرِ

وبعضهم قد لا ينبه؛ كقول الشاعر:

كَانَتْ بُلْهَيْئَةُ الشَّيْبَةِ سَكْرَةً فَصَحَوْتَ وَاسْتَأْنَفْتَ سِيرَةَ مَجْمَلٍ  
وَقَعَدْتَ تَرْقُبُ الْعَنَاءِ كَرَائِبٍ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ

البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري<sup>(1)</sup>.

"والتضمين على حالتين:

فإذا بلغ مقداره تضمين بيت فأكثر، فقد يُطلق عليه لفظ "الاستعانة".

وإذا كان مقداره شطر بيت أو دونه، فقد يُطلق عليه "الإيداع"؛ إذ الشاعر قد أودع شعره شيئاً من شعر غيره، وقد يُطلق عليه "الرّفو"؛ لأنّ الشاعر "رَفَا" خَرَقَ شِعْرَهُ بشيءٍ من شعر غيره<sup>(2)</sup>.

قال في الجوهر:

والأخذ من شعرٍ بعزْوٍ ما خفي تضمينُهُم وما على الأصلِ يفي

(1) ينظر: المطول (724)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/693)، مقامات

الحريري (ص: 362)، تاريخ الإسلام (9/711).

(2) البلاغة العربية (2/540).



بنكتة أجمله واغتفرا  
يسيرُ تغييرٍ وما منه يُرى  
بيتاً فاعلى باستعانةٍ عُرِفَ  
وشطراً أو أدنى بإيداعِ أُلْفٍ<sup>(1)</sup>

### ثالثاً: التلميح:

**وهو:** أن يشير المتكلم في كلامه إلى قصة، أو مثل، أو شعر من غير ذكره.

### كقول أبي تمام:

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى  
قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهِيَ وَقَعُ  
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ  
بِشَّمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ  
نَصَا ضَوْوُهَا صَبَغَ الدُّجْنََةَ وَأَنْطَوَى  
لِيَهْجَتْهَا ثُوبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَلْحَلَامُ نَائِمٌ  
أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يُوْشَعُ

فإنه أشار إلى قصة يوشع بن نون، فتى موسى عليهما الصلاة والسلام واستيقافه الشمس؛ فإنه قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم، فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم.

### ومنه: قول أبي تمام أيضاً:

لَعَمْرُو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَطِي  
أَرْقُ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ

### يشير إلى البيت المشهور:

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَيْتِهِ  
كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

(1) الجواهر مع الحلية (225).

وقصة ذلك: أن عمرواً ترصد كليباً حتى ابتعد عن الجمى، فركب فرسه فأتبعه فرمى صلبه، ثم وقف عليه فقال له: يا عمرو، أغثنى بشربة ماء، فأجهز عليه، فمات، فقيل هذا البيت.

**قال في الإيضاح:** "ومن التلميح: ما يشبه اللغز، كما روي أن تميمياً قال لشريك النميري: ما في الجوارح أحب إليّ من البازي، فقال: إذا كان يصيد القطا؛ أشار التميمي إلى قول جرير:

أنا البازي المطل على نمير أتيح من السماء لها انصبابا

**وأشار شريك لقول الطرماح:**

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق المكارم ضلت<sup>(1)</sup>

**رابعاً: الحلُّ:**

**وهو:** عكس العقد، وهو أن يجعل النظم نثراً. ويكون حسناً إذا كان سبك الحلّ حسنَ الموقع، مستقراً غير قلق، وإيفياً بمعاني الأصل، غير ناقصٍ في الحسن عن سبك أصله، أو أن يكون بمثابة الشرح لدقائقه، وإلا كان عملاً غير مقبولٍ في الأعمال الأدبية.

**ومنهم قول بعضهم:** "فإنه لما فبحت فعلاؤه، وحفظت نخلاته، لم يزل سوء الظن يتأدّه، ويصدق توهمه في الذي يعتاده".

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/ 542)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 338)

(2/ 339)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (3/ 95).



**حلّ بقوله قول المتنبّي:**

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ      وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِهِ

أي: ما يتوهّمه من أنّ الآخرين أساءوا يُصدّق توهّمه فيهم؛ لأنّه يقيسهم على نفسه، وما يعتاده من سوء عمل.

**ومنه:** قول القاضي عبد الحق بن عطية: "ويعلم أنّ الزمن إن سر حيناً فهمه ناصب، والدنيا إذا أخضر منها جانب جف جانب".

**حل فيه قول ابن عبد ربه:**

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ      إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبٌ<sup>(1)</sup>

**خامساً: العقد:**

**وهو:** أن ينظم الشاعر نثراً لغيره، لا على طريقة الاقتباس. ومن شرطه: أن يأخذ المتشور بجملة لفظه، أو بمعظمه، فيزيد النظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر.

**ومن العقد: قول أبي العتاهية:**

مَا بَالَ مَنْ أَوَّلَهُ نُطْفَةً      وَجِيفَةً آخِرُهُ يَفْخَرُ؟!

عقد أبو العتاهية في هذا البيت قول علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: "وَمَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ، وَإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ".

(1) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/337)، البلاغة العربية (2/541)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 507)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/699).

ومن العَقْدِ: قول أبي العتاهية أيضاً:

وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ      وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا

عَقَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ قَوْلَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فِي الْإِسْكَانِ لِمَا تُوْفِي: "كَانَ الْمَلِكُ  
أَمْسٍ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ، وَهُوَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْهُ أَمْسٍ".

وقد يعقد القرآن؛ كقول الشاعر:

أَنْلِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطًّا      وَأَشْهَدُ مَعْشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ

فَإِنَّ اللَّهَ خَلَّاقُ الْبِرَايَا      عَنَّا لَجَلَالِ هَيْبَتِهِ الْوَجُوهُ

يَقُولُ: إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ      إِلَى أَجَلٍ مَسْمَى فَاصْتَبُوهُ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتَبُوهُ﴾

[البقرة: 282]. وقد يعقد الحديث، كما روي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال:

عُمْدَةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ      أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ

أَتَقِ الشُّبُهَاتِ وَأَزْهَدْ وَدَعْ مَا      لَيْسَ يَعْينُكَ وَأَعْمَلَنَّ بَيْنَهُ

فإنه أشار لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتهيات)، وقوله

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (ازهد في الدنيا يحبك الله)، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (من حسن

إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (إنما الأعمال بالنيات)<sup>(1)</sup>.

(1) ينظر: البلاغة العربية (2/ 541)، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 375)، بغية

الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 698)، عروس الأفراح في شرح تلخيص

المفتاح (2/ 336).



## رجوع إلى البديع:

99. .... والتأقُّ إنَّ تَسَلُّ ..... والتأقُّ إنَّ تَسَلُّ

100. بَرَاعَةُ اسْتِهْلَالِ انْتِقَالِ حُسْنِ الخِتَامِ وَأَنْتَهَى المَقَالِ

هذا خروج عن السرقات الشعرية، ورجوع إلى الأبواب البديعية؛ من أجل مناسبة آخر بيت من المنظومة؛ لكي يكون هذا البيت مثلاً على نوع من أنواع البديع، وهو: حسن الختام.

**(والتأقُّ إنَّ تَسَلُّ):** سكن قاف التأق ضرورة، وتقدير الكلام: والتأقُّ إنَّ تَسَلُّ عنه فهو براعة استهلال... الخ، والمقصود: ومما ينبغي الاعتناء به للمتكلم: ثلاثة مواضع.

**والتأقُّ من:** تأقُّ بمعنى: طلب أعجب الأشياء، وتأنق في الشيء: أتقنه وجوده، وتأنق الرُّوضَةَ وفيها: أعجب بها وتمتع بمحاسنها، وتأنق في الرياض: تتبع الأتق والأحسن فيها<sup>(1)</sup>.

وهذه المواضع التي يحسن بالمتكلم شاعراً أو ناثراً أن يتأنق فيها ثلاثة:

**الأول: براعة الاستهلال:**

**البراعة:** مصدر قولهم: برع الرجل براعة، أي: فاق أصحابه في أمر، وبرع براعة فهو بارع وبريع، **والبراعة:** كمال الفضل وحسن الفصاحة الخارجة عن نظائرها.

(1) ينظر: المعجم الوسيط (1/30)، المطول (730).

**والاستهلال من استهمل، يقال: استهَلَّ الصَّبِيّ رفع صَوْتَهُ بالبكاء وَصَاحَ عِنْدَ** الْوِلَادَةِ، واستهمل الشهر أهل، وَيُقَالُ: استهَلَّلْنَا الشَّهْرَ ابْتِدْأَنَاهُ، أَوْ رَأَيْنَا هَلَالَهُ، واستهمل المطر هل، **واستهلت السماء:** جادت بِالْهَلَلِ -بفتحتين- وهو أول المطر.

وكل من هذه المعاني مناسب للنقل منه إلى المعنى الاصطلاحي، وإن خصه بعضهم بالنقل من المعنى الثاني، وإنما سمي هذا النوع الاستهلال؛ لأن المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به.

وقد سمي ابن المعتز براعة الاستهلال: حسن الابتداء، وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع. وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء؛ لأنه أول ما يقرع السمع؛ فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام، فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان في غاية الحسن.

لهذا ينبغي البدء بما يكون فيه إلماح إلى المقصود الأول من النص الأدبي، وإبداعٌ يَجْدُبُ الانتباه، وَيَأْسِرُ الْمُتَلَقِّي سَامِعًا أَوْ قَارِئًا، مع حُسْنِ سَبْكِ، وعذوبة لفظٍ، وصحّة معنًى.

وقد ذكر أرسطو أنه يحسن في صدر الخطب الإشارة إلى الغرض المقصود، وذكر أن للكلام الخطابي صدرًا واقتصاصًا وخاتمة.

**ومن البديع في البدء:** ذكّر مُجْمَلِ الموضوع، أو مجمل القصة قبل التفصيل، ومنه: إجمال قصة أهل الكهف قبل تفصيلها في سورة (الكهف).



ومن الأمثلة الحسنة في براعة الاستهلال: قول امرئ القيس في أول معلقته:

فَمَا نَبَّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ      بِسُقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

قالوا: إنَّه في هذه البدأة البارعة وَقَفَ وَاسْتَوْقَفَ، وَبَكَى وَاسْتَبَكَى، وَذَكَرَ الْحَبِيبَ وَمَنْزِلَهُ فِي مِصْرَاعٍ وَاحِدٍ.

**وقول أبي تمام** - يُهْنِيُ الْمُعْتَصِمَ بفتح عَمُورِيَّةٍ، بادئاً قصيدته باستهلالٍ بارعٍ يُرَدُّ فيه على مزاعم المنجمين الذين زعموا أنَّ عَمُورِيَّةَ لا تفتَحُ في ذلك الوقت الذي تمَّ فَتَحُهَا فيه:-

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ      فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ  
بِئْسَ الصَّفَائِحُ لَا سُودَ الصَّحَائِفِ      مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

ومن أمثلة البداءات السيئة التي يجب أن تجتنب: قول ذي الرمة حين دخل

على هشام بن عبد الملك بن مروان:

مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ مُنْسَكِبٌ      كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سَرَبٌ<sup>(1)</sup>

وكان بعيني هشام رَمَشٌ، فهي تدمعُ أبداً، فظنَّ أنَّه يُعَرِّضُ به، فقال: "بل عينك"، وأمرَ بإخراجه.

**وقيل:** لَمَّا بَنَى الْمُعْتَصِمُ قَصْرَهُ بِمِيدَانِ بَغْدَادِ، وَجَمَعَ عِظَمَاءَ دَوْلَتِهِ، وَجَلَسَ

فيه في يوم الاحتفال به؛ أنشدَهُ إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ:

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَمَحَاكَ      يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

(1) سَرَبٌ: أَي: فَنَاءٌ تَسِيلٌ.

فتطير المعتصم بهذا الابتداء، وأمر بهدم القصر<sup>(1)</sup>.

**قال القلقشندي:** "واعلم أن براعة الاستهلال في المكاتبات قد تقع مع الابتداء بالتحميد.. كما كتب أبو إسحاق الصابي عن الطائع إلى بعض ولاة الأطراف عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء، ووقوع الصلح والاتفاق: "أمّا بعد، فالحمد لله ناظم الشّمل، بعد شتاته، وواصل الجبل، بعد بتاته؛ وجابر الوهن إذا انثلم، وكاشف الخطب إذا أظلم"<sup>(2)</sup>.

**وقال الحموي:** "اعلم أنه اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة، وأن يكون التشبيب بنسبها مرقصاً عند السماع، وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن، ومطلعها - مع اجتناب الحشو - ليس له تعلق بما بعده"<sup>(3)</sup>.

### الثاني: الانتقال (حسن التخلص):

**وهو:** الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطفية تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه.

- (1) ينظر: المعجم الوسيط (1/ 50) (2/ 992)، أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 7)، البلاغة العربية (2/ 559)، البديع في البديع لابن المعتز (ص: 42)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 19)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 705).
- (2) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (6/ 266).
- (3) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 19).



فهو في حقيقته أن ينتقل الشاعر أو الناثر من فنٍّ من فنون الكلام إلى فنٍّ آخر، أو من موضوع إلى موضوع آخر بأسلوبٍ حسنٍ مستطاب، غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب. وأحسنه ما لا يشعر المتلقي معه بالانتقال؛ لما أحدثه التمهيد المتدرج من تلاؤم، أو لحسن اختيار المفصل الذي حصل عنده الانتقال، أو لغير ذلك؛ كاستغلال تقارب الأشباه والنظائر بعضها من بعض.

ومن الانتقال البديع ما يشبه الانتقال من فرع من فروع الشجرة إلى فرعٍ آخر منها بينهما ملامسةٌ أو تراكُب، أو إلى فرعٍ آخر من شجرةٍ أخرى تلامست أغصانُهما أو تداخلت وتراكبت.

وتبرز أهمية هذا النوع البديعي في كون السامع يكون مترقبًا للانتقال إلى المقصود كيف يكون؛ فإذا كان حسنًا متلائم الطرفين، حرك من نشاط السامع، وأعان على إصغائه إلى ما بعده، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس.

ومما ينبغي لكل متكلم من شاعر أو خطيب إذا كان قد أتى بما يصلح من الافتتاحات الحسنة: مراعاة التخلص الحسن؛ لأنه لا بد له من تقديم الغزل، أو ذكر الفخر، أو ذكر أطروفة بأدب، ثم يذكر على أثره المدح، وعلى قدر براعة الشاعر والخطيب والمصنف يكون حسن التخلص إلى المقصود.

**ومن الأمثلة على ذلك: قول أبي تمام:**

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ      مِنْ السُّرَى وَخَطَا الْمَهْرَبَةِ الْقُودِ

أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَنْوِي أَنْ تَوْمَ بِنَا      فَكَلْتُ: كَلَا، وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجُودِ

فإذا كان الخروج من غير لطيفة وبغير مناسبة تربط بين الكلامين فإنه يسمى الاقتضاب، ويُسمى الاقتطاع والارتجال أيضاً، وهو: أن ينتقل الناثر والناظم ممّا ابتدأ به الكلام إلى ما لا يلائمه.

وهذا مذهب الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام مثل: لييد وحسان، وبعض الإسلاميين جرى على منهاجهم في ذلك؛ كأبي تمام وغالب شعر البحري وغالب شعر أبي نواس.

**ومن الاقتضاب المحمود:** الفُصْلُ بعبارة "أما بعد" بعد مقدّمة الحمد والثناء على الله عزّ وجلّ، والصلاة والسلام على نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

**ومن الاقتضاب البديع:** الفصل بين قِسْمٍ وقِسْمٍ آخَرَ باسم الإشارة "هذا" أو "هذا ذكُرٌ" أو نحوهما ممّا يُشعر بالانتهاء من الكلام على القِسْمِ السابق للبدء بالكلام على قِسْمٍ آخَرَ من أقسامِ موضوعِ كُليّ ذي أقسامٍ متعدّدة<sup>(1)</sup>.

### الثالث: حسن الختام:

ويسمى **براعة الختام**، وحسن المقطع وبراعته، وحسن الانتهاء.

**وهو:** أن يختم المتكلم كلامه بأحسن كلام يحسن السكوت عليه، ولا ينتظر المخاطب غيره.

(1) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع (ص: 229)، العقد المفصل (ص: 87)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (3/ 122)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 709)، البلاغة العربية (2/ 561)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (3/ 102)، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (1/ 329).



وأما براعة الكلام في الشعر فهي: أن يختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه؛ لأنه آخر ما يبقى في الأسماع، وربما حفظه السامع دون غيره؛ لقرب العهد به.

فينبغي أن يكون في ختام القول- شعراً أو نثراً- روعة تهتز لها النفس، ويغرب لها السمع؛ ذلك أن ختام الكلام هو آخر ما تعيه الأذن، ويرتسم في الخيال، فإن كان حسناً هفت إليه النفس، واستلذه السمع، وقد يكون جابراً لما عساه قد وقع من نقص أو تقصير، فإن لم يكن الانتهاء حسناً رائعاً كان الأمر على العكس من صدوف النفس ونفورها، واستكراه السمع ومجه، وقد ينسي ذلك ما تقدم من محاسن الكلام، فيعود السامع أو القارئ على مجموعته بالذم وإن كان حسناً.

**وصفوة القول:** أن ما يختم به الكلام بمثابة الطعام، يؤتى به في ختام الأظعمة؛ فإن كان حلواً لذيذاً أنسى مرارة ما قبله أو ملوحته، وإن كان مرراً أو مالحاً أنسى حلاوة ما قبله أو عدوبته.

فِيْحُسْنُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ بِمِثَابَةِ أَطْيَبِ لُقْمَةٍ فِي آخِرِ الطَّعَامِ، أَوْ بِمِثَابَةِ آخِرِ اللَّمَسَاتِ النَّاعِمَاتِ الْمُؤَثِّرَاتِ الَّتِي تَعْلُقُ فِي النُّفُوسِ، وَتَسْكُنُ عِنْدَهَا سُكُونٌ ارْتِيَاحٍ، وَتُظَلُّ لَهَا ذِكْرِيَاتٌ تُحَرِّكُ النُّفُوسَ بِالشُّوقِ إِلَى الْمَزِيدِ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ الْحَدِيثِ.

**ومن حسن الختام:** قول أبي نواس من قصيدة يمدح فيها المأمون:

فَبَقِيَتْ لِلْعِلْمِ الَّذِي تَهْدِي لَهُ      وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْإِيَّامُ

**وقول الأرجاني في آخر قصيدته في ممدوحه:**

بَقِيَتْ وَلَا أَبْقَى لَكَ الدَّهْرُ كَاشِحًا      فَإِنَّكَ فِي هَذَا الزَّمَانِ فَرِيدُ

## وقول الآخر:

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ      وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ

وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن الوجوه، وأكملها جملة وتفصيلاً من الفصاحة والبلاغة، وجميع الأنواع تقصر عنه العبارات، كالتحميدات المفتوح بها أوائل السور، والابتداء بالنداء، والابتداء بالبسملة التي هي مفتاح كل خير، والابتداء بالحروف نحو: "ألم".

وأما أواخر السور القرآنية فهي ممّا لا يجارى؛ لأنها وردت على أكمل الوجوه من الابتداء والانتهاء، وكيف لا وهي كلام ملهم الكلام، ففيها من الأدعية والوصايا والفرائض والمواعظ والوعد والوعيد والتحميد، إلى غير ذلك. ولقد أحسن الحريري المحافظة على حسن الختام في مقاماته، ومن تأمل فيها وجد ذلك.

**ومن الحسن البديع في الختام:** أن يجمع المتكلم خلاصة مختزلة لأمّهات الموضوع الذي سبق في الأوساط شرحه، مع التذييل بالعظة المقصودة، أو القاعدة الكلية الاعتقادية التي بُني عليها الموضوع، أو اشتقَّ منها، أو اعتمد عليها.

**ومن الحسن في الختام:** أن يشتمل على الثناء على الله والصلاة والسلام على نبيه، أو أن يكون مشعراً فكرياً بانتهاء الحديث عن الموضوع الذي يتحدث عنه المتكلم؛ كأن يكون شرحاً لآخر الأقسام، وقد استوفى المطلوب فيه.

وللبلغاء فنونٌ مختلفة كثيرة يختمون بها شعرهم أو نثرهم، ويكون آخرُ



كلامهم دالاً على أنَّهم قد وصلوا حقاً إلى آخر ما يقصدون من قول، وتتفاضل الخواتيم بمقدار ما فيها من إبداع دالٍّ على أنَّها آخر القول<sup>(1)</sup>.

فأول القول وآخره ينبغي العناية بهما فهما طرفاه، والحال في ذلك كإقلاع الطائفة وهبوطها، فأهميتهما معلومة لدى الطيارين، وعنايتهم بهما أكثر من غيرهما.

**قال الناظم رَحْمَةُ اللَّهِ خَاتَمًا مَنْظُومَتِهِ: (وَأَنْتَهَى الْمَقَالَ):** المقال: القول، يعني: انتهى النظم، وهذا من حسن الختام؛ لقول: **(وَأَنْتَهَى).**

وهذه خاتمة الشرح لهذه المنظومة؛ نسأل الله بها حسن الخاتمة.

وبهذا انتهينا من شرح هذه المنظومة النافعة، وكان شرحها على طلاب مركز الإمام الشوكاني في مدينة إب، حرسه وحرسها الله تعالى بحفظه، وكان ذلك في الشهر الخامس من عام ثلاثة وعشرين وألفين للميلاد<sup>(2)</sup>.



(1) ينظر: العقد المفصل (ص: 91)، البلاغة العربية (2/ 563)، المنهاج الواضح للبلاغة (1/ 177)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (4/ 714)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (2/ 344).

(2) لم أذكر التاريخ الهجري -الذي هو الأصل- عند الانتهاء من شرح المنظومة على الطلاب؛ لكوني قد أنسيته.



## فهرس الموضوعات

5	..... المقدمة
12	..... ترجمة الناظم
12	..... اسمه ونسبه ولقبه:
12	..... ولادته ونشأته وتعلمه:
13	..... وظائفه ومحتته:
13	..... مصنفاته:
14	..... من نظمه:
15	..... وفاته:
16	..... ثناء العلماء عليه:
16	..... المنظومة:
21	..... المنظومة
31	..... شرح المنظومة
45	..... شروط فصاحة اللفظ المفرد
57	..... شروط فصاحة الكلام
67	..... بلاغة الكلام والمتكلم
69	..... تعريف الصدق والكذب

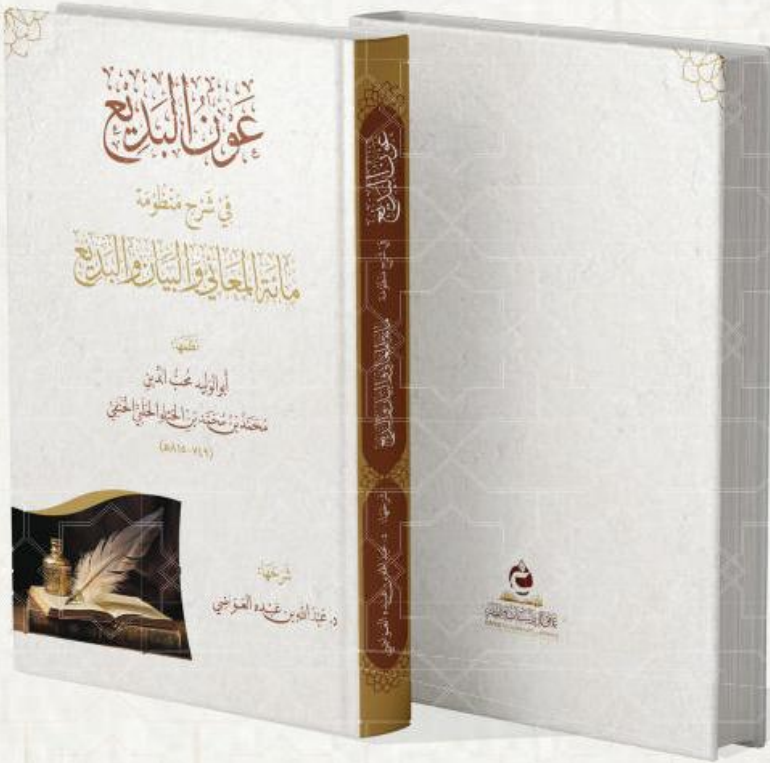


71	علم المعاني
71	فصل تمهيدي
76	شرح الأبيات
78	الباب الأول: أحوال الإسناد الخبري
90	الباب الثاني: أحوال المسند إليه
127	الباب الثالث: أحوال المسند
147	الباب الرابع: أحوال متعلقات الفعل
161	الباب الخامس: القصر
167	شرح الأبيات
183	الباب السادس: الإنشاء
186	شرح الأبيات
211	الباب السابع: الفصل والوصل
226	شرح الأبيات
233	الباب الثامن: الإيجاز والإطناب
240	شرح الأبيات
253	علم البيان
253	فصل تمهيدي
257	الفصل الأول: التشبيه
266	الفصل الثاني: المجاز
288	الفصل الثالث: الكناية
294	شرح الأبيات

- 327 ..... علم البديع
- 327 ..... فصل تمهيدي
- 327 ..... تعريفه ونشأته وأقسامه
- 346 ..... شرح الأبيات
- 411 ..... خاتمة في: السَّرِقَاتِ الشُّعْرِيَّةِ
- 411 ..... فصل تمهيدي
- 449 ..... شرح الأبيات
- 470 ..... فهرس الموضوعات







GAFAQ for studies and publishing

